

الجزء الثاني



فوزي آل سيف



الجزء الثاني

الطبعة الثانية

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م


بسم الله الرحمن الرحیم



بين يدي القارئ والقارئة

قبل حوالي ثلاث سنوات صدر الجزء الأول من هذا الكتاب (نساء حول أهل البيت) وكانت الغاية منه إبراز النماذج الكاملة من النساء اللاتي عشن في رحاب الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وقد تأخر إصدار هذا الجزء، لجهات متعددة منها انشغال الكاتب بكتاب (من قضايا النهضة الحسينية) بأقسامه الثلاثة، وبغيره مما أثر على سرعة إصدار هذا الجزء، ومنها كون (المادة الخام) لهذا الكتاب صعبة، إلى حد أن التفتيش عن اسم (مجرد الاسم) بغض النظر عن المعلومات المرتبطة به، كان أمراً معقداً!!

لكن الله سبحانه وفق، وتفضل، وأعان، فكان هذا النتاج الذي وإن تواضع نتيجةً لكن السعي فيه والجهد، والنية قبل كل ذلك أرجو أن لا تكون كذلك.

لن يفوتني التنويه إلى أن بعض الأحاديث المرتبطة بالتراجم، قد لا يلاحظ فيها الجانب السندي، فيما إذا كان فيها جانب عبرة أو عظة، وكانت تحتوي على درس حياتي. نعم لو كانت تخالف بعض الجهات العقدية، أو تتنافى مع ما ثبت تاريخيا، ربما كان هناك مناقشة لها..

لمزيد من الفائدة فقد تم إدراج مختصر سريع لحياة كل معصوم من المعصومين، في بداية كل فصل أو مجموعة ترجمات.

كما أنه قد تم مناقشة بعض الأحاديث التي ظاهرها يصدم الرؤية الدينية الرسالية تجاه المرأة، وذلك لشيوع تلك الأحاديث بين الناس، وتشكيلها للكثير من رؤاهم الثقافية.. وهي دعوة للنقاش والتأمل فيها، ومعالجة جهات الإشكال التي تحتويها، فإن يكن الكاتب قد وُفق في معالجتها فذاك المراد، وإلا فهي محاولة قد تذكي محاولات أخرى، وتفتح الباب لطرق تالية، عسى أن يكون الفتح فيها.

فوزي آل سيف
شعبان ١٤٢٢هـ

في رحاب الإمام الباقر عليه السلام

١	أم الأسود بنت أعين الشيباني
٢	أم سلمة زوجة مهاجر الأزدي
٣	حُبَّى: زوجة الكميت بن زيد الأسدي
٤	خديجة بنت عمر بن علي السجاد عليه السلام
٥	أم سلمة بنت محمد بن علي الباقر عليه السلام



موجز عن حياة الإمام
محمد بن علي الباقر عليه السلام

الإمام أبو جعفر ٥٧- ١١٤هـ:

ولد الإمام الباقر سنة ٥٧هـ، وتوفي سنة ١١٤ هـ، وعمره ٥٧ سنة منها ٤ سنوات في حياة جده الإمام الحسين عليه السلام، وبعدها ٣٥ سنة في حياة أبيه السجاد، ومدة إمامته ١٨ سنة.

عاصره من حكام بني أمية، عبد الملك بن مروان- وهشام بن عبد الملك.

بلغت الفتوحات إلى تلك الفترة أقصى اتساعها، حيث تحول الفتح إلى عمل عسكري مجرّد يهدف الغنيمة الشخصية للقائد أو الخليفة.. وبقدر ما دخلت أراض تحت سيطرة المسلمين، فقد دخلت ثقافات أكثر، حملتها معها الأقوام التي فتحت أراضيها، وشكل ذلك تهديداً خطيراً لعقيدة المسلمين، لعدم قدرة الحاكمين من الخلفاء وأتباعهم على مواجهة هذا التحدي.

بل يمكن القول إن السلطة الأموية كان لها يد في تشجيع الحركات الفكرية المنحرفة الدامية إلى شل حركة المسلمين كالقول بالجبر، أو تلك الهادفة إلى تغييب المسلمين عن الرقابة على الحاكمين كالقول بالإرجاء.

يضاف إلى ذلك أنه كانت الحاجة قائمة، لتفصيل أحكام الدين، وبيان

مواقفه، وتشريح أدلته، وتفسير كتابه فكان الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، الذي تحدث عنه جده النبي صلى الله عليه وآله وسلم - قبل ولادته- بأنه يبقر العلم بقراً، هو الوارث لعلم جده، والحافظ لشريعته في مواجهة تلك الأسئلة الحائرة والتحدي الثقافي، كما كان على يده بيان الموقف الصحيح تجاه الحركات الفكرية المختلفة، وعنه انتشر العلم النبوي في العقائد، والتفسير، والأحكام.

أشار على الحكم الأموي بطريقة، تخلص البلاد الإسلامية من الارتهان للروم، إذ كانوا ينقشون على نقودهم عقيدتهم في التثليث، وهذه النقود كانت هي المتداولة عند المسلمين ولما أراد عبد الملك بن مروان تغيير ذلك، ضغط عليه ملك الروم بأنه سوف يأمر بنقش سب النبي، على النقود إن لم ينته عبد الملك عما أراد، فضاق بعبد الملك الأمر. فأشير عليه بأن يبعث إلى الإمام الباقر سائلا، وبالفعل فقد وضع الإمام الباقر خطة لضرب وصناعة النقد في بلاد المسلمين تنتهي إلى الاستغناء عن نقد الروم..

أثر عنه من الأحاديث في مختلف فنون المعرفة والعلم أكثر مما أثر عن غيره، وكان ومن بعده ابنه الإمام الصادق عليه السلام فاتحة لنهضة فكرية عظيمة لا تزال أثارها مشهودة حتى اليوم، وتلمس في غنى النصوص الإسلامية، ووفائها بحاجة المسلمين العقيدية، وقام بتربية العشرات من العلماء والفقهاء.

انتقل إلى جوار ربه في المدينة المنورة سنة ١١٤هـ مسموماً على المشهور.

١- أم الأسود بنت أعين الشيباني المستبصرة الفاتحة

بقيت إلى أيام الإمام الكاظم عليه السلام

يتأثر عامة الناس في حياتهم ـ عادة ـ بظروفهم المحيطة بهم، فتشترك تلك الظروف في صناعة حاضرهم ومستقبلهم، فترى للوضع المادي الذي يعيشه الإنسان جزءاً من التأثير، وللعائلة التي ينشأ فيها جزءاً آخر، وللأفق الاجتماعي الذي يقيم معه علاقاته جزءاً ثالثاً، وهكذا..

والقليل من الناس هم الذين لا يتأثرون بتلك الظروف فيخرجون من أسرها، ويتخلصون من ضغطها، ويتخذون قراراتهم، ويشكلون حياتهم من غير خارج دائرة ضغطها. ولهذا تكون المسافة ـ عادة بين طموحات الإنسان، ووعيه ـ وبيان قدرته على تنفيذها وتحقيقها.. فهو يرى أن الوضع الكذائي أنسب، وأن الطريق الفلاني أحسن، ولكنه لا يحقق ما رآه حسناً.. بل لا يستطيع أن يخرج من أسر ظرفه العائلي ولا الاجتماعي، وأحياناً حتى لا يستطيع الخروج من أسر شهواته، وضغط رغباته التي تعيقه.. فهو يريد التقدم ولكن يبقى في حب الكسل، ويريد الانطلاق الحر ولكنه مربوط بتقاليد العائلة، ويريد، ويريد..

وأقل من ذلك القليل من يصنعون الظروف، ويغيرون الاتجاه الحاكم على العائلة بل على المجتمع، فينتخبون لهم طريقاً جديداً، ويشقون لهم اسلوباً متميزاً.. وهؤلاء هم صناع الأمم، ومغيرو المجتمعات ـ على اختلاف

دائرة تغييرهم فيها ـ. هؤلاء في البداية يتنبهون إلى خطأ ما عليه المجتمع المحيط بهم، وهذه خطوة يقوم بها الكثير في حدود التنبه والنقد، لكن هؤلاء الذين نتحدث عنهم لا يكتفون بهذا المقدار بل يرون أنهم معنيون بتغيير ذلك الخطأ الموجود، وأنه قادرون على ذلك، وهنا ينفصل الأكثر عنهم، فمع أن الكثير يعون الخطأ ولكنهم يفصلون أنفسهم عن المسؤولية، أو لا يرون في أنفسهم الكفاية لحملها، والواعون الذين نتحدث عنهم يعون المسؤولية ويثقون بقدرتهم على تحملها، ثم يتحركون في اتجاه ما عرفوه وتحمل الحق الذي رأوه، متجاوزين بذلك العقبات النفسية والاجتماعية، والخارجية؟..

وإذا كان تأثر الرجال بالأوضاع المحيطة بهم، وانفعالهم بها، موجودا إلى درجة أن شخصا مثل الزبير بن العوام الذي كان يعد في طليعة الفدائيين، والمدافعين عن خط الرسالة، حتى أن علياً عليه السلام ـ كما ينقل لما جيء له بسيف الزبير بعد أن قتله ابن جرموز غيلةً، قلبّه وقال: سيف طالما ذب الكرب عن وجه رسول الله، وهو ـ أو مثله ـ السيف الوحيد الذي سحب من غمده للدفاع عن حق علي عليه السلام في موضوع السقيفة، فإنهم لما جاؤوا ليأخذوا أمير المؤمنين عليه السلام، امتشق الزبير سيفه مدافعاً، فاجتمع عليه عدد من المهاجمين وأخذوا سيفه، وضربوه على صخرة حتى كسر، هذا الرجل ذو المواقف الطيبة، كان (منا أهل البيت) إلى أن بدأت ضغوط العائلة والولد عبد الله بالذات فإذا به يتغير ويترك هذا الخط ويفقد هذا الوسام وهو ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبد الله»[1].. إذا كان هذا الأمر موجودا في عالم الرجال بنسبة فهو في النساء قائم بنسبة أكبر بكثير، فكم يلاحظ المراقب حالات من الانفعال والتأثر بالظروف، في حياة المرأة في مجتمعنا، حتى أنك لترى هذه المرأة أو تلك في طريق الهداية حتى إذا تزوجت وفرض عليها زوجها مساراً جديداً،

(١) نهج البلاغة ـ قصار الحكم.

تقبلته وسارت على وفقه، وقد كانت قبل ذلك في دائرة التأثر والانفعال بالنسبة لأبيها أو أخيها الأكبر، مما جعل هذه المرأة عاجزة عن الفعل الإيجابي، وخارجة عن دائرة التغيير الاجتماعي..

ولهذا فإنه إذا وجدت امرأة من هذا النوع، متمردة على الأوضاع، رافضة للضغوط المحيطة بها، واختارت طريق الهداية والإيمان، وتحملت في سبيل ذلك الأذى والاضطهاد، وخالفت ما كان يجري حولها من انحراف فإن القرآن يؤرخ موقفها ويخلد لها وقفتها، ويعتبرها مثلا لا للنساء فحسب، بل للذين آمنوا ﴿**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**﴾[١].

هذا كله بالنسبة لتلك التي لم تتأثر بالضغوط والظروف المحيطة بها، وسلكت طريق الهداية والإيمان، فما ظنك بمن اجتازت كل ذلك، وصنعت طريقاً جديداً في أسرتها، وغيرت الاتجاه الخاطئ الذي كان سائدا، وغرست غرسا ظهرت نتائجه الكثيرة والصالحة في وقت قصير؟

تلك هي أم الأسود بنت أعين الشيباني رضوان الله عليها. فقد انتمت إلى التشيع وعرفت طريق أهل البيت على يد أبي خالد الكابلي، وكانت «أول من عرف هذا الأمر من آل زرارة.. ». ونحن وإن كنا لا نعلم عن طريقة الاتصال تلك وكيف كانت، وهل أن المبادرة كانت من قِبَل أبي خالد الكابلي فاختار هذه المرأة الصالحة وركز عليها لكي يدخلها التشيع؟ أو أن المبادرة جاءت من قِبَلها، وأنها هي التي تحركت باتجاه الانتماء إلى هذا الطريق وحصل أن وجهها أبو خالد إليه، حتى غدت أول واحدة فيه من آل زرارة، لكن أيا يكن فإن الأمر الذي حصل كان مهماً، خصوصا أن مثل أبي خالد لم يكن ليفعل شيئا من هذا

(١) التحريم ١١ـ ١٢.

القبيل من غير نظر إيجابي من الإمام السجاد عليه السلام، في تلك الفترة الحرجة حيث لم تكن الدعوة إلى التشيع أمرا شائعا، بل يخضع للأوضاع المحيطة.. بل وجدنا أنه حتى في وقت متأخر كان هناك نهي عن الدعوة إلى المذهب ـ بشكل غير ممنهج ـ ونشهد روايات مثل «ما لكم وللناس، دعوهم» و«لا تدعوا الناس إلى هذا الأمر، فإن الله إذا أراد بعبد خير عرفه هذا الأمر حتى يكون أسرع إليه من الطير إلى وكره.. » ومثله روايات كثيرة..

ومما يؤسف له أن المعلومات المتوفرة عن تأريخ هذه المرأة الرسالية، والفاتحة ضئيلة جدا، سواء عما قبل انتمائها أو عن طريقة الانتماء، أو عن دورها فيما بعد.. وإن كان أصل الانتماء هذا والمبادرة إليه شيئا هاما، وعلى كل حال فإن لنا وقفة قصيرة مع ما ذكره الرجاليون هنا.

فقد ذكر أبو غالب الزراري في كتابه تاريخ آل زرارة قائلاً:.. ولهم أخت يقال لها: (أم الأسود) ويقال: إنها أول من عرف هذا الأمر منهم من جهة أبى خالد الكابلي.

وقال العلامة في الخلاصة: أم الأسود بنت أعين: عارفة، قاله علي بن أحمد العقيقي وهي التي أغمضت زرارة. وقد ذكرها في قسم الممدوحين..

ولنا أن نتوقف قليلا عند ذكر الأستاذ، والمربي وهو الكابلي أبو خالد؛ ثم عند ذكر المرأة العارفة وأخيراً عند ذكر العائلة التي دخل إليها التشيع بعد اعتنقته أم الأسود.

أما أبو خالد الكابلي، فقد وصف في الروايات بأنه من حواريي زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، وأنه إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين حواريو علي بن الحسين فيقوم خمسة نفر:.. ومنهم أبو خالد الكابلي. وهو الذي يوصف أيضاً بأنه ممن لم يرتد على الأدبار كما فعل سائر الناس بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام، ولقد ذكرنا في موضع آخر[1] أن الارتداد هنا

(١) بناء القادة في منهج أهل البيت للمؤلف

ليس بمعناه الاصطلاحي وإنما هو تعبير عن حالة الهزيمة النفسية والتراجع المعنوي الذي سيطر على الكثيرين اثر شهادة الحسين عليه السلام بذلك النحو المفجع. ووصف الفضل بن شاذان تلك المجموعة (الحواريين) بأنه لم يكن في زمن علي بن الحسين في أول أمره إلا خمسة أنفس، ومن بينهم الكابلي.

أبو خالد هذا.. كان في أول أمره يذهب إلى القول بإمامة محمد بن الحنفية باعتباره بعد الإمام الحسين عليه السلام أكبر أولاد الإمام علي عليه السلام وأصلحهم، وكان يظن ـ كغيره ـ بأن الإمامة فيه، وظل يخدمه مدة من الزمان، إلى أن سأله بصراحة عن ذلك، فأجابه محمد بن الحنفية بصدق وأمانة أن الإمامة هي في نسل الحسين عليه السلام، وأن الإمام هو علي بن الحسين. فجاء إليه وعرف من آياته ما يدل على إمامته، فالتصق به، وآمن وظل يجاهد داعيا إليه، ومعرفا بفضله، ويستقطب الناس إلى الانتماء إلى منهجه، وكأنه بعد أن خاض تجربة في الانتماء إلى غير الإمام، ولو أنه في النهاية بصدق محمد بن الحنفية وصل إلى الإمام الحق، لكنه يخشى أن لا يتوفر لغيره من يصدق معه، فيزل ويضل.. ولذلك وجدنا أن عددا كبيرا من أحاديث النصوص على أئمة أهل البيت والإرشاد إليهم، وتعداد أسمائهم، إلى الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه[1]، بل وبيان بعض ما يترتب على المؤمن في زمن غيبته، وشرح أمور الغيبة تلك، ينقل عن أبي خالد الكابلي، وبعضها بسؤال منه.

وأما عن المرأة فقد ذكروا أنها عارفة، ويحق للمرء أن يتأمل في هذا المعنى، فالمعرفة هي بداية الطريق إلى العمل، فـ« ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة » كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد النخعي، وإذا كانت الأعمال البسيطة يحتاج فيها المرء إلى المعرفة، فما ظنك بالعمر كله، وبتعيين الاتجاه الذي ينبغي أن يُسلك؟ هذا في العمل.. وأما في العقيدة والإيمان بالله سبحانه فـ« إن أول عبادة الله معرفته »، و« لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على

---

(١) الغيبة لشيخ الطائفة الطوسي

البحور ولزالت بدعائكم الجبال » كما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله..

وفي العبادة فإن التفاضل هو بالمعرفة فـ« بعضكم أكثر صلاة من بعض، وبعضكم أكثر حجا من بعض وبعضكم أكثر صدقة من بعض، وبعضكم أكثر صياما من بعض، وأفضلكم أفضل معرفة »[١].

كانت المعرفة هي الخطوة الأساس التي بنت عليها أم الأسود حركتها في الانتماء لمذهب أهل البيت عليهم السلام، على يد عارف آخر وأستاذ واع هو أبو خالد الكابلي، وقد أنتج هذا أن كانت هذه الأسرة أسرة علمية عارفة، ظلت تمد التاريخ الشيعي منذ أيام الإمام الباقر عليه السلام وحتى أيام الغيبة الصغرى بالفطاحل من الرواة والفقهاء، والعلماء المتبحرين في أكثر من جهة علمية. فـ« إنه قل رجل منهم إلا روى الحديث، وقد جمع من روى الحديث منهم فكانوا ستين رجلا »، وكانوا من حيث المستوى كما يقول بن عقدة « كل واحد يصلح أن يكون مفتي بلد.. ». ولقد كان تميزهم ـ خصوصا في أيام الصادق عليه السلام ـ مشهورا، فقد قال ربيعة الرأي للإمام عليه السلام: ما هؤلاء الاخوة الذين يأتونك من العراق ولم أر في أصحابك خيرا منهم ولا أهيأ؟ فقال عليه السلام: هؤلاء أصحاب أبي عليه السلام. ولهذه المنزلة التي كانت لديهم من العلم والمعرفة وصدق الانتماء فقد كانوا محل غضب من قبل السلطة الحاكمة الأموية، فإنه لما جاء الحجاج الثقفي إلى الكوفة، قال: لا يستقيم لنا الأمر ومن آل أعين رجل تحت الحجر.. فطلبوا أشد طلب[٢]،

---

(١) ميزان الحكمة ٥

(٢) وربما يكون ما روي ـ على فرض صدوره ـ عن الإمام الصادق عليه السلام في ذم زرارة، والتي كانت بمثابة إعلان للسلطات بأنه ليس موضع سر الأئمة عليهم السلام، لكي يخف الطلب عنه، ولا يؤذى، أقول لعل تلك الأحاديث صدرت في تلك الفترة الحرجة، حتى إذا تقشع غيم الظلم، أرسل الإمام إلى ابن زرارة وأخبره أن عيبه لزرارة هو كخرق الخضر عليه السلام تلك السفينة إنما هو لانقاذها من الملك الظلوم الغشوم الذي يأخذ كل سفينة غصبا، وإن وراء زرارة ملكا ظلوما!!

حتى اختفوا وتواروا إلى أن هلك الحجاج الثقفي.[1]

(لأن يهدي الله بك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس)، ليس يقتصر على الذكور، بل الهداية والثواب المترتب عليها شامل للنساء خصوصا إذا كانت تلك النساء، كمن ذكرنا.. بل ربما كانت أبلغ تأثيرا، وأحمد عاقبة، وأكثر إنتاجا.. كانت هذه المرأة هي الفاتحة لآل أعين، المبادرة إلى قبول الحق، وكانت الشجرة الطيبة التي آتت أكلها، رجالا فقهاء، ورواة علماء.. فسلام الله عليها وعلى تلك العائلة الطيبة، والفروع الزاكية وحشرها الله ـ وإياهم ـ مع سادتهم آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، ورزقنا مرافقتهم في جنان الله الخالدة.

(١) للتفصيل يراجع تاريخ آل زرارة لأبي غالب الزراري.



٢- أم سلمة زوجة مهاجر الأزدي

والدة محمد بن مهاجر بن عبيد الأزدي

❁ ❁ ❁ ❁

يختلف الناس في توجهاتهم الفكرية، ومذاهبهم الدينية، وهذا أمر طبيعي. مع أنه لا ينشأ في الغالب عن اختيار وتفكير، وإنما كثيرا ما كان ناشئا عن تقليد للآباء والأمهات، وانسياق مع المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان.

ولعل تركيز القرآن الكريم على معالجة كيفية الإيمان، والتحذير من الاعتقاد بما اعتقده الآباء، من دون النظر إلى كونه حقا أو باطلا، إنما يهدف إلى إرساء أسس صحيحة في الإيمان والاعتقاد. فليس من الصحيح أن يترك ما عند الآباء من أفكار ومعتقدات بمبرر أنها (أفكار الجيل القديم) أو (معتقدات العجائز) كما أيضا ليس من الصحيح أن يتم القبول بها طرًّا لأنها أفكار الآباء والأجداد وسيرة السابقين.

وإنما الصحيح أن ينظر الإنسان بعد اكتمال قدراته العقلية إلى ما بين يديه من أفكار وعقائد، فيناقشها بالمنطق السليم، ويلتزم منها ما هو صحيح، تاركا غير الصحيح.

والحق أنها عملية ليست يسيرة، ولو كانت بهذه البساطة والسهولة لوجدت أغلب الناس يتبعون الحق وليسوا كذلك. ولا سيما عندما تكون

الكثرة الاجتماعية والفئة الغالبة صاحبة فكرة معينة فإن هذا يشكل ضغطا شديدا على الإنسان، فلا يستطيع عندها أن يخالف ما ذهبت إليه تلك الأكثرية، وهذا ما يطلق عليه بعض علماء الاجتماع (صنم المجتمع). حيث تتحول الكثرة إلى مقياس وإلى قيمة تصحح ما عندها من أفكار، وتخطّئ غيرها من الأقليات، لا لشيء إلا لأن هذه هي الأكثر عددا.

وقد وجدنا القرآن الكريم ينكر على الناس هذا الاعتقاد، فيتحدث عن الكثرة حديثا سلبيا في هذه الجهة، فيقول في مواضع متعددة إن أكثر الناس لا يؤمنون، وفي مواضع أخرى أكثر، أن أكثر الناس لا يعلمون، وأنهم لا يشكرون. وذلك من أجل إسقاط قيمة الكثرة بما هي[1].

المشكلة هي حين يقوم مثل هذا الشخص الذي يؤمن عن تقليد، ويمارس عباداته عن غير معرفة وإنما ينطلق من حالة كونه (مع الناس)، وأن دليله هو أن (الناس يعملون هكذا) بتخطئة الآخرين وتوبيخهم من دون النظر إلى أدلتهم، وآرائهم.

ومع هذه النوعية من الناس يصعب الحوار والنقاش، فإنه قد اتخذ موقفا مسبقا بأن طرف الحوار خاطئ، ولا يعلم لماذا هو خاطئ، ويرى نفسه مصيبا ولا يعلم كيف هو مصيب؟ فقد يكون السكوت هنا أجدى.

وهذا ما حصل للراوية الفاضلة أم سلمة. فقد روى الشيخ الصدوق في العلل، قال: أخبرني علي بن إبراهيم بن حاتم، قال: حدّثني علي ابن محمّد،

---

(١) ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام:١١٦) ـ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ (البقرة:٢٤٣) ـ ﴿فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (هود:١٧) ـ ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف:٢١) ـ ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف:١٠٣) ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلا كُفُوراً﴾ (الإسراء:٨٩)

قال: حدّثنا العباس ابن محمّد، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن مهاجر، عن أُمّه أم سلمة قالت:

خرجتُ إلى مكة فصحبتني امرأة من المرجئة[١]، فلمّا أتينا الربذة[٢] أحرم الناس[٣] وأحرمتْ معهم، فأخّرتُ إحرامي إلى العقيق[٤].

---

(١) المرجئة: بضم الميم وتسكين الراء وكسر الجيم، فرقة من فرق المسلمين تعتقد بأنه لا يضر مع الإيمان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة وأن الإيمان قول بلا عمل وأن أصحاب الكبائر إذا ماتوا غير تائبين فإن أمرهم إلى الله ولا نحكم عليهم في الدنيا بشيء ولا ننعتهم بصفة الفسق أو الكفر أو غيرهم. ويقول البعض أن تأسيس هذه الفرقة كان أيام الأمويين وقد استفادوا منها ـ إن لم يكونوا قد أنشؤوها ـ لأغراض سياسية لا تخفى، فإن إرجاء الحكم على الفاسق والظالم إلى الله يوم القيامة، يعطل الدور السياسي للإنسان المسلم في الدنيا. وقد كان لهذه الفرقة آثار كبيرة في فكر الجمهور المسلم غير المتابع لأهل البيت، لا تزال واضحة إلى يومنا هذا.

(٢) موضع من قرى المدينة على بعد ثلاثة أيام منها وهي قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز، وقد خرج إليها أبو ذر الغفاري مغاضبا للخليفة عثمان، وتوفي فيها سنة ٣٢هـ. عن معجم البلدان.

(٣) يرى البعض من فقهاء الجمهور ـ على الأقل في الزمن السابق ـ أن الربذة، مما يمكن الإحرام منها إلى الحج، فقد ذكر ابن حجر في فتح الباري ج ٣ ص ٣٠٩ قائلا أنه: حكى بن المنذر عن الحسن بن صالح أنه كان يحرم من الربذة وهو قول القاسم بن عبد الرحمن وخصيف الجزري قال بن المنذر وهو أشبه في النظر.. وكذلك ما ذكره البيهقي في السنن الكبرى ج ٩ ص ٢٥٥: ويستشعر منه ذلك في حديث عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: أقبلت من البحرين حتى إذا كنت بالربذة سألني ناس من أهل العراق وهم محرمون عن صيد وجدوه على الماء طاف فسألوني عن اشترائه وأكله فأمرتهم أن يشتروه ويأكلوه وهم محرمون ثم قدمت المدينة فكأنه وقع في قلبي شك مما أمرتهم فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب فقال وما أمرتهم به؟ قال أمرتهم به أن يشتروه ويأكلوه قال لو أمرتهم بغير ذلك لفعلت، أي كأنه توعده.

(٤) واد عليه أموال أهل المدينة، على ميلين أو ثلاثة أو ستة، ويسمى مسيل الماء عقيقا، وهي أعقة منها عقيق المدينة وهو الأصغر وفيه بئر رومة، والعقيق الأكبر وفيه بئر عروة، وعقيق أكبر من هذين وهو ببلاد مزينة.. ولعل الاختلاف في المسافة ناظر إلى هذه الثلاثة. عن معجم البلدان.

فقالت: يا معشر الشيعة تخالفون في كلّ شيء، يُحرم الناس من الربذة وتُحرمون من العقيق. وكذلك تُخالفون في الصلاة على الميّت، يكبّر الناس أربعاً وتكبّرون خمساً، وهي تشهد على الله أنّ التكبير على الميّت أربع.

قالت: فدخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام فقلتُ له: أصلحك الله، صحبتني امرأة من المرجئة فقالت كذا وكذا، فأخبرته بمقالتها، فقال أبو عبد الله عليه السلام:

«كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا صلّى على الميّت كبّر فتشهّد، ثم كبّر فصلّى على النبيّ ودعا، ثم كبّر واستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ثم كبّر فدعا للميّت، ثم يكبّر وينصرف. فلما نهاه الله عن الصلاة على المنافقين كبّر وتشهّد، ثم كبّر فصلّى على النبيّ، ثم كبّر فدعا للمؤمنين والمؤمنات، ثم كبّر الرابعة وانصرف ولم يدع للميّت».

ونستفيد من هذه الرواية[1] أموراً متعددة:

١ - أن دخول النساء على الأئمة عليهم السلام لم يكن نادرا ولا مستهجنا، وإنما

(١) يمكن تصحيح الرواية التي استدل بها أكثر علمائنا في باب كيفية الصلاة على الميت، بل لعلها تكون (أم روايات ذلك الباب) حتى لقد ترقى بعضهم إلى الالتزام بوجوب ما ورد فيها من الأذكار والأدعية، مع أنه (ليس في الصلاة ـ الجنازة ـ دعاء موقت ـ مخصوص ـ)، أقول يمكن تصحيحها بما سلكه عدد من الأعلام في ذلك: بالشهرة أولا حيث أن اشتهارها بين الأصحاب بوجودها في مصنفات الأصحاب كما هو الحال في هذه الرواية حيث نقلها المشايخ الثلاثة في كتبهم، وتبعهم من بعدهم في ذلك.. وأيضا شهرة العمل بها يدخلها تحت عموم (خذ ما اشتهر بين أصحابك ودع الشاذ النادر)، والشهرة الفتوائية وإن كانت محل كلام في حجيتها إلا أن شهرة الرواية عند الأصحاب، والعمل عليها جابر للرواية مهما كانت درجة ضعفها، كما ذكر علماء الأصول. ويمكن تصحيحها ثانيا: بأن الراوي لها هو محمد بن أبي عمير عن محمد بن مهاجر عن أم سلمة، والمشهور على أن ابن أبي عمير من الذين لا يروون ولا يرسلون إلا عن ثقة، ومع فرض التسليم بمجهولية أم سلمة، (مع أن ابنها محمد بن مهاجر ثقة، وحفيدها إسماعيل ابنه ثقة كذلك) فإن رواية ابن أبي عمير عنها تصحح روايتها، بل يمكن القول بتوثيقها بها.

كانت المرأة لو عرض لها شيء من أمر دينها كانت ترى أنها مخاطبة بقول الله تعالى: ﴿... فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1]. وقوله ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلاً﴾[2].

ويخطئ الذين يقومون بتغييب المرأة تغييبا كاملا عن قضايا الدين والمجتمع، بظن أنهم يحافظون بذلك على عفاف المرأة أو حجابها، إذ أن عفاف المرأة وحجابها وصيانتها يعتمد على الوعي، وإلا فإن الحجاب الذي تفرضه التقاليد من غير قناعة، ويلزِم به الوضع الاجتماعي من دون معرفة من الممكن أن لا يصمد فيما لو تغيرت تلك المعطيات.

والطريق إلى الوعي والمعرفة يعني أن تسأل المرأة كما يسأل الرجل عن دينه، وعما يجب عليه، وأن تتجه كما يتجه إلى أهل الذكر، وقد سبق الحديث عن جانب من هذا.

٢- إن معالجة الإشكالات والشبهات الواردة على الإنسان، كسائر الأمور الأخرى هو فن، يحتاج إلى متخصص فيه، ولا يعني عدم قدرته على الإجابة في نفس الوقت أن مذهبه عاجز أو أن الفكر الذي ينتمي إليه عقيم.

وإنما حال هذا الأمر حال غيره، لا بد من عرضه على أهل الذكر، والمعرفة والمتخصصين في هذا الجانب وأخذ الجواب الصحيح منهم. فليس مطلوبا من الإنسان أن يكون متخصصا في الإجابة على الأسئلة في علوم الكيمياء والفيزياء والطب وو.. كذلك ليس واجبا عليه أن يكون متخصصا في الإجابة على العقد والشبهات التي تطرح في الأمور المذهبية والدينية..

(١) النحل: ٤٣.

(٢) النساء: ٨٣.

نعم لا بد من المعرفة العامة بقضايا العقيدة، عن دليل وبرهان، في حدود ما يجعله معتقدا..

وأما أنه مثلا لماذا يحرم من العقيق ولا يحرم من الربذة، أو لماذا يكبر على الميت خمسا لا أربعا.. وما أشبهه، فإن هذا يطلب من أهل التخصص، وهذا هو الذي فعلته أم سلمة.

٣- إن ما يخبر عنه أهل البيت عليهم السلام من أحكام، وعقائد لم يكن ناشئا من عند أنفسهم، وإنما هو ما ورثوه من علم رسول الله ﷺ الذي ينبئ عن ربه، غاية الأمر أن هذا هو من ذلك القسم من مدينة العلم التي لم يأت باقي المسلمين إلى بابه، ولم يفتحوه بمفتاح الإمامة، فحرموا من هدي رسول الله، وبقوا خارج هذه المدينة.

ولأجل هذا يتعجب المخالفون لأهل البيت من أنه كيف يخالف الشيعة (الذين لا يتبعون إلا منهج المعصومين) كيف يخالف هؤلاء الشيعة سائر المسلمين وعامة الناس؟ وكأنّ قول الناس ـ بما هم ناس وكثرة ـ دليل شرعي!! بينما ينبغي أن يتعجب الناس من عمل أنفسهم وأنهم كيف تركوا عترة النبي وذريته والوارثين لعلمه، وعملوا لأنفسهم فقها جديدا، يعتمد قياسات واستحسانات وظنوناً ليست بحجة[١] حتى لو أوصلت ـ وهي لا توصل للواقع ـ. وهذا معنى ما يشير إليه الإمام الصادق عليه السلام مخاطبا بعض فقهاء عصره من غير شيعته قائلا: شرِّقا وغرِّبا فلا تجدان علما صحيحا إلا شيئا خرج من عندنا أهل البيت.

كان من هذه الوالدة الواعية التي هي في طبقة أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، وقد روت عن الإمام الصادق كما تقدم، نسل طيب: منهم ولدها

(١) مفاد روايات كثيرة من الطرفين منها الحديث المشهور في أن القضاة ثلاثة، (وفي بعضها أربعة) منها الذي يقضي بالحق ولا يعلم أنه الحق.

محمد بن مهاجر بن عبيد الأزدي الذي روى عنها وقد ترجمه الرجاليون بأنه كوفي ثقة ومن أصحاب الإمام الباقر والصادق عليهما السلام، ومنهم ابنه (حفيدها) إسماعيل بن (أبي خالد) محمد بن مهاجر وهو أيضا من أصحاب الصادق عليه السلام وتوفي سنة ١٤٦هـ، وقد وثقه الرجاليون وذكروا أن له كتاب (القضايا).



٣- حُبَّى: زوجة الكميت بن زيد الأسدي

كانت موجودة إلى سنة ١٢٦هـ

❁ ❁ ❁ ❁

كان المجتمع العربي ـ ولا زال في بعض نقاطه ـ يرى في المرأة نقطة الضعف والمشكلة التي سيتورط فيها منذ ولادتها وإلى أن تموت!

وكان على أثر ذلك أن تعامل مع النساء بطرق مختلفة تنتهي إلى قضية واحدة هي أنها مشكلة، و(ورطة) سواء ما قامت به بعض القبائل من وأدها قبل الإسلام، أو عزلها وإلغاء دورها، أو إهانة موقعها أو غير ذلك.

وجاء الإسلام بمنطق جديد غير مألوف في ذلك المجتمع، فهو يتحدث عن المرأة الصالحة[١] كما يتحدث عن الرجل الصالح، ويقدمها نموذجا للذين آمنوا رجالا ونساء[٢]، ويذكر أعمال نساء في الكتاب الكريم[٣]، في إلفاتات إلى

---

(١) ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧)

(٢) ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحريم:١١)

(٣) ذكرهن بخصال: التوبة من حوا ﴿قالا ربنا ظلمنا﴾ والشوق من آسية ﴿رب ابن لي عندك بيتا﴾ والضيافة من سارة ﴿وامرأته قائمة﴾ والعقل من بلقيس ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية﴾ والحياء من امرأة موسى ﴿فجاءته إحداهما تمشي﴾ والإحسان من خديجة ﴿ووجدك عائلا﴾ والعصمة من فاطمة عليها السلام ﴿ونساءنا ونساءكم﴾.. وغيرهن.

مواقف طيبة.

وبالإضافة إلى القرآن الكريم فقد أكثر النبي ﷺ من الحديث عن النساء الصالحات، والمؤمنات الفاضلات، فقد أكثر في الحديث عن خديجة بنت خويلد عليها السلام، وفاطمة الزهراء عليها السلام وغيرهما. مبينا كيف أن المرأة الصالحة بهذا المستوى، يمكن أن ترتقي حتى تكون مقياسا لرضى الله وميزانا لحبه، ويكون غضبها علامة على غضبه سبحانه وتعالى[(١)].

وبهذا لم تبق في حدود ما أراد لها الفكر المتخلف من أنها مشكلة وأزمة، ونقطة ضعف دائمة.

والقضية وإن كانت على المستوى النظري بهذا الوضوح، إلا أنه من الناحية العملية كان هناك خطان يلحظهما المتأمل في المسيرة التاريخية لمجتمع المسلمين، خط يرى أن المرأة لا تزال نقطة الضعف والأزمة المشكلة، وآخر يرى أن حالها حال شقيقها الرجل، متى ما تمت تربيتها تربية سليمة، وأخذت العلم والمعرفة، فإنها ستغدو حلا للمشاكل، لا مشكلة، وستصبح معينة في تفريج الأزمات، لا أن تكون أزمة. وهي في هذا تشبه الرجل تماما.

والفوارق التي توجد بينهما، كما أنها تساعد الرجل في كثير من المواطن في إنجاز مسؤوليته فإن نفس تلك الفوارق تعينها بالذات في حل جزء آخر من المشاكل ربما لا يستطيع الرجل حلها.

وخط آخر ظل يرى فيها نفس تلك النظرة السابقة، وربما استفاد من هذه الحالة لكي يعيق حركة الرجال، كما رأينا أن الأمويين عندما جاؤوا للحكم استخدموا أسلوب الضغط على النساء باعتبارهن مشكلة في بعض القبائل، والعشائر لكي يحققوا من وراء ذلك الضغط مآربهم وأهدافهم.

---

(١) ذكره محب الدين الطبري في ذخائر العقبى فقال: قال رسول الله ﷺ: «يا فاطمة إن الله عز وجل يغضب لغضبك ويرضى لرضاك»

فكان أن تم سجن زوجة عمرو بن الحمق الخزاعي كما تقدم ذكرها..

وربما كان بعض الذين (يشيرون) على الإمام الحسين عليه السلام أن لا يخرج بنسائه إلى كربلاء ناظرين إلى مثل هذا المعنى تبعا لمعرفتهم بخسة الأمويين، وعدم التزامهم الأخلاقي. فـ(نصحوا) الحسين عليه السلام أن يدع نساءه وأطفاله في المدينة أو في مكة، باعتبار أن هؤلاء يشكلون نقطة ضعف ربما استفاد منها الأمويون وضغطوا بها على الحسين.

وقد خاطبهم الإمام الحسين عليه السلام مذكرا بأن هؤلاء النساء لهن دور عظيم ينتظرهن، وهو إكمال رسالة الثورة حيث لا يستطيع غيرهن ذلك. باعتبار أن الفوارق التي توجد بين الرجل والمرأة تكون لصالح دور المرأة هنا. فمن السهل هنا قتل الرجل لو أرادوا لكن الأمر ـ بحسب الموازين السائدة ـ كان أصعب في قتل المرأة. وحالة المظلومية بالنسبة للرجل أقل إثارة منها بالنسبة للمرأة، وهكذا سائر الفوارق الأخرى أشار الحسين عليه السلام إلى ذلك بأنه «شاء الله أن يراهن سبايا» وبهذه الطريقة يكن قد نصرن الرسالة المحمدية[1].

بالرغم من أن الأمويين أرادوا أن يعيدوا المسألة جذعة، وتبقى المرأة المسلمة في المربع الأول الذي أرادها لها العقل العربي قبل الإسلام، إلا أن النساء المسلمات، والواعين من المؤمنين قد رفضوا ذلك عمليا، بل قلبوا المعادلة حين حولوا ضعف المرأة إلى نقطة قوة، وحياءها إلى صفعة كرامة للحاكمين، وكلماتها إلى سيوف وأسنة.

ها نحن أمام نموذج من تلك النماذج الرائعة، التي سجن زوجها، ولكنها بدل أن تنشغل بلطم وجهها والصراخ على زوجها، ولعن الزمان على مصيبتها، فتتحول إلى نقطة ضعف مركزة، وإلى كابح يعيق أي إنسان

---

(١) يراجع كتاب: من قضايا النهضة الحسينية للمؤلف / الجزء الأول: سؤال: ما معنى شاء الله أن يراهن سبايا.

عن التفكير في مبدئه لكيلا تصبح زوجته ثكلى، ومصابة!

بدل ذلك فإنها قبلت مهمة من أخطر المهمات لكي ينجو زوجها، وهي بذلك ضربت أروع الأمثلة على الوفاء لزوجها وفداء حياتها لأجل حياته، من جهة، وأيضاً ضربت مثالاً أعلى في الشجاعة والإقدام حيث ستواجه جدران الزنزانة ومصيرا غير معلوم مع أعداء حاقدين.

حبّى.. زوجة الكميت بن زيد الأسدي:

عاشت تجربة صعبة عندما سجن زوجها الكميت الأسدي بخديعة من خالد بن عبد الله القسري الذي أوغر صدر الحاكم الأموي، عندما اشترى عدة جوارٍ وجعلهن يحفظن قصائد الكميت (الهاشميات) التي كانت في ذلك اليوم أعظم من (جيش). ومما جعلهن يحفظنه قوله:

نفى عن عينك الأرق الهجوعا ... وهم يمترى منها الدموعا
دخيل في الفواد يهيج سقما ... وحزنا كان من جذل منوعا
وتوكاف الدموع على اكتئاب ... أحل الدهر موجعه الضلوعا
ترقرق أسجما دررا وسكبا ... يشبه سحها غربا هموعا
لفقدان الخضارم من قريش ... وخير الشافعين هما شفيعا
لدى الرحمن يصدع بالمثاني ... وكان له أبو حسن مطيعا
حطوطا في مسرته ومولى ... إلى مرضاة خالقه سريعا
فأصفاه النبي على اختيار ... بما اعيا الرفوض له المذيعا
ويوم الدوح دوح غدير خم ... أبان له الولاية لو أطيعا
ولكن الرجال تبايعوها ... فلم أر مثلها حظا مبيعا
فلم ابلغ بهم لعنا ولكن ... أساء بذاك أولهم صنيعا
فصار بذاك أقربهم لعدل ... إلى جور واحفظهم مضيعا

أضاعوا أمر قائدهم فضلوا وأقومهم لدى الحدثان ريعا

تناسوا حقه وبغوا عليه بلا ترة وكان لهم قريعا

فقل لبنى أمية حيث حلوا وان خفت المهند والقطيعا

أجاع الله من اشبعتموه واشبع من بحوركم أجيعا

بمرضي السياسة هاشمي يكون حيا لامته ربيعا

وليثا في المواطن غير نكس لتقويم البرية مستطيعا

يقيم أمورها ويذب عنها ويترك جدبها أبداً مريعا

وصدر أمر الحاكم الأموي هشام بن عبد الملك إلى خالد وهو عامله على العراق: ابعث إلي برأس الكميت بن زيد الأسدي!!

فلم يشعر الكميت إلا والخيل محدقة بداره فاخذ وحبس في الحبس.

وكان ابان بن الوليد عاملا على واسط وكان الكميت صديقه فبعث إليه بكتاب مع غلام على بغل وقال له: أنت حر إن لحقته والبغلة لك. وكتب إليه: أما بعد فلقد بلغني ما صرت إليه وهو القتل إلا أن يدفع الله عز وجل وأرى لك أن تبعث إلى حبى (وهي زوجة الكميت وكانت ممن تتشيع أيضاً) فإذا دخلت إليك تنقبت نقابها ولبست ثيابها وخرجت فإني أرجو الأمن لك.

فركب الغلام وسار بقية يومه وليلته من واسط إلى الكوفة فصبحها فدخل الحبس متنكرا وأخبر الكميت بالقصة. فبعث الكميت إلى امرأته فقص عليها القصة وأن عليها لكي تنقذه أن تبقى مكانه بينما يلبس ثيابها ويخرج متنكرا، حتى لا يعرف، وقال: أي بنية عم اعلمي أن الوالي لا يقدم عليك ولا يسلمك قومك ولو خفته عليك لما عرضتك له.

فألبسته ثيابها وإزارها وخمّرته، وقالت: أقبل وأدبر ففعل. فقالت: ما أنكرت منك شيئا إلا يبسا في كتفيك اخرج على اسم الله!!

وأخرجت معه جاريتين لها فخرج، وعلى باب السجن أبو الوضاح

حبيب بن بديل ومعه فتيان من أسد فلم يؤبه له ومشى الفتيان بين يديه إلى سكة شبيب بناحية الكناس فمر بمجلس من مجالس بني تميم فقال بعضهم: رجل ورب الكعبة!! وأمر غلامه فاتبعه، فصاح به أبو الوضاح: يا كذا وكذا (يشتمه) أراك تتبع هذه المرأة منذ اليوم!!

وأومى إليه بنعله فولى العبد مدبرا، وادخله أبو الوضاح منزله ولما طال على السجان الأمر نادى الكميت فلم يجبه فدخل ليعرف خبره، فصاحت به المرأة: وراءك.. لا أم لك!! فشق ثوبه ومضى صارخا إلى باب خالد فاخبره.

فاحضر حُبّى فقال لها: يا عدوة الله احتلت على أمير المؤمنين وأخرحت عدو أمير المؤمنين؟ لأنكلن بك ولأصنعن ولأفعلن!! فاجتمعت بنو أسد وقالوا: ما سبيلك على أمرأة منا خدعت فخافهم.

واستطاعت هذه الزوجة الشجاعة أن تنقذ حياة زوجها إلى حينٍ. حيث أنه بعدما هرب من ذلك السجن وعلم أنه مطارد من قبل الخلافة الأموية استطاع أن يتعامل معهم بنفس منطقهم فاستجار بقبر أحد كبارهم ممن يعز على الخليفة الأموي وأنشد فيه بعض أبيات المدح، والقصائد تقية وحفاظا على حياته[1]. إلى

(١) العجيب من بعض الأعلام ـ على ما هو عليه من الجلالة ـ عندما لم يتوجه إلى لحن كلام الإمام الباقر عليه السلام فتصوره عاتب الكميت واعترض عليه، بينما كان الإمام في صدد إقرار ما فعله الكميت، بل هو يقرر بذلك قاعدة عامة في تجويز القول بالتقية، فانظر متعجبا إلى ما قاله آية الله ناصر مكارم الشيرازي في كتابه القواعد الفقهية ج ١ ص ٤١٦: تحت عنوان: لا يجوز التقية في فساد الدين:

ومنها – ما رواه (الكشي) في رجاله عن درست بن أبي منصور قال كنت عند أبي الحسن موسى عليه السلام وعنده (الكميت بن زيد) فقال للكميت أنت الذي تقول: فالآن صرت إلى أمية – والأمور لها مصائر؟! قال: قلت ذلك وما رجعت عن إيماني، وإني لكم لموال ولعدوكم لقالٍ، ولكني قلته على التقية!

قال عليه السلام: أما لئن قلت ذلك.. إن التقية تجوز في شرب الخمر!

وهذا يدل على اعتراض الإمام عليه السلام على الكميت في شعره الذي معناه «الآن =

= رجعت إلى أمية وأمورها الآن إلى ترجع » فإنه مدح بالغ لهم ودليل على رجوعه إليهم بعد أن كان معروفا بالموالاة لائمة أهل – البيت عليهم السلام. ولكن الكميت الناصر لأهل البيت عليهم السلام بقلبه وبلسانه اعتذر بأنه إنما قالها بلسانه تقية وحفظا لظواهر الأمور، وأما الإمام عليه السلام لم يقنع بعذره فأجابه بان باب التقية لو كان واسعاً بهذه الوسعة لجاز في كل شيء تقية حتى في شرب الخمر، مع انه لا يجوز.

فهو دليل على عدم جواز التقية بمثل هذا المدح البالغ لبنى أمية الجائرة أو إظهار المحبة لهم، وهذا من مثل الكميت الشاعر البارع المشهور بحبه للائمة عليهم السلام قد يوجب تقوية لدعائم الكفر والضلال وتأييدا لبقية أحزاب الجاهلية وأشياعهم، فلا يجوز له، ولو جاز إنما جاز في شرايط وظروف بالغة الخطورة لا في مثل ما قال الكميت فيه، فلذا واجهه عليه السلام بالعتاب.

أقول: الظاهر من الحديث هو خلاف ما ذهب إليه الشيخ الجليل، فليس ذلك عتابا وإنما هو تأييد وإمضاء لما ذكره، ولا أظن أنه يلتزم بأنه لو كان التقية بحد الحفاظ على النفس في شرب الخمر، لا أظنه يلتزم بعدم جواز شرب الخمر لذلك.. نعم ورد عنهم عليهم السلام أنهم ـ هم ـ لا يتقون في ثلاث من جملتها شرب الخمر، وقد حملها علماؤنا على محامل شتى منها أن هذا حكم خاص لهم ولذا ذكر زرارة في ذيل أحد الأحاديث أنه: ولم يقل يجب عليكم أن لا تتقوا فيهن أحدا، ومنها أنه لا يُقبل منهم باعتبار أن مذهبهم في تحريمه معروف، فليس موضعا للتقية.. وغير ذلك، وأما ما ذكر في تعليقه على الحديث المذكور فلا يمكن المساعدة عليه ولا الركون إليه. كيف وقد جازت التقية لمثل عمار حتى أظهر كلمة الكفر، وهي أعظم من شرب الخمر!! بل ورد في روايات أخرى أن التقية في كل ضرورة.

هذا بغض النظر عما في الرواية التي تم الاستدلال بها، فإن درست بن أبي منصور، يقول كنا عند أبي الحسن موسى وكان عنده الكميت فقال للكميت كذا.. هذا مع أن الكميت بن زيد الأسدي هو من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام ولم يدرك الإمام موسى ابن جعفر الكاظم عليه السلام، إذ مات مقتولا بيد أنصار خالد بن عبد الله القسري سنة (١٢٩هـ) كما أشار إليه غير واحد من المؤرخين ونص ابن معصوم في الدرجات الرفيعة على أنه استشهد سنة ١٢٦هـ، وذكره الأردبيلي رحمه الله في جامع الرواة الجزء الثاني قائلا: مات في حياة أبي عبد الله الصادق عليه السلام.. فعلى أي تقدير هو لم يدرك الإمام موسى بن جعفر، ولذا أشار آية الله الخوئي رحمه الله في معجم رجال الحديث بعد أن نقل الرواية المذكورة إلى أنه قد مات في حياة الصادق عليه السلام قائلا، بأنه لو صحت الرواية ففيها تحريف لا محالة.

أن دارت الدائرة على (خالد القسري) بعدما عاث ﴿**اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ**﴾[1]. وبقيت حبى زوجة الكميت في سجن خالد القسري، إلى أن استطاع الكميت باستعماله للتقية أن يستميل جانب هشام بن عبد الملك، بإنشاده بعض القصائد عنده، ويمحو بجميل حديثه ما كان في قلب هشام عليه، فـ(عفا) عنه، وحباه، فطلب منه الكميت أن لا يجعل لخالد القسري عليه إمرة ولا ولاية ما دام حيا، ففعل، وكتب بالتالي إليه أن يطلق زوجته من أسرها. فخرجت مرفوعة الهامة ثابتة المنهج.

كانت العادة أن يفدي الرجال النساءَ ويدافعون عنهن. ونحن أمام نموذج متميز، فقد تبدل موقع نون النسوة، ليكون في موقع الفعل لا الانفعال. امرأة من صنف جديد من النساء اللاتي يدافعن عن الرجال، ويحمين الأزواج ويفدين بالنفس في سبيل المبادئ.

فنعمت الزوجة البطلة، ونعم الزوج المجاهد.

---

(١) فاطر: ٤٣.

٤- خديجة بنت عمر بن علي السجاد عليه السلام
الراوية الصابرة

❀ ❀ ❀ ❀

للحديث عن شخصية لا بد من الإشارة إلى الوضع الاجتماعي الذي عايشته تلك الشخصية، وبالذات عندما يكون الحديث عن شخصية نسائية، فإن الظروف المحيطة بها (من كونها زوجة تارة، وأمّاً أخرى) تفرض عليها نمطا من الحياة ربما لم يكن بمقدورها معه الاختيار. فلو تصورنا امرأة كانت زوجة لأحد الثائرين أو المطلوبين للسلطة فإنها ليس بإمكانها أن تغير ذلك، ولا أن تغير من وضعها في هذه المعادلة إذ ليس الأمر باختيارها عادة، ولكن ما هو تحت اختيارها كيفية تعاملها مع ذلك الوضع الذي وجدت نفسها فيه، هل تندب حظها وتكون معيقاً وكابحاً لزوجها أو أنها تكون بلسماً لجراحه، ودافعا لنشاطه، وسترا عليه؟ وبهذا تتمايز النساء فتتفوق بعضهن وتتصاعد بينما تهوي أخريات.

بل إن هذا الأمر صادق في الرجال وإن كان بنسبة أدنى، فلا يوجد الفرد في أسرة باختياره، ولا ينتسب إليها بقرار، وما هو واقع تحت اختياره هو موقفه فيها، هل يكون مثالا للصلاح والإصلاح أو يتخذ موقفا مقابلا لذلك.

هلم.. عزيزي القارئ، عزيزتي القارئة، لنرى الأسرة التي وجدت نفسها خديجة فيها.. والدها، زوجها..

والدها: هو عمر[1] بن علي بن الحسين (السجاد زين العابدين).. الملقب بعمر الأشرف[2]، وقد كان «.. فاضلا جليلا، وولي صدقات النبي ﷺ

(١) ربما يحاول البعض الاستفادة من كون بعض الأئمة قد سموا أبناءهم بـأبي بكر أو عمر أو عثمان، أن العلاقة بين خط أهل البيت عليهم السلام وبين خط الخلافة كانت علاقة حميمة ولم يشبها ما يكدر صفوها، وأن ما يقوله الشيعة من وجود حالة من الفتور أو المعارضة، غير صحيح وإلا لما كان الإمام علي عليه السلام يسمي بعض أبنائه بعمر أو أبي بكر أو عثمان، وهكذا الحال بالنسبة إلى زين العابدين عليه السلام..

وفي الواقع هذا يعتبر تبسيطا شديدا للغاية، وتسطيحا ساذجا لمسألة العلاقة بين الخطين.. ويمكن النقض عليه أولا بعكس ذلك، فهل نفهم من عدم تسمية آل أبي قحافة لأي واحد منهم باسم علي أو الحسن أو الحسين أنهم كانوا أعداء أهل البيت؟ ومثل ذلك آل أبي الخطاب في عدم تسمية أي من أبنائهم أو أحفادهم باسم علي أو الحسن أو الحسين، هل نفهم من ذلك أن علاقتهم كانت سيئة، لعدم التسمية؟ وهكذا الحال في العائلة الأموية التي يرجع إليها الخليفة الثالث؟؟ فإذا كانت التسمية تدل على الانسجام من قبل أهل البيت مع خط الخلافة فلا بد أن يلتزموا أن عدم التسمية أيضا يدل على عدم الانسجام من قبل خط الخلفاء مع خط أهل البيت..

يضاف إلى ذلك أن المسألة ليست مسألة أسماء وظواهر، وإنما مسألة جوهر وواقع، فإن كان هناك اختلاف في الخط، والتوجهات، وكان هناك تظلم من قبل أهل البيت تجاه مخالفيهم في خط الخلافة أعلن عنه أمير المؤمنين عليه السلام مرارا وأكده أبناؤه الأئمة المعصومون في مناسبات مختلفة ومناظرات متعددة، فما ينفع أن يسمي هذا الطرف أبناءه باسم ذاك أو عكس المسألة؟. ولقد أشرنا إلى أن الخط التقليدي غير الشيعي في الأمة يحتاج إلى إجابة على ما حدث في عصور الإسلام الأولى من منازعات ومشاكل بين الأطراف الأخرى، والتي لا تنسجم مع نظرية عدالة الصحابة، ولا تفسير القوم لما جرى بعد وفاة رسول الله ﷺ، فكان أن عمدوا إلى نفي وجود الاختلافات، واصبحوا يتمسكون لنفيها بمثل هذه الأمور التي تنفع لو نفعت القشة غريقا!!

هذا على أن تلك الأسماء لم تصبح ملكا لمن يتسمى بها، حتى (يستأذنه) من يأتي من بعده في التسمية بها.

(٢) تمييزا له عن عم أبيه عمر الأطرف بن علي بن أبي طالب حيث حاز الأشرف على شرف انتسابه لعلي وفاطمة عليهما السلام، بينما كان شرف عم أبيه من (طرف واحد) وهو أمير المؤمنين عليه السلام.

وصدقات أمير المؤمنين عليه السلام وكان ورعا سخيا، وقد روى داود بن القاسم عن الحسين بن زيد قال: رأيت عمي عمر بن علي بن الحسين - عليه السلام - يشترط على من ابتاع صدقات علي عليه السلام أن يثلم في الحائط كذا وكذا ثلمة، ولا يمنع من دخله أن يأكل منه »[1].

وروى أبو الجارود زياد بن المنذر: « قيل لأبي جعفر الباقر - عليه السلام -: أي إخوتك أحب اليك؟ فقال - عليه السلام - أما عبد الله فيدي التي أبطش بها - وكان عبد الله أخاه لأبيه وأمه - وأما عمر فبصري الذي أبصر به، وأما زيد فلساني الذي أنطق به، وأما الحسين فحليم يمشي على الأرض هونا.. »..
فهذا هو والد خديجة: رجل ورع وسخي وآية سخائه أنه كان يشترط على من تولى صدقات أمير المؤمنين عليه السلام أن يجعل في حائطها ثلمات حتى يستطيع الجائع والمحتاج أن يأكل، وأنه لا يمنعهم من ذلك. وفي نفس الوقت هو (بصر) الإمام الباقر عليه السلام ويكفي هذا التعبير في بيان عظمة المعبرّ عنه.

زوجها: الحسين بن زيد الشهيد بن علي بن الحسين (زين العابدين): كان في بيت الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام منذ حداثة سنه بعدما استشهد والده، وقد استفاد من كونه في بيت الإمام علما كثيرا يرى المتتبع البعض منه فيما روي عنه في أبواب مختلفة من الفقه. إضافة إلى غير الفقه.

مع تصاعد الوضع السياسي أيام أبي جعفر المنصور العباسي الذي كان يتبع سياسة الاستئصال للقوة العلوية، بل لكل قوة غير قوته، كان أن انطلقت ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن المعروف بالنفس الزكية، والتي كانت بمثابة الاستفتاء السلبي على الحكومة العباسية إذ اشترك فيها الفقهاء والعلماء حتى من غير المصنفين فقهيا على مذهب أهل البيت عليهم السلام.

وبنفس القوة والزخم الذي كانت عليه تلك الثورة، كانت مواجهتها

(١) الإرشاد للشيخ المفيد

من قبل العباسيين، فأجهضت بعنف شديد. استشهد قائد الثورة محمد، وأخوه إبراهيم، وعدد غير قليل من أنصارهما من الهاشميين وغيرهم. وبقي على قيد الحياة (بقية السيف) متخفين، مطاردين.

وكان ممن اختفى الحسين بن زيد هذا، وقيل إنه اختفى في بيت الإمام الصادق عليه السلام فترة طويلة من الزمان، وأن الإمام قد زوجه، وكانت زوجته خديجة بنت عمر الأشرف بن علي بن الحسين السجاد عليه السلام.

الصابرة المصبِّرة:

أن تعيش امرأة مع زوجها المطارد، والمهدد بالاعتقال، والذي يحمل جراحا نفسية دامية، من الماضي، فهذا يحتاج إلى نمط من النساء صابر ومصبر.. قوي ويصنع القوة لدى الطرف الآخر.

فالحسين زوجها قد ظل مدة طويلة من الزمان متخفيا، وبعيدا عن الأنظار، ثم لما خف الطلب عنه وعن أمثاله ظل في حالة من الحذر بحيث حتى وهو يخرج إلى الناس يبقى على مسافة منهم، فلا يدخل عليه إلا من يثق به. ولا يثق إلا بمن يعرفه.

وفي تلك الفترة كانت الأحداث التي مرت عليه بدء من شهادة والده وإخوته وأقاربه، واختفاء بعضهم الآخر[1]، تخلق في داخله أخاديد للحزن

---

(١) لمعرفة شيء عن المعاناة التي ألمت بهذه العترة الطيبة، وكيف أنها صارت غرضا للحاكمين ترمى بعنفهم قتلا وسجنا وتشريد، ننقل لك ما ذكره المؤرخون عن اختفاء عيسى بن زيد، أخ الحسين المذكور هنا.. فقد نقل يحيى بن الحسين بن زيد، ابن خديجة صاحبة الترجمة أعلاه ما يلي: كما ذكره الاصفهاني في كتاب مقاتل الطالبيين ص ٢٧٠:

قال: قال يحيى بن الحسين بن زيد: قلت لأبي: يا أبة، إني أشتهي أن أرى عمي عيسى بن زيد، فانه بقبح بمثلي أن لا يلقى مثله من أشياخه، فدافعني عن ذلك مدة وقال: إن هذا أمر يثقل عليه، وأخشى أن ينتقل عن منزله كراهية للقائك إياه فتزعجه، فلم أزل به أداريه والطف به حتى طابت نفسه لي بذلك فجهزني إلى الكوفة وقال لي: =

لا تجف ينابيعها، وكان يحتاج إلى من يمسح عنه درن ذلك الحزن، ووعثاء ذلك الهم وهذا ما كانت عليه خديجة زوجته، فهي تراه كثير الحزن حتى

= إذا صرت إليها فاسأل عن دور بني حي، فإذا دللت عليها فاقصدها في السكة الفلانية، وسترى في وسط السكة دارا لها باب صفته كذا وكذا فاعرفه واجلس بعيدا منها في أول السكة، فانه سيقبل عليك عند المغرب كهل طويل مسنون الوجه قد أثر السجود في جبهته عليه جبة صوف يستقي الماء على جمل، وقد انصرف يسوق الجمل لا يضع قدما ولا يرفعها إلا ذكر الله – عز وجل– ودموعه تنحدر فقم وسلم عليه وعانقه، فانه سيذعر منك كما يذعر الوحش، فعرفه نفسك وانتسب له، فإنه يسكن إليك ويحدثك طويلا، ويسألك عنا جميعا ويخبرك بشأنه ولا يضجر بجلوسك معه، ولا تطل عليه وودعه، فانه سوف يستعفيك من العودة إليه فافعل ما يأمرك به من ذلك، فانك إن عدت إليه توارى عنك واستوحش منك وانتقل عن موضعه وعليه في ذلك مشقة.

فقلت: أفعل كما أمرتني. ثم جهزني إلى الكوفة وودعته وخرجت، فلما وردت الكوفة قصدت سكة بني حي بعد العصر، فجلست خارجها بعد أن تعرفت الباب الذي نعته لي، فلما غربت الشمس إذ أنا به قد أقبل يسوق الجمل وهو كما وصف لي أبي لا يرفع قدما ولا يضعها إلا حرك شفتيه بذكر الله ودموعه ترقرق في عينيه وتذرف أحياناً، فقمت فعانقته فذعر مني كما يذعر الوحش من الإنس فقلت: يا عم أنا يحيى بن الحسين بن زيد بن أخيك، فضمني إليه وبكى حتى قلت قد جاءت نفسه، ثم أناخ جمله وجلس معي فجعل يسألني عن أهله رجلاً رجلاً، وامرأة امرأة، وصبياً صبياً، وأنا أشرح له أخبارهم وهو يبكي، ثم قال: يا بني أنا أستقي على هذا الجمل الماء، فأصرف ما اكتسب، يعني من أجرة الجمل إلى صاحبه وأتقوت باقيه، وربما عاقني عائق عن استقاء الماء فأخرج إلى البرية، يعني بظهر الكوفة، فألتقط ما يرمي الناس به من البقول فأتقوته. وقد تزوجت إلى هذا الرجل ابنته، وهو لا يعلم من أنا إلى وقتي هذا فولدت مني بنتا، فنشأت وبلغت، وهي أيضاً لا تعرفني، ولا تدري من أنا، فقالت لي أمها: زوج ابنتك بابن فلان السقاء – لرجل من جيراننا يسقي الماء – فانه أيسر منا وقد خطبها، وألحت علي فلم أقدر على إخبارها بأن ذلك غير جائز، ولا هو بكفء لها (أقول: ربما كان غير متدين أو ليس ذا خلق) فيشيع خبري، فجعلت تلح علي فلم أزل استكفى الله أمرها حتى ماتت بعد أيام فما أجدني آسى على شيء من الدنيا أساي على أنها ماتت ولم تعلم بموضعها من رسول الله ﷺ. قال: ثم اقسم علي أن أنصرف ولا أعود إليه وودعني. فلما كان بعد ذلك صرت إلى الموضع الذي انتظرته فيه لأراه فلم أره، وكان آخر عهدي به.

عرف بـ(ذي الدمعة) كلقب مميز، وقد اختلط خوفه من الله وبكاؤه له، مع حزنه على أهله (أبيه وإخوته وسائر الشهداء) في مزيج عجيب. فكانت بمثابة البلسم الشافي له.. مع أن الألم أحيانا كان أقوى من المداراة ومن المواساة.

يقول يحيى ابنها، قالت أمي لأبي: ما أكثر بكاءك؟!

فقال: وهل ترك السهمان والنار سرورا يمنعني من البكاء؟ - يعني السهمين الذين قتل بهما أبوه زيد وأخوه يحيى.

المحدثة الراوية:

إلى جانب حياتها الصعبة تلك في ظل زوج مطارد، فإننا نلتقي بصورة أخرى من حياة السيدة خديجة بنت عمر الأشرف وهي صورة الراوية المحدثة. فقد استفادت من الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام علما جما، ويوجد لها روايات في كتب الحديث والفقه، فقد روى عنها عبد الله بن إبراهيم بن محمد الجعفري قال:

أتينا خديجة بنت عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام نعزيها بابن بنتها، فوجدنا عندها موسى بن عبد الله بن الحسن، فإذا هي في ناحية قريبا من النساء، فعزيناهم، ثم أقبلنا عليه فإذا هو يقول لابنة أبي يشكر الراثية: قولي فقالت:

أعدد رسول الله وأعدد بعده ... أسد الإله وثالثا عباسا
وأعدد علي الخير وأعدد جعفرا ... وأعدد عقيلا بعده الرواسا

فقال: أحسنت وأطربتني، زيديني، فاندفعت تقول:

فمنا إمام المتقين محمـــد ... وحمزة منا والمهذب جعفر
ومنا علي صهره وابن عمه ... وفارسه ذاك الإمام المطهر

فأقمنا عندها حتى كاد الليل أن يجيء، ثم قالت خديجة: سمعت عمي محمد بن علي صلوات الله عليه وهو يقول: إنما تحتاج المرأة في المأتم إلى النوح لتسيل دمعتها ولا ينبغي لها أن تقول هجرا، فإذا جاء الليل فلا تؤذي الملائكة بالنوح[1].

ثم غدوا عليها في يوم آخر فأخذت تحدثهم عن ما جرى على آل الحسن من قبل العباسيين وموقف الإمام الصادق عليه السلام من ذلك، وحزنه عليهم:

فحدثتنا خديجة بنت عمر بن علي أنهم لما أوقفوا عند باب المسجد - الباب الذي يقال له باب جبرئيل - أطلع عليهم أبو عبد الله عليه السلام وعامة ردائه مطروح بالأرض، ثم أطلع من باب المسجد فقال: لعنكم الله يا معاشر الأنصار - ثلاثا - ما على هذا عاهدتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا بايعتموه، أما والله إن كنت حريصا ولكني غلبت وليس للقضاء مدفع، ثم قام وأخذ إحدى نعليه فأدخلها رجله والأخرى في يده وعامة ردائه يجره في الأرض، ثم دخل بيته فحم عشرين ليلة، لم يزل يبكي فيه الليل والنهار حتى خفنا عليه..

---

(١) الكافي ١ ص ٣٥٨



٥- أم سلمة بنت محمد بن علي الباقر عليه السلام

يضعف الإنسان أحيانا ـ مع قدراته المختلفة ـ عن مواجهة التحديات الحياتية، وتقسو عليه ظروفه فيغدو عاجزا عن فعل شيء تجاهها.. فتارة هو في مواجهة سلطة سياسية ظالمة لا تعرف للرحمة معنى، ولا للعدل مصداقا، فتقوم بتدمير حياته أو حياة الأقربين منه، اعتقالا وتعذيبا، ونفيا وتشريدا، ومصادرة أموال وأملاك.. وهكذا يرى الإنسان نفسه وحيدا، لا يستطيع فعل شيء سوى تجرع الغصص غصة بعد أخرى.

وتارة أخرى يصاب ـ أو من يعنيه أمره ـ بمرض عضال، ينتظر معه الموت في كل لحظة، بل قد يكون الموت أحيانا أهون عليه منه. ويظل هكذا سنوات ترفعه موجة الأمل وتسحقه أثقال الواقع. محطة للتجارب الطبية، ومشتلا للأدوية المختلفة أو المتخالفة، يرى عمره قد انتهى في السعي للدواء من مكان إلى آخر، ومن طبيب إلى غيره.

وثالثة تسد أبواب الرزق أمامه، فإذا طرق بابا لم يسمع غير رجع الصدى والوحشة، ويمنعه الحياء أن يطلب من غيره، فيبقى هو وأمثاله ممن **﴿يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلونَ النَّاسَ الحَافاً﴾**[1]. وقد يكون تحت رعايته عدد من الأولاد والبنات، الذين يتوق

(١) البقرة ٢٧٣

لكي يصنع لهم حياة فيها الراحة والرفاه، فلا يرى منهم إلا نظرة الترقب والأسى لأنه لا يجد لهم، ولا هم يستطيعون سبيلا غير ذلك.

ورابعة.. تحصل أزمة في داخل أسرته، كأن يكون الولد مضطهَدا، أو الزوجة مخدوعة، أو الزوج.. وهكذا تكر سبحة المعاناة الإنسانية، وتتعاظم صور الألم.

فما هو المخرج؟

يسلك الناس عدة طرق في التخلص من الواقع الذي يعيشون فيه معاناتهم وألمهم:

ـ فالبعض يسلك طريق الهروب: فيتخلص من المشكلة بالتخلص من حياته ويلجأ إلى المحذور الأعظم وهو الانتحار، وقتل الذات. حينما ينهار عن مواجهة المشكلة والتفكير في حلولها يعلن هزيمته بأن ينتحر[1].. في

---

(١) بالرغم من أن الاحصائيات حول حالات الانتحار مختلفة من حيث العدد، إلا أنها تشير ـ مجتمعة ـ إلى تزايد هذه المشكلة وتعاظمها في مختلف الدول. فقد ذكرت التقارير أن أعداد الأشخاص المقبلين على الانتحار على مستوى العالم تعتبر مذهلة، حيث يقدم ١٠-٢٠ مليون شخص على الانتحار سنويا يفلح منهم مليون في محاولاتهم. وقد زادت نسب محاولات الانتحار الناجحة في الخمسة وأربعين عاما الماضية بنسبة ٦٠٪ سواء في الدول المتقدمة أو النامية.

وأما في التفاصيل فقد تجاوزت حالات الانتحار عام ١٩٩٤ (٣١) ألف حالة في أمريكا بينما سجلت حالات الانتحار في اليابان ارتفاعا قياسيا للعام الثاني على التوالي، حيث بلغ عدد المنتحرين في نهاية مارس/آذار الماضي / أكثر من ثلاثة وثلاثين ألف شخص وقد أرجِع حوالي نصف حالات الانتحار لمشكلات صحية ويقول تقرير للوكالة القومية للشرطة إن عدد المنتحرين بسبب المصاعب الاقتصادية ارتفع بنسبة أحد عشر في المئة . وفي ألمانيا قال بيان صادر عن الدائرة الاتحادية في مدينة فيسبادن الالمانية أن عدد حالات الانتحار في ألمانيا بلغ العام ٢٠٠٠م أكثر من ١١ ألف شخص.

وأما في أستراليا فبحسب أرقام حكومية فإن حالات الانتحار بين الشباب =

صورة هي أسوأ صور الضعف والهزيمة، وأشد الذنوب والكبائر. إذ أنها تعبر عن فقدان الإيمان بالله والتصرف العدواني في إزهاق نفس محترمة.

أو أنه يهرب من المشكلة بالهروب من الواقع، والعيش في الوهم ليعود إلى المربع الأول الذي هرب منه فيرتطم بالمشكلة بصورة أشد قسوة. وهذا ما يلجأ إليه البعض من الخاطئين، في التوجه إلى المسكرات والخمور، أو الإدمان على المخدرات، فينفق ماله في إتلاف عقله، ويحصل على تلف المال والقدرة العقلية وتصوّر ـ عزيزي القارئ ـ امرأ لا مال عنده ولا عقل لديه!!

إن الحياة بتعقيداتها المختلفة لو استخدم فيها الإنسان كامل عقله وحكمته، وما أنعم الله عليه به من مال، لو استخدم كل ذلك (قد ولاحظ أنها للتقليل)، قد يعيش سعيدا منعما، فكيف لو أتلف أمواله، ودمر قدرته العقلية.. أتراه يستطيع العيش بسعادة؟

لكن البعض يختار هذا الطريق السيئ ويتخبط مدة من الزمان في أوهام الهروب التي تزيد من مشاكل الواقع والحضور، والبعض ـ وما أكثرهم ـ ينتهي بهم الأمر إلى إنهاء حياتهم انتحارا ويكون بذلك قد ﴿**خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ**﴾[1].

= الأسترالي من الذكور تضاعفت تقريبا منذ عام ١٩٧٥، وهناك واحد من بين كل خمسة شبان يعاني من الاكتئاب، كما أن واحدة من بين كل أربع حالات وفاة بين الشباب الأسترالي يكون سببها الانتحار.

وأما في الدول العربية فلا توجد في الغالب إحصاءات عن هذا الجانب ولكن بعض التقارير تقول أنه قد ارتفع عدد حالات الانتحار في اليمن خلال العامين المنصرمين إلى حوالي ٥١٩ حالة، منها ٣١٦ حالة انتحار والشروع فيه خلال الفترة من ١ يناير، وحتى نهاية نوفمبر من عام ٢٠٠٢م فقط، حسبما ذكرت تقارير أمنية رسمية مؤخراً، ويعني ذلك أنها زادت عن سنة ٢٠٠٠م بنسبة ٥٢٪. وسجل أكثر من ١٠٠ حالة انتحار في لبنان خلال عام. وفي الكويت حوالي ٥١ حالة انتحار..

(١) الحج: ١١

ـ وقسم من أهل المعاناة يلجأ إلى القوة المعنوية، والقدرة الروحية لكي يحل بذلك معاناته.. لكنه يخطئ الطريق الموصل إليها، فيلجأ إلى أهل السحر والشعوذة، ويطلب حل مشكلته ممن لم يستطيعوا حل مشاكلهم، أو يتمنى صحة بدنه ممن يتمرغون في وعثاء العلة. والغنى ممن هو في الفقر والحاجة.

ويقوم هؤلاء باستغلال تلك الحالات من الحاجة الإنسانية، والضعف البشري، فيكونون عونا للمشكلة على صاحب المشكلة. ويحمّلون الفقير مصاريف كثيرة لوهم مؤقت، ويطلبون من المريض ما يطلبون لتحصيل عافية لن يأتي منها غير الوهم والتعب.

وللأسف فإنه بالرغم من التجارب المرة التي انتهت إلى نتائج أشبه بالكارثة حيث الاستغلال الجنسي للنساء، وحوادث الاغتصاب، وخسارة الأموال وهي في بعض الحالات ـ محصول العمر ـ.. إلا أنه مع ذلك فإن إقبال الكثير من النساء والرجال على هذا الطريق يشهد تزايدا ونموا.. والغريب أنه لا يقتصر على ذوي المستويات الفكرية والثقافية الواطئة بل يشمل بعض الطبقات المتعلمة وذوي الكفاءات العلمية!!

ـ وهناك الطريق الصحيح الذي ينبغي أن يتبعه الإنسان فيما إذا أصيب بمشكلة أو ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وقُدر عليه رزقه، أو لم تستجب أعضاء بدنه لحاجاته.. رفع كفيه إلى السماء مخاطبا ربه حيث لا حاجب ولا حاجز يحجزه عنه، واتصل به في ما هو اقصر شيء مسافة بين الداعي وبين من هو أقرب إليه من حبل الوريد، وتضرع إليه كما يعلمنا أهل البيت عليهم السلام:

اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون، ويا من إلى ذكر إحسانه يفزع المضطرون، ويا من لخيفته ينتحب الخاطئون، يا أنس كل مستوحش غريب، ويا فرج كل مكروب كئيب ويا غوث كل مخذول فريد، ويا عضد كل محتاج طريد. أنت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلما، وأنت الذي جعلت لكل مخلوق في نعمك سهما، وأنت الذي عفوه أعلى من عقابه، وأنت الذي تسعى رحمته أمام

غضبه، وأنت الذي عطاؤه أكثر من منعه وأنت الذي اتسع الخلائق كلهم في وسعه وأنت الذي لا يرغب في جزاء من أعطاه، وأنت الذي لا يفرط في عقاب من عصاه. وأنا يا إلهي عبدك الذي أمرته بالدعاء، فقال: لبيك وسعديك ها أنا ذا يا رب مطروح بين يديك، أنا الذي أوقرت الخطايا ظهره وأنا الذي أفنت الذنوب عمره، وأنا الذي بجهله عصاك، ولم تكن أهلا منه لذاك. هل أنت يا إلهي راحم من دعاك فأبلغ في الدعاء؟ أم أنت غافر لمن بكاك فأسرع في البكاء؟ أم أنت متجاوز عمن عفر لك وجهه تذللا؟ أم أنت مغن من شكا إليك فقره توكلا؟ إلهي لا تخيب من لا يجد معطيا غيرك، ولا تخذل من لا يستغني عنك بأحد دونك. إلهي فصل على محمد وآله، ولا تعرض عني وقد أقبلت عليك، ولا تحرمني وقد رغبت إليك، ولا تجبهني بالرد وقد انتصبت بين يديك، أنت الذي وصفت نفسك بالرحمة، فصل على محمد وآله وارحمني، وأنت الذي سميت نفسك بالعفو فاعف عني[1].

هذا الطريق هو الذي يسلكه المؤمنون، وسلكته أم سلمة بنت الإمام الباقر عليه السلام عندما مرض ابنها واستنقذته من الموت، بدعائها لمالك الحياة والموت.

تزوجها محمد[2] (الأرقط) بن عبد الله (الباهر) ابن السجاد عليه السلام

(١) الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين عليه السلام

(٢) الكلام في محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين المعروف بالأرقط بين الرجاليين في عدة اتجاهات: فقسم يرى كونه إمامياً ومن أصحاب الصادق لكنه مجهول الحال فليس له توثيق، وقسم آخر يظهر منه الطعن عليه وسبب ذلك ما نقل من أنه بصق في وجه الإمام الصادق فدعا عليه فصار وجهه مرقطاً ومجدوراً، كما نقل أبو نصر البخاري في كتابه سر السلسلة العلوية، ولعله أول من ذكر هذا القول والغريب أنه يقول أبو نصر هذا أنه «ولد محمد الباقر أربعة بنين وبنتين درجوا كلهم ـ أي ماتوا صغارا ـ إلا أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق» مع أن إطباق المؤرخين والنسابة على أن أم سلمة التي نترجمها هي من أبناء الباقر وكانت باقية ولها ذكر كما ترى، وتزوجت من محمد الأرقط، ولها منه أبناء.. فكيف يجتمع هذا القول مع قوله أن أولاد الباقر عليه السلام قد ماتوا كلهم صغاراً إلا الصادق؟ ولا نعلم من أين أتى برواية أن محمد الأرقط قد أساء الأدب مع =

= الإمام الصادق.. مع أن الناظر إلى الروايات الواردة في كتب أهل البيت عليهم السلام تشير إلى أنه كان مع الإمام مما يؤيد القول بأنه كان إمامياً حسن الحال فمن ذلك:

١ـ تزويجه بأخت الإمام الصادق عليه السلام..

٢ـ ومنها: روايته عن الإمام الصادق عليه السلام عددا من الروايات: مثلما نقله عنه في الوسائل ج ١٦: عن محمد بن عبد الله الأرقط، عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: من ارتكب أحداً بظلم بعث الله من ظلمه مثله أو على ولده أو على عقبه من بعده.

وعن محمد بن الأرقط، عن أبي عبد الله عليه السلام قال، قال لي: تنزل الكوفة؟ فقلت: نعم، فقال: ترون قتلة الحسين عليه السلام بين أظهركم؟ قال: قلت: جعلت فداك ما بقي منهم أحد، قال: فأنت إذا لا ترى القاتل إلا من قتل، أو من ولى القتل؟! ألم تسمع إلى قول الله: ﴿قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فأي رسول قتل الذين كان محمد صلى الله عليه وآله بين أظهرهم، ولم يكن بينه وبين عيسى رسول، وإنما رضوا قتل أولئك فسموا قاتلين.

٣ـ ومن ذلك أيضا انه كان في وقت الخلاف الذي افتعل بين الحسنيين (عبد الله بن الحسن) والحسينيين ممثلا في الإمام الصادق عليه السلام (وقد تحدثنا عن رؤيتنا فيه في موضع آخر من هذا الكتاب) كان محمد بن عبد الله بن علي هذا في صف الإمام الصادق وربما ناقش الحسنيين في أفكارهم، واحتج عليهم، وتعلم من الصادق عليه السلام كيفية الاحتجاج، بل ربما احتج الإمام الصادق باسم محمد بن عبد الله بن علي هذا لكي يبطل كون (المهدوية) بمجرد التشابه الاسمي، فقد نقل العلامة المجلسي في بحار الأنوار ج ٦٢ ص ٤٠ عن بصاير الدرجات:

محمد بن الحسين عن البزنطي عن حماد بن عثمان عن علي بن سعيد قال: كنت جالسا عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده محمد بن عبد الله بن علي إلى جنبه جالسا وفي المجلس عبد الملك بن أعين ومحمد الطيار وشهاب بن عبد ربه فقال رجل من أصحابنا: جعلت فداك إن عبد الله بن الحسن يقول: لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا. فقال أبو عبد الله عليه السلام بعد كلام: أما تعجبون من عبد الله يزعم أن أباه علي من لم يكن إماما ويقول: إنه ليس عندنا علم وصدق، والله ما عنده علم، ولكن والله وأهوى بيده إلى صدره: - إن عندنا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه ودرعه وعندنا والله مصحف فاطمة ما فيه آية من كتاب الله وإنه لإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطه علي (عليه السلام) بيده، والجفر وما يدرون ما هو؟ مسك شاة أو مسك بعير. ثم أقبل إلينا وقال: أبشروا أما ترضون أنكم تجيئون يوم القيامة آخذين بحجزة علي وعلى آخذ بحجزة رسول الله صلى الله عليه وآله؟

وفي رواية أخرى في البحار أن الذي تعجب من عبد الله بن الحسن وكلامه هو

= محمد بن عبد الله الأرقط:

فقال محمد بن عبد الله بن علي: العجب لعبد الله بن الحسن أنه يهزأ ويقول: هذا في جفركم الذي تدعون؟ فغضب أبو عبد الله عليه السلام فقال: العجب لعبد الله بن الحسن يقول: ليس فينا إمام صدق، ما هو بإمام ولا كان أبوه إماما، يزعم أن علي بن أبي طالب عليه السلام لم يكن إماما، ويردد ذلك، وأما قوله: في الجفر، فإنما هو جلد ثور مذبوح كالجراب فيه كتب وعلم ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة من حلال وحرام إملاء رسول الله ..

وقد علم الإمام بعضهم الاحتجاج حتى باسم محمد بن عبد الله بن علي، الأمر الذي كان عبد الله بن الحسن يستفيد فيه من تشابه اسم ابنه (محمد بن عبد الله) لإثبات أنه المهدي.. ففي البحار عن منصور بن حازم قلت للصادق: صحبني رجل من المعتزلة، قال: فيما كان يقول؟ قلت: كان يزعم محمد بن عبد الله بن الحسن يرجى هو القائم، والدليل على ذلك أن اسمه اسم النبي واسم أبيه اسم أبي النبي فقلت له في الجواب: إن كنت تأخذ بالأسماء فهو ذا في ولد الحسين محمد بن عبد الله ابن علي فقال لي: إن هذا ابن أمة يعني محمد بن عبد الله بن علي وهذا ابن مهيرة يعني محمد بن عبد الله بن الحسن، بن الحسن، فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: فما رددت عليه؟ قلت: ما كان عندي شيء أراد عليه فقال: لو تعلمون أنه ابن ستة (أمة) يعني القائم عليه السلام.

٤ـ ما يظهر منه أنه كان شديد الإيمان بكلام الإمام الصادق عليه السلام إلى حد أنه يأمر غيره بترك التوسل بالأسباب الاعتيادية التي يتوسل بها عامة الناس، وأن يعتمد على ما ذكره الإمام في قضاء حوائجه.. وهذا لا يكون إلا لمن يعتقد اعتقادا راسخا بكلام الإمام، ويسلم تسليما نهائيا: فانظر إلى هذه الرواية وتأمل فيها: كما نقلها الشيخ الطوسي في الأمالي ص ٥٨٤ بسنده عن:

محمد بن عجلان، قال: أصابتني فاقة شديدة ولا صديق لمضيق، ولزمني دين ثقيل وغريم يلج باقتضائه، فتوجهت نحو دار الحسن بن زيد، وهو يومئذ أمير المدينة لمعرفة كانت بيني وبينه، وشعر بذلك من حالي محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين، وكان بيني وبينه قديم معرفة، فلقيني في الطريق فأخذ بيدي وقال لي: قد بلغني ما أنت بسبيله، فمن تؤمل لكشف ما نزل بك؟ قلت: الحسن ابن زيد. فقال: إذن لا تقضى حاجتك ولا تسعف بطلبتك، فعليك بمن يقدر على ذلك، وهو أجود الأجودين، فالتمس ما تؤمله من قبله، فإني سمعت ابن عمي جعفر بن محمد يحدث عن أبيه عن جده، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: أوحى الله إلى بعض أنبيائه في بعض وحيه إليه. وعزتي وجلالي لأقطعن أمل كل مؤمل =

وهي ابنة عمه، وولد له منها إسماعيل.

مرض إسماعيل هذا مرضا شديدا يئسوا معه من حياته حتى لقد كان بنو هاشم يستعدون لجنازته، فأرسلت أمه إلى أخيها الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وهي في حالة يرثى لها، وجاءها الإمام عليه السلام فرآها في حالة نفسية سيئة من الحزن والأسى، فوجهها إلى ما ينبغي فعله في هذه الحال فقال:

= غيري بالاياس، ولأكسونّه ثوب المذلة في الناس، ولأبعدنّه من فرجي وفضلي، أيؤمل عبدي في الشدائد غيري، أو يرجو سواي! وأنا الغني الجواد، بيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني، ألم يعلم أنه ما أوهنته نائبة لم يملك كشفها عنه غيري، فما لي أراه بأمله معرضا عني، قد أعطيته بجودي وكرمي ما لم يسألني، فأعرض عني ولم يسألني وسأل في نائبته غيري! وأنا الله ابتدئ بالعطية قبل المسألة، أفأسال فلا أجيب؟ كلا أو ليس الجود والكرم لي، أو ليس الدنيا والآخرة بيدي، فلو أن أهل سبع سماوات وأرضين سألوني جميعا فأعطيت كل واحد منهم مسألته، ما نقص ذلك من ملكي مثل جناح بعوضة، وكيف ينقص ملك أنا قيّمه ؟ فيا بؤس لمن عصاني ولم يراقبني. فقلت: يابن رسول الله، أعد علي هذا الحديث ، فأعاده ثلاثا فقلت: لا والله لا سألت أحدا بعد هذا حاجة، فما لبثت أن جاءني برزق وفضل من عنده.

ولهذا فإننا نعتقد أن ما ذكره أبو نصر البخاري لا يمكن المساعدة عليه، بل نراه خاطئا، وأبو نصر وإن كان حجة في النسب إلا أنه ليس كذلك في معرفة مواقف العلويين من الأئمة عليهم السلام. وما ذكرناه من القرائن وغيرها ـ مما لا يمكن التفصيل فيه لئلا نخرج عن نظام الكتاب ـ كاف في تأييد القول بحسن حاله وأن موقفه كان على خط الإمامة.

هذا إضافة إلى أننا لم نر أحد من الرجاليين ولا المؤرخين قد طعن فيه لا في نسبه ولا في عمله، فمن أين أتى البخاري بقوله: وإنما يطعنون فيه لكذا وكذا؟؟ نعم لم نجد توثيقا صريحا بالنسبة له، عند أصحابنا فقد ذكره الشيخ الطوسي في رجاله وقال: محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام الهاشمي المدني، اسند عنه، مات سنة ثمان وأربعين ومائة، وله ثمان وخمسون سنة. ولم يذكره بتوثيق ولا ذم. وباقي النسابين عندما ذكروه تعرضوا إلى أنه كان مجدور الوجه، من دون الحديث عما ذكره أبو نصر البخاري: فقد ذكر ابن عنبه، والشيخ أبو الحسن العمري أنه لقب بالأرقط لأنه كان مجدورا.

ضمي عليك ثيابك ثم ارقي فوق البيت ثم اكشفي قناعك حتى تبرزي شعرك إلى السماء ثم قولي أنت أعطيتنيه وأنت وهبته لي اللهم فاجعل هبتك اليوم جديدة انك قادر مقتدر ثم اسجدي فانك لا ترفعين رأسك حتى يبرأ ابنك فسمعت ذلك وفعلته قال فقمت من ساعتي فخرجت مع خالي الى المسجد[١].

كان هذا ابنها الأول إسماعيل الذي استوهبته من الله سبحانه بتعلمها صلاة الحاجة ودعاء من أخيها الإمام الصادق عليه السلام بالفعل هبة الله لها، حيث أنه فيما بعد التصق بخاله الصادق وأخذ عنه العلوم والمعارف وكان راوياً إمامياً ثقة، روى حديث النص على إمامة الإمام الباقر عليه السلام[٢] وروايات متعددة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام[٣].

---

(١) تهذيب الأحكام والكافي وغيرهما..

(٢) الكافي للكليني عن أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار، عن أبي القاسم الكوفي، عن محمد ابن سهل، عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما حضر علي بن الحسين عليهما السلام الوفاة، قبل ذلك أخرج سفطا أو صندوقا عنده، فقال: يا محمد احمل هذا الصندوق، قال: فحمل بين أربعة، فلما توفي جاء إخوته يدعون [ما] في الصندوق فقالوا: أعطنا نصيبنا في الصندوق فقال: والله ما لكم فيه شيء ولو كان لكم فيه شيء ما دفعه إلي وكان في الصندوق سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣) منها ما نقله ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج ٢٤ ص ٤٩: بسنده عن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي حدثني إسماعيل بن الحكم الرافعي عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال: قال أبو رافع جمع رسول الله صلى الله عليه وآله ولد بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا وإن كان منهم لمن يأكل الجذعة ويشرب الفرق من اللبن فقال لهم يا بني عبد المطلب إن الله لم يبعث رسولا إلا جعل له من أهله اخا ووزيرا ووارثا ووصيا ومنجزا لعداته وقاضيا لدينه فمن منكم يتابعني على أن يكون أخي ووزيري ووصيي وينجز عداتي وقاضي ديني فقال إليه علي بن أبي طالب وهو يومئذ أصغرهم فقال له اجلس وقدم إليهم الجذعة والفرق من اللبن فصدروا عنه حتى أنه لهم وفضل منه فضله فلما كان في اليوم الثاني أعاد عليهم القول ثم قال يا =

بينما كان ابنها الآخر العباس بن محمد ضحية النزق العباسي، والفحش الهاروني، ولعلك تتعجب كيف أن خليفة المسلمين الذي يقعد مقعد لا يليق إلا بنبي أو بوصي نبي وإذا به يشتم بألفاظ لا تناسب غير السوقة.. ويريد مع ذلك أن لا يرد عليه أحد ممن شتمه، حتى إذا انتصر أحد لنفسه أو لعرضه، جرد عليه سيف القتل؟! أرأيت إلى مَ وكيف آلت الخلافة التي قامت على غير ما أسس الله؟ نعم نقل الاصفهاني في كتابه (مقاتل الطالبيين) ما يلي:

العباس بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام ويكنى أبا الفضل. وأمه أم سلمة بنت محمد بن علي بن الحسين.

= بني عبد المطلب كونوا في الإسلام رؤوسا ولا تكونوا أذنابا فمن منكم يبايعني على أن يكون أخي ووزيري ووصيي وقاضي ديني ومنجز عداتي فقام إليه علي بن أبي طالب فقال اجلس فلما كان اليوم الثالث أعاد عليهم القول فقام علي بن أبي طالب فبايعه بينهم...

ومنها ما رواه المحدث النوري في خاتمة المستدرك ج ٣ ص ١٦٥ وغيره في غيره: حدثنا إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين قال: حدثنا إسماعيل بن الحكم الرافعي، عن عبد الله بن عبيدالله ابن أبي رافع، عن أبيه، عن أبى رافع قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو نائم، أو يوحى إليه، وإذا حية في جانب البيت فكرهت أن أقتلها فاوقظه، فاضطجعت بينه وبين الحية حتى إن كان منها سوء يكون إلي دونه فاستيقظ وهو يتلو هذه الآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ثم قال: «الحمد لله الذي أكمل لعلي عليه السلام منيته، وهنيئا لعلي عليه السلام بتفضيل الله إياه» ثم التفت إلي فرآني إلى جانبه، فقال: «ما أضجعك ها هنا يا أبا رافع؟» فأخبرته خبر الحية، فقال: «قم إليها فاقتلها» فقتلتها. ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي فقال: «يا أبا رافع، كيف أنت وقوم يقاتلون عليا وهو على الحق وهم على الباطل؟ يكون في حق الله جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم فبقلبه، فمن لم يستطع فليس وراء ذلك شيء». فقلت: ادع لي إن أدركتهم أن يعينني الله ويقويني على قتالهم. فقال: «اللهم إن أدركهم فقوه وأعنه» ثم خرج إلى الناس، فقال: «يا أيها الناس من أحب أن ينظر إلى أميني على نفسي وأهلي، فهذا أبو رافع أميني على نفسي».

حدثني احمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثني يحيى بن الحسن العلوي، قال: حدثني عبد الله بن محمد، قال: دخل العباس بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين، على هارون فكلمه كلاما طويلا، فقال هارون: يابن الفاعلة.

قال: تلك أمك التي تواردها النخاسون. فأمر به فأدنى فضربه بالجرز[1] حتى قتله.

(١) الجرز: عمود من حديد



في رحاب الإمام الصادق عليه السلام



موجز عن حياة الإمام
جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

الإمام أبو عبد الله ٨٣- ١٤٨ هـ:

ولد سنة ٨٣ هـ وتوفي سنة ١٤٨هـ وعمره ٦٥ سنة، عاش منها ١٢ سنة مع جده السجاد، ومدة إمامته ٣٤ سنة.

عاصر من حكام الأمويين هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد ومروان بن محمد (الحمار)، ومن حكام العباسيين أبو العباس السفاح، والمنصور.

تميز حكم الأمويين تلك الفترة بالضغط على الأمة. واللعب بثرواتها، باستثناء فترة حكم عمر بن عبد العزيز وكان شعارهم في ذلك «إحلب الدرّ فإن انقطع فاحلب الدم»، وزاد في أيام سليمان ويزيد والوليد الفساد الأخلاقي لأنهم- وهم الحاكمون- لم يكونوا يمتنعون عن التظاهر به، وفي نفس الوقت كثرت الانتفاضات والثورات ضد هذا الحكم.

كما تميز حكم العباسيين (أيام السفاح والمنصور) بكونه لا يزال طري العود ولم يستحكم، وأنه كان لتوه قد رفع شعارات الدعوة إلى (الرضا من آل محمد)..

وفّر الظرف المذكور (أواخر أيام الأمويين وأوائل أيام العباسيين) فرصة مناسبة للإمام الصادق عليه السلام لأداء رسالته الثقافية، لانشغال الحاكمين

بأنفسهم.. فكان عليه السلام قد أسس مدرسة علمية بلغ عدد تلاميذها أربعة آلاف. نقلوا عن الإمام الصادق علماً كثيراً ودونوه فيما عرف بالأصول الأربعمائة التي اعتمد عليها المحدثون فيما بعد لتأليف الموسوعات الحديثية الموسعة. كما نقل عنه تلاميذه مختلف فنون العلم كالفلسفة والكيمياء والطب.. وغيرها.

ثار في أيام الأمويين عمّه زيد بن علي بن الحسين، «ولو ظفر لوفى» وكان زيد يتمتع بتأييد الإمام الصادق الخفي، كما ثار في أيام العباسيين محمد بن عبد الله (النفس الزكية)، وأخوه إبراهيم.

رفض الإمام الصادق عليه السلام المشاركة المباشرة في الثورات، كما رفض استدراج قادة العباسيين ولو كان بعضهم قد عرض عليه ذلك بحسن نية، وذلك لأن تقييمه للظرف والرجال كان «ما أنت من رجالي ولا الزمان زماني» وأثبت جريان الأحداث فيما بعد صواب ذلك التقييم.

شهدت أيام الإمام الصادق حركات فكرية خطيرة، كان منها حركة الزندقة، والتي لم يستطع الأمويون والعباسيون مواجهتها بالرغم من توسلهم بالسيف والتصفية الجسدية للزنادقة، لأن الفكر الخاطئ إنما يقاوم بالفكر السليم لا بالسيف، وكان منها حركة الغلاة، وهي وإن كان ظاهرها رفع شأن الأئمة إلاّ أن واقعها كان ينسف أرضية الالتزام الديني، لذلك قاومها الإمام الصادق، وحارب دعاتها، وتبرأ من زعمائها، كما أوضح النظر الصحيح في المسألة.

كان للمنصور العباسي معه مواقف وحاول أن يقتله أكثر من مرة، بدعوى أنه يحضر للثورة ضد المنصور وأنه يجمع السلاح، والأموال، ولأن الإمام عليه السلام كان في غير هذا الاتجاه حقيقة. إذ كان يقيم الظروف بما لا تنتهي إلى هذا، وأن الداء لم يكد يعالج بالانتفاضة المسلحة، فكانت محاولات المنصور تنتهي إلى الفشل.

قضى عليه السلام مسموما عام ١٤٨ هـ. ودفن في المدينة المنورة.

١- أم خالد: الثائرة المجهولة

سيدات المجتمع الراقي.. سيدات المجتمع المخملي، حسناوات الموضة..

تعبيرات مختلفة عن مجاميع عدمت الاهداف الكبرى في حياتها فراحت تبحث عن ذاتها ووجودها في غير المكان الصحيح.. مجاميع الناظرات إلى الأشياء لا الأهداف، ورؤية المقتنيات لا الشخصيات، وتقييم النفوس بمقدار ما تملك من النقود والفلوس. لا بمقدار ما تحسن من دور، وما تقوم به من خدمة وعمل.

مجتمعات حياتها كلها تمثيل، وكلها أفلام، والعجيب أنهم لا يتركون ذلك، مع أن تمثيل فيلم لمدة ثلاث ساعات يكلف الممثل جهدا.. لكن هؤلاء مجمل حياتهم تمثيل، مشاعرهم تمثيل ظاهري، منظرهم تمثيل، ترحيبهم تمثيل، حبهم، بغضهم، بكاؤهم وضحكهم، إيمانهم وكفرهم.. كله تمثيل وأعجب من ذلك أنهم لا يتعبون من هذا التمثيل الدائم.. نعم عندما يخونهم الزمان، ويفقدون المال، عندها لا يستطيعون الاستمرار في لعب تلك الأدوار لحاجتها الدائمة للمال، فقد ينتبه بعضهم وينزل من خشبة التمثيل تلك، والبعض الآخر لا يحب أن يفارقها فيستمر حتى يسقط في دائرة الديون والافلاس..

ها أنت ترى أنهم يُخدعون بأن الشخصية القوية هي في العطر الفلاني،

وأن الساعة الكذائية هي خيار الناجحين، وأن السيجارة الفلانية.. وإلى آخر هذه القائمة، فيعوضون النجاح الحقيقي في المجتمع بالنجاح الزائف في (التحلي بالمقتنيات وفي شراء الأشياء).. وأسوأ شيء يمكن أن يصاب به إنسان أن (تتشيأ) القيم عنده، فيظن أنه يستطيع الحصول على (صفات) النجاح والشخصية المحبوبة من خلال عطر، أو ساعة أو ثوب أو حذاء!!

سيدات المجتمع المخملي، تعبير عن مقدار من المال يملكه أشخاص لم يكونوا يستحقون هذا المال ولا يعرفون كيف يصنعون منه مجدا لدنياهم، ولا فلاحا لأخراهم، ولا خدمة لأبناء مجتمعهم، ولا يمسحون به دمعة يتيم أو يرفعون به خلة محتاج.. فبقي يضيع في المتاجر لشراء ما لا حاجة له ولا ضرورة، إنما المهم أن يُشترى ليُعرض حتى يتبين من خلال ذلك (الجمال والشخصية)!!

العجيب أنه حتى الجمال صار مستعارا، وصار تمثيلا، فكم تقاسي إحدى هؤلاء من جهد بدني، وضغط نفسي لكي (تبدو) جميلة!!

المجتمع الراقي تعبير عن مجاميع الرياء والمظاهر.. ليس مهما ما الذي يحدث في داخل الأسرة من مشاكل، وما يكلف الأمر من مصاعب، المهم أن (تبدو) بصورة جذابة، وأن (تظهر) أمام الآخرين لافتة للنظر، وأن يقبلن عليها لكي (يتأملن) هذا الثوب أو تلك القطعة من الحلي، وأنها هل هي من تصميم المصمم الفلاني المعروف أو من غيره!! سباق لا ينتهي إلى نقطة وليس فيه خط نهاية لأنه سباق عبثي، وليس فيه جائزة لأنه لا ينتهي.

❁ ❁ ❁ ❁

على الضفة الأخرى من هذا النهر، تجد المجتمع الحقيقي لا الراقي، المجتمع بكل فئاته وتناقضاته، تجده على صورته الحقيقية، بلا زيف أو مساحيق، وبلا تمثيل.. هنا مسرح الحياة الذي ترى فيه الناس على صورهم الأصلية، وضمن مشاعرهم الطبيعية، في عنفهم ورضاهم، وإحسانهم

وأذاهم، ومواجهتهم للمشاكل، وتعرضهم للمصاعب. وفي قضاياهم الحقيقية، في مواقف الإيمان تظهر عناصر الجودة، مع أنهم لا يقصدون (الإظهار أو الإبراز أو الإبداء).. فإذا حدثت نكبة في المجتمع استظهرت تلك النكبة عناصر الخير والبركة في أفراد ذلك المجتمع، وإذا أقبلت على المجتمع فتنة فكرية، تعاملوا معها بوعي ويقين، حتى يخرجوها من دائرة التأثير..

ومن هذه النماذج امرأة حفظ لنا التاريخ موقفها، وإن أغفل نسبها، وأصلها وعائلتها.. أترى التاريخ والذكر الطيب يقف على غير محطات المواقف الحسنة؟ أو يدقق في الأنساب والأشياء الخارجية؟

أم خالد.. امرأة كانت بحجم المسؤولية، فلم تكتف بأن تنعزل عن المجتمع وآلامه ومشاكله، أو تنشغل في مكياجها، وأدوات تجميلها، وأنوثتها حتى تستغرق عليها العمر كله وإنما كانت تنظر بعين البصيرة إلى المجتمع وما يجري فيه من قضايا، فقد كانت من أولياء أهل البيت عليهم السلام، منتمية إلى خطهم، فلما رأت ثورة الشهيد زيد بن علي بن الحسين رضوان الله عليه، قامت تناصرها بمقدار ما تستطيع من التأييد ـ باستثناء المشاركة المباشرة ـ وللعلم فليست مناصرة الثورة تعني بالضرورة الاشتراك القتالي، فإن ما وراء ذلك من مهمات لو لم يكن أكثر من الاشتراك فليس بأقل منه، فالإمداد والتمويل، والدعوة والإعلام وإيجاد الأنصار للخط الثائر بين الناس أمور في غاية الأهمية.

وقُبض عليها من قبل الوالي الأموي الحاقد يوسف بن عمر الثقفي، وهو ثاني الحجاج الثقفي في جرائمه وموبقاته. وكما هي عادة الجبناء مع الضعفاء (أسد علي وفي الحروب نعامة) فقد قام بقطع يد هذه المرأة الصالحة المؤمنة لتكون لباقي النساء تخويفا عن الدخول في الأمور الاجتماعية والسياسية فإن المرأة يصعب عليها أن يتشوه جمالها وأن تفقد أعضاءها وكان يراهن على أن يتم تحييد نصف المجتمع هذا وتخويفه، ونصف المجتمع هذا

بدوره سيقوم بتخويف الرجال فالمرأة تنصح زوجها بعدم الدخول ما بين السلاطين، والبنت تطلب من أبيها أن لا يثكلها.. الخ.. وأيضا ليكون قطع اليد للآخرين عبرة، تردعهم عن الانتماء إلى خط أهل البيت، ولكن خاب فأله وانتكث عليه غزله، فمتى كانت الضغوط والإرهاب تردع اتباع أهل البيت عن إيمانهم، ولكن الظالمين لا يعلمون ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾.

استمرت هذه المرأة وكانت متكلمة بليغة كما يظهر مما نقل عنها، ومتصدية للشأن الاجتماعي، فلم تكن ترى نفسها أقل من الرجال في كونها مسؤولة عن إيمانها، وعن الأخطار التي تتهدده.

فما أن نجم قرن شيطان الانحراف في نفوس بعض أتباع الأئمة وأرادوا أن يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا، ويستغلوا صحبتهم للإمام لتحقيق مآرب شخصية، والحصول على الحطام الدنيوي.. حتى تبرأ الإمام الصادق عليه السلام منهم، فإن «حبيب محمد من أطاع الله» ولا يشفع للإنسان شيء ما لم يشفع له عمله، ولا يستوي المؤمنون وغيرهم..

كثير النواء، سالم بن أبي حفصة، ثابت بن هرمز أبو المقدام والحكم بن عيينة (عتيبة) أسماء كان لها صولات وجولات في معارضة أهل البيت عليهم السلام .. وتعال عزيزي القارئ لنطل إطلالة على تاريخ تلك الفترة:

ازداد عتو الأمويين وظلمهم، لا سيما في عهد هشام بن عبد الملك الذي كان «أحول خشناً فظاً غليظاً» كما يقول في مروج الذهب، وكان لا بد لإيقافه من سيف علوي ثائر، فسله زيد بن علي السجاد رضوان الله عليه بعد أن استشار أخاه أبا جعفر الباقر عليه السلام وهو يتمثل قول الشاعر:

أذل الحياة وعــز الممـات وكلا أراه طعامـا وبيـلا
فإن كان لا بد من واحـــد فسيري إلى الموت سيرا جميلا

وأعلن ثورته في الكوفة، وكان عليها يوسف بن عمر الثقفي، وقاتل زيد ـ على قلة أصحابه ـ قتالا عنيفا وحال المساء بين الفريقين، فراح زيد مثخنا بالجراح وقد أصابه سهم في جبهته فطلبوا من ينزع النصل فأتي بحجام من بعض القرى فاستخرج النصل ومات من ساعته، واستُكتم الحجام أمره ودفن في ساقية، وجعلوا على قبره التراب والحشيش، وأجري الماء عليه.. وحضر الحجام مواراته ثم ذهب في الصباح ليوسف بن عمر وقد طمع في خسيس المال، ودله على الموضع فكتب هذا بدوره إلى هشام، فكتب إليه أن اصلبه عريانا ثم يحرقه ويذر رماده في الرياح.. ولك أن تتأمل في أي الثلاثة كان أكثر خسة!

كان من أسباب فشل تلك الثورة التفرق الذي صنعه البعض في صفوف أفرادها، فهم في ذلك الوقت الحرج، والذي لا بد أن تتجه الطاقات كلها في مواجهة الحكم الأموي قام هؤلاء الحمقى والمصلحيون بطرح أمور شتت شمل الثائرين وشغلت الجميع بمناقشات نظرية مفرقة، وهنا كان الدور الخبيث لهؤلاء البترية، الذين بتروا ساعد الثورة. فهذا الخليط العجيب من الأفكار لهذه المجموعة الالتقاطية كان سببا أساسيا في تفرق الثائرين وقت المواجهة.

البترية كما يقول المؤرخون: هم جماعة دعوا إلى ولاية علي وخلطوها بولاية أبي بكر وعمر، وهم يبغضون عثمان وأهل الجمل ويقولون بالخروج مع أولاد علي عليه السلام، وزاد النوبختي في كتابه ويرون المسح على الخفين، وشرب النبيذ والمسكر وأكل الجري!!

سموا بالبترية لأنهم بدؤوا بطرح هذه القضايا التي تفرق صفوف الثائرين على الحكم الأموي حين الاعداد للثورة، ففي الخبر عن سدير قال: دخلت على أبي جعفر (الباقر) عليه السلام ومعي سلمة بن كهيل وأبو المقدام ثابت الحداد وسالم بن أبي حفصة وكثير النوّا وجماعة معهم، وعند أبي جعفر عليه السلام أخوه زيد بن علي، فقالوا لأبي جعفر عليه السلام: نتولى عليا وحسنا وحسينا ونتبرأ من أعدائهم؟ قال: نعم. قالوا نتولى أبا بكر وعمر ونتبرأ من أعدائهم؟ فالتفت

إليهم زيد بن علي، وقال: أتتبرؤون من فاطمة؟ بترتم أمرنا بتركم الله![1]

وكان أن تحول هذا الخليط من الأفكار إلى أداة تشويش، على الثورة بل على العمل الجاد، فهذه الفئة ليست منسجمة الأفكار فكيف تكون منسجمة العمل، فقد أخذت من كل سائل قطرة، وأرادت أن تخلط العذب الفرات بالملح الأجاج، والعصير بالزيت، فكان ما هم عليه، وإلا فلا جامع يجمع أفكارهم، فلا هم سنة ولا هم شيعة ولا هم خوارج، والعجيب أن مثل الطبري والذهبي يصفان بعضهم بالتشيع المغالي وهم يرون ولاية أبي بكر وعمر! ويبرؤون من أعدائها ولذلك تعجب منهم زيد، فإن فاطمة الزهراء ماتت شهيدة وهي غاضبة منهما، فهل يبرؤون من الزهراء؟؟

وللتناقض الموجود في أفكارهم، فإنهم لا يستطيعون القيام بأي عمل، لأن العمل فرع الفكر والفكر ما لم ينسجم لا يمكن أن يؤدي إلى عمل منسجم، ولذا فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام فيهم: لو أن البترية صف واحد ما بين المشرق إلى المغرب ما أعز الله بهم دينا.

وأمام هذه الفئات المنحرفة لا بد من توضيح الموقف الصحيح تجاهها حتى يكون الناس على حذر، فما أكثر من يكون في الفتنة ضائعا لا يهتدي سبيل الرشاد ولا يعرف الحق، فقد ينجرف في سيل الفتنة والفتانين، وقد يعاديهم على غير بصيرة، وهنا تكمن أهمية الرجوع إلى الحق وإلى رموزه لتعيين ما ينبغي فعله، وهو ما قامت به أم خالد عندما جاءت إلى الإمام الصادق عليه السلام لكي تتعرف منه على الموقف الذي يجب أن تتخذه في مقابل هذه الفئة.

فعن أبي بصير، قال: كنت جالسا عند أبي عبد الله عليه السلام اذ جاءت أم خالد التي كان قطعها يوسف تستأذن عليه، قال، فقال أبو عبد الله عليه السلام:

(١) قاموس الرجال ٤/ ٥٩٦.

أيسرك أن تشهد كلامها · قال، فقلت: نعم جعلت فـداك، فأجلسني على الطنفسة، ثم دخلت فتكلمت فاذا هي أمـرأة بليغة، فسألته عن فلان وفلان، فقال لها: توليهما! قالت فأقـول لـربي اذا لقيتـه انك أمـرتني بولايتهما، قال: نعم. قالت: هذا الذي معك على الطنفسة يأمرني بالبراءة منهما، وكثير النواء يأمرني بولايتهما فأيهما أحب اليك. قال: هذا والله وأصحابه أحب إلى من كثير النواء وأصحابه، إن هذا يخاصم فيقول من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، ومن لم يحكم بما أنزل اللـه فأولئك هم الظالمون، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون، فلما خرجت، قال: إني خشيت أن تذهب فتخبر كثير النـواء فيشهرني بالكـوفة.

وذيّل الكشي الحديث بقوله: في القامـوس: ولى تولية أدبر كتولى والشيء، وعنه أعرض أو نأى. قوله: قالت فان هـذا الـذي معك يظهر من إعادته السؤال وقولها فان هذا الذي معك إلى قـولها فأيهما أحب إليك، أنها تشككت في قوله عليه السلام توليهما أنـه بمعنى ولايتهما ومحبتهما، أو بمعنى التخلي والإعراض عنهما[1]. ويلحظ في دخولها على الإمام الصادق عليه السلام أمور متعددة:

* اهتمامها بالشأن السياسي الديني والذي بذلت فيه من أجل موقفها في تأييد ثورة الشهيد زيد يدها، حيث قطعها يوسف بن عمر الثقفي على خلفية تأييدها لتلك الثورة، ثم فيما بعد عندما نشبت فتنة البترية حيث قامت قاصدة للإمام الصادق لكي تتعرف من خلاله على الموقف الصحيح الذي ينبغي أن يتخذ تجاهها.

* والآخر وهو أن المرأة تستطيع أن تمارس دورها الاجتماعي والديني بل ينبغي لها ذلك، والإسلام هنا لا يمنعها بل يراها مسؤولة أيضا، فالولاية

(١) اختيار معرفة الرجال ٢/ ٥٩.

لأولياء الله والبراءة من أعدائه لا تختص بالرجال، ووعي ما يحصل في المجتمع ليس أمرا رجاليا ذكوريا، بل النساء مطالبات به أيضا، ولذلك رأينا أن الإمام عليه السلام، لم ينكر عليها تصديها لمثل هذه الأمور بل يطلب من أبي بصير أيضا أن يستمع إليها وهي متكلمة بليغة، وهذا ما استفاد منه كثير من العلماء في الرد على القول بأنه لا يجوز أن تُسمع المرأة صوتها للرجال، وأنه لا يجوز أيضا استماع الرجال لهن بما زاد على كلمات محدودة.. بينما خص المشهور ذلك بالاستماع التلذذي، أو عند خوف الوقوع في الحرام.. وأما لو تجرد من ذلك فلا مانع وقد استدلوا بما جرت عليه السيرة من كلام النساء مع الرجال وسؤالهن للمعصومين عليهم السلام وإجابة المعصومين لهن على الأسئلة، وفي هذا الحديث إشارة واضحة لما ذكر. وقد استعرض هذا الأمر بنحو مفصل الفاضل الهندي رحمه الله في كشف اللثام.

مضى ذلك الزمان، ويمضي غيره، وتطوى الأعمار، وتخلولق الثياب بل والأجساد التي تم الحرص عليها التنافس في كسوتها بما غلا وكلّف، لكن المواقف تبقى وتزداد إشراقا وضياء، وكلما مر عليها الزمان وابتعد الإنسان عن القيم، زاد توهجها ألقاً..

لم يبق من (أم خالد) غير اسم حفظ لها موقفا رسالياً وريادياً رائعاً، ويد سبقتها إلى الجنة دفعتها ـ وهي أغلى عليها من الدنيا ـ ثمنا للدين والموقف المدافع عن القيم، بينما يدفع الآخرون دينهم ثمنا لدنياهم، فهنيئا لها، وحشرها الله حيث استقرت يدها تحت قباب المجاهدين.

٢- زينب بنت عبد الله بن الحسن بن الحسن المجتبى عليه السلام

نقطة المركز في دائرة الشهادة:

لو أردت أن تبحث عن نموذج أحاطت به الشهادة الدامية من كل أطرافه فهاك اياه.. زينب بنت عبد الله بن الحسن المثنى (بن الحسن المجتبى).. أبوها شهيد في السجن العباسي، وابنها شهيد فخ: الحسين بن علي بن الحسن المثلث[1] (بن الحسن بن الحسن المجتبى) وزوجها علي بن الحسن المثلث الذي قضى شهيدا متحديا في سجن المنصور. وإخوتها شهداء الثورة محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية وأخوه إبراهيم، وثالثهم إدريس الذي استشهد مسموما في بلده في المغرب بتدبير هارون العباسي، وموسى..

فهي محاطة بدائرة شهداء فمن تنتسب إليهم في الحلقة الأولى شهداء في معارك الحق العلوي ضد الباطل العباسي، وفي الحلقة الثانية كذلك فأبناء أختها رقية أيضا ممن سلكوا درب الشهادة مع شهيد فخ. وأعمامها كذلك.. وأبناء عمومتها.

تقاسم الحسنيون والحسينيون مجد التغيير في الأمة، ففيما أنيطت مهمات

(١) يطلق على الحسن بن الحسن (الحسن المثنى) وعلى الحسن بن الحسن بن الحسن (الحسن المثلث) اختصارا وتمييزا.

الإمامة العظمى والولاية الربانية بالأئمة التسعة من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وكانوا بحق «شجرة النبوة وموضع الرسالة ومختَلَف الملائكة ومعدن العلم، والفلك الجارية في اللجج الغامرة، والكهف الحصين وغياث المضطر المستكين»، «فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمن إن نطقوا صدقوا وإن صمتوا لم يسبقوا»[1]. فحفظوا بذلك رسالة جدهم المصطفى ومواريث علمه، وبثوها بين الناس وكانوا خير الحفظة والخزنة.

وأما الحسنيون فقد سلوا سيفا كذي الفقار أو كشعلة نار على الفسقة والظلمة الذين اتخذوا مال الله بين الجواري والغانيات دولاً وأشراف الأمة عبيداً وخولاً، والصالحين حرباً والفاسقين حزبا وبذلك أوقفوا الانهيار التام الذي كانت الأمة على شُرف الوقوع فيه..

عندما أصبح الحاكم يقول بكل صلافة: لا يأمرني أحد بعد يومي هذا بتقوى الله إلا أخذت عنقه.. والآخر يقول: الخليفة هذا فإن قضى فهذا، ومن أبى فهذا ـ مشيراً إلى سيفه ـ هنا لا مرجع إلا للسيف الصارم والموقف البطولي الصادق، الذي يعكر ليل الظالم ويجعله يفكر ألف مرة قبل الإقدام على ما يشتهي من إذلال الأمة، وتحريف الملة.

وهل ضاعت الأمة إلا بعد أن ضاع خط الحسين وزيد الشهيد، وأمثالهم من الذين تواردوا حياض المنية ورود الهيم العطاش؟

كانت ثورة أبي الشهداء وإمام الأحرار الحسين السبط عليه السلام، فاتحة الخير في الأمة فقلبت على الحاكمين معادلتهم إذ ظنوا أنهم يستطيعون أن يفعلوا ما يشاؤون، وولدت من رحمها ثورة التوابين، والمختار، وبعد ذلك ثورة الشهيد زيد بن علي السجاد عليه السلام وبها أعلن رسميا ختام الدولة الأموية.

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٥٤.

وجاء العباسيون، في غفلة من الزمان وهم الذين كانوا سوقة[1]، يتفيؤون ظل بني أبي طالب ويتعلقون بأذيال الحسنيين والحسينين، ولم يكونوا في العير ولا في النفير، بل كانوا في أفضل الفروض أتباعا مصلحيين يتهيؤون لفرصة تقتنص، والملاحظ لسيرتهم منذ بداية عهد النبوة يرى فيهم تلك الفئة المصلحية التي تقدر أين تكون مصلحتها فتتبعها ولا يمنعها عن ذلك وجدان ديني أو عهد مأخوذ ـ ولو استثنيت بعض اوائل العائلة من ذلك ـ لوجدت أن هذه الأسرة كانت على خط الانتهازية، ولم يكن لهم لا سيما في أواخرهم مبدأ محدد يكونون عليه فهم بحسب الفرض في طرف بني هاشم، ولكنهم ضد أولاد علي عليه السلام، وهم يستفيدون من دعوة الرضا من آل محمد فإذا ما انتهت الدولة الأموية جردوا السيف على آل محمد.. وهكذا فأنت لا تجد لهم طريقة واحدة فهم تارة مع أبي حنيفة وفقهه لكنه إذا اختلف معهم سياسيا، غيروه وبدلوه كما يصنعون بثيابهم، من دون أي تردد.. فليس الدين عندهم أو المبدأ بأمر يمكن الثبات عليه وإنما هو المصلحة وانتهاز الفرصة.

وبهذه الطريقة وصلت إليهم أمور الدعوة التي كان يقودها العلويون من أبناء محمد بن الحنفية وأوصى أبو هاشم بن محمد بن الحنفية قبل أن يموت مسموما على بتدبير سليمان بن عبد الملك وتوفي وهو في طريقه إلى الحميمة ـ بين الشام والحجاز ـ إلى محمد بن علي بن العباس[2] وقد كان يقيم في تلك المنطقة، لكيلا تضيع جهوده في الدعوة لحق أهل البيت، وقد يكون قد وثق بأنه سيؤدي الحق إلى أصحابه غافلا عن الحالة الانتهازية التي طبعت

(١) الإمام جعفر الصادق عليه السلام، عبد الحليم الجندي، ص ٧٩: قيل للمنصور «لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو»! فقال: لأن بني مروان لم تبل رممهم بعد. ونحن بين قوم قد رأونا بالأمس سوقة ونحن اليوم خلفاء، فليس تتمهد هيبتنا في نفوسهم إلا بنسيان العفو واستعمال العقوبة

(٢) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ٢ / ١٤.

حياة العباسيين والذين سرقوا تلك الجهود إلى الأخير، وعلى العموم فقد سلمه أسرار الدعوة واسم داعي الدعاة في الكوفة، ومن يليه من الدعاة كما سلمه رسائل يقدمها إليهم، وكتب رسائل لهم لينتقل بتلك الوصية إلى العباسيين تراث الثورة العلوية..

وجاء أولئك السوقة الذين في أعناقهم بيعة لبني هاشم، لا سيما أبو جعفر المنصور الدوانيقي الذي بايع بيعة مؤكدة لمحمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية، والذي لقب من قبل أبيه وبعض الناس بالمهدي، لما رواه العامة من أن المهدي اسمه اسم رسول الله واسم أبيه اسم أبي رسول الله.

وانتصر التراث العلوي المعارض، والدعوة إلى الرضا من آل محمد، إذ أن قيادة أهل البيت كانت أمل الأمة بعد أن طويت عنها صفحات حكم أمير المؤمنين عليه السلام، والذين سمعوا عن حكمه، فضلا عن الذي عاشوا في عهده رأوا فيه صورة حكم رسول الله، وهكذا كانت الأمة تنتظر:

ساسة لا كمن يرى رعية النـ ـاس سواء ورعية الأغنام

وكان شعار الدعوة هو هذا، قائد مرضي من آل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وأقبل الناس حتى (إذا جاءه لم يجده شيئا) وإنما وجد بني العباس، وهي صورة أخرى تؤمن بأن الملك عقيم ولو نازعها رسول الله إياه لقاتلته.. وتؤمن بأن كل ما كان إنما هو لأجل عجة المخ والسكّر[1]!

وهنا كان العلويون على موعد مع التصحيح والثورة على الباطل، فقامت الثورات يقودها آل الحسن، ويشاركهم في ذلك أبناء زيد بن علي بن الحسين، فكانت ثورة النفس الزكية، وأخيه إبراهيم، ثم ثورة الحسين بن علي شهيد فخ.

❁ ❁ ❁ ❁

(١) ذكر في مروج الذهب أن المنصور هيئت له عجة من مخ وسكر فاستطابها، فقال: أراد إبراهيم (بن عبد الله بن الحسن) أن يحرمني هذا وأشباهه!!

زينب بنت عبد الله بن الحسن المثنى عايشت كل تلك الظروف والأجواء واكتوت بنارها، وعلى الله أجر النساء الصابرات، فقد يهون الخطب على المجاهد الذي يواجه عدوه في ميدان المعركة، فما هي إلا ساعة «نميل عليهم أو يميلون علينا حتى نصير إلى الجنة» لكن تبقى المعاناة، ويتفرعن الألم والأسى، عند النساء فإذا بكل زاوية في البيت مأتم، وإذا بكل مشكلة تمر عليهن من غير ولي ولا حمي كارثة..

خصوصا إذا قام أولئك الطغاة بزيادة المعاناة فشتتوا الشمل، وصادروا الأملاك.. وإذا كانت الملوك والرؤساء تبدأ حكمها وعهدها بشيء من الرحمة، وإذا حلت في منطقة أعطت أهلها ما يبقي في أنفسهم ذكرى طيبة، ويتمنون في أنفسهم أن تتكرر زيارة هذا الحاكم للمنطقة، فإن المنصور العباسي خالف حتى هذا التقليد، دع عنك أمور العدل، والرحمة الإسلامية وحفظ صلات الرحم..

فإنه بعد أن زار مدينة رسول الله ﷺ وكان قد أمر عامله قبلئذ بسجن عبد الله بن الحسن بن الحسن، وإخوته حتى يخرجوا له محمد وإبراهيم ابني عبد الله، وكان المنصور أيضا قد بايع لمحمد بن عبد الله (في نهاية أيام الأمويين)، وبدلا من إكرامه ـ إمامه الذي بايع له ـ ها هو يفتش عنه للقبض عليه وإعدامه، فاختفى محمد واستعد للقيام ضده، ولما لم يجده المنصور قام باعتقال جماعي لأسرة أبيه، بعد أن أوقع بعبد الله في حيلة من حيل جواسيسه.. وسجن آل الحسن في مدينة جدهم رسول الله.

ثم لما جاء المدينة استعرضهم بالضرب والجلد وأمر أن يحملوا إليه مغللين ومقيدين، بينما كانت المرأة الصالحة زينب بنت عبد الله تندب أباها وأهلها حين حملوا قائلة: واعبرتاه من الحديد والعباء والمحامل المعراة.

الزوج الصامد والمرأة الثاكل:

وكان ممن سجن معهم زوجها علي بن الحسن المثلث، الذي كان يقال له علي الخير والأغر والعابد، ولقد أبدى من صلابة النفس، وقوة الداخل ما يعجز عنه

غيره، فقد أتي آل الحسن بأقياد يقيدون بها، وكان علي بن الحسن هذا قائما يصلي، بينما كان في الأقياد قيد ثقيل فجعل كلما قرب إلى رجل تفادى منه واستعفى، فانفتل علي من صلاته وقال: لشد ما جزعتم! شرعه هذا.. ثم مد رجليه فقيد به.

وبعد مدة لما اتسعت حلق القيود على أثر الضعف الذي أصابهم من الجوع والأذى، يقول بعضهم: كنا إذا أردنا صلاة أو نوما خلعناها عنا فإذا خفنا دخول الحرس أعدناها وكان علي بن الحسن لا يفعل ذلك، فقال له عمه: ما يمنعك يا بني أن تفعل؟ قال: لا والله لا أخلعه أبداً حتى أجتمع أنا وأبو جعفر عند الله فيسأله لمَ قيدني به؟

وكان المطبق الذي حبسوا فيه ستين ليلة لا يعرفون الليل من النهار، وما كانوا يعرفون أوقات الصلاة إلا بأجزاء يقرؤها علي بن الحسن المثلث.

واشتد البلاء، وعظمت المعاناة فإن السجن الذي هم فيه تحت الأرض، ورائحته كريهة، ولقد منعوا حتى من قضاء الحاجة خارجه، فكانوا يقضونها فيه مما سبب للبعض منهم أمراضا جلدية، ومشاكل صحية.. فضجر عبد الله بن الحسن، وقال لابن أخيه علي بن الحسن: يا علي ألا ترى إلى ما نحن فيه من البلاء؟ ألا تطلب إلى ربك عز وجل أن يخرجنا من هذا الضيق والبلاء؟

فسكت عنه علي طويلا، ثم قال يا عم إن لنا في الجنة درجة لم نكن لنبلغها إلا بهذه البلية، أو بما هو أعظم منها وإن لأبي جعفر (المنصور) في النار موضعا لم يكن ليبلغه حتى يبلغ بنا مثل هذه البلية، أو أعظم منها، فإن تشأ أن تصبر فما أوشك فيما أصبنا أن نموت فنستريح من هذا الغم كأن لم يكن منه شيء، وإن تشأ أن ندعو ربنا عز وجل أن يخرجك من هذا الغم ويقصر بأبي جعفر غايته التي له في النار، فعلنا!

فقال عبد الله: لا، بل أصبر[1].

---

(١) مقاتل الطالبيين ١٧٧.

فما مكثوا ثلاثة أيام حتى قبضهم الله إليه، وكان لعلي بن الحسن حين توفي خمسة وأربعون عاما.

خلال عامين، أثكلت زينب بأخيها محمد النفس الزكية، وإبراهيم، في المعركة وبأبيها وزوجها في السجن وبعمومتها وأبناء عمومتها.

وتحاملت المرأة الصالحة ـ هي وابنة أخيها فاطمة بنت محمد ـ على آلامهما، وبعثتا إلى عيسى بن موسى القائد العباسي الذي قاتل محمدا: إنكم قد قتلتم هذا الرجل وقضيتم حاجتكم فلو أذنتم لنا فواريناه!

فأرسل إليهما: أما ما ذكرتما يا ابنتي عمي أني نلت منه فوالله ما أمرت ولا علمت، فوارياه راشدتين..

فبعثتا إلى جسد محمد، فاحتمل وجهز ودفن بالبقيع.

العلاقة بين الأئمة المعصومين والثوار الحسنيين:

تثار أسئلة حول طبيعة العلاقة التي كانت تربط بين أئمة أهل البيت المعصومين وبين الثوار من آل الحسن عليه السلام، فهل كان الائمة راضين عن تحركاتهم العسكرية؟ وهل كانوا يؤيدونها؟ وما هي نظرة الثوار من آل الحسن للأئمة عليهم السلام؟ هل كانوا على خط الإمامة في نظرهم إليهم؟ وبالتالي هل يمكن تزكية ثورات الحسنيين وتأييدها؟

ومع أن هذا الموضوع مفصل، ويحتاج إلى بحث مستوعب، إلا أننا سنشير هنا بالمناسبة إلى بعض محددات العلاقة الموجودة بين الطرفين.

محددات العلاقة:

١ ـ الإخبار بالواقع وأن ثوراتهم لن يحالفها النجاح، وهو الأمر الذي قام به الأئمة مع أنه كان يضايق بعض آل الحسن وربما كانوا يرون فيه نوعا من التثبيط، بينما هو تحليل واقعي للحدث، فإذا مضى الإنسان يكون على

بصيرة، وليس معنى ذلك الوقوف، فقد يريد المرء أن يأمر بالمعروف بغض النظر عن النتيجة التي سيصل إليها.

وربما كان هذا لا يرتاح إليه بعض أبناء الإمام الحسن عليه السلام، ولكنه الواقع.. فإن المؤرخين يذكرون أن بني هاشم اجتمعوا فخطبهم عبد الله بن الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنكم أهل البيت قد فضلكم الله بالرسالة واختاركم لها وأكثركم بركة يا ذرية محمد بنو عمه وعترته وأولى الناس بالفزع في أمر الله من وضعه الله موضعكم من نبيكم.

واستمر في خطبته ودعاهم أخيرا إلى مبايعة ابنه محمد (فقد علمتم أنه المهدي).. لكن بعض الجالسين أشار إلى أن جعفر بن محمد غير موجود فأرسلوا إليه، وتشير بعض المصادر التأريخية هنا إلى أن عبد الله بن الحسن لم يرحب بذلك الاقتراح، ولكنهم دعوا الإمام الصادق، الذي أشار لما جاء بأن الأمر لن يكون فيه النصر، وقال: إن الأمر سيكون لبني العباس، وأن المنصور منهم سيقتل محمدا!!

كان هذا الكلام في ذلك الوقت في غاية الغرابة، وذلك أن المنصور كان أول المبادرين إلى بيعة محمد وأكثر المزايدين عليها فقد قال: لأي شيء تخدعون أنفسكم والله لقد علمتم ما الناس إلى أحد أميل أعناقا ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى ـ يعني محمد بن عبد الله ـ.

وبطبيعة الحال لما كان الأئمة عليهم السلام لا يرون نجاح هذه الثورات أمرا واقعيا، لم يكونوا ليضعوا كل جهدهم فيها أو يرتبوا حساباتهم على أساس انتصارها. وهذا ما كان يزعج القائمين عليها ولكنه الواقع.

٢ ـ ومن ذلك أن خطة الأئمة عليهم السلام لا تقتصر في الإصلاح على العمل العسكري والثورة المسلحة وإنما كانت ترى أن الأوضاع أكثر تعقيدا من إصلاحه بمجرد الثورة والعمل العسكري، وأنه لا بد من القيام بعمل يتجه نحو تغيير ثقافة الناس وفكرهم حتى يلتزموا بتوجيهات الدين، وأن يتم

التوجه أيضا إلى تبين معالم الإسلام التي تكاد أن تمحي يوما بعد يوم لذلك كانوا يتوجهون إلى حماية الثغور العقيدية، وبيان أحكام الإسلام، الأمر الذي لم يكن بإمكان غيرهم القيام به، وهذا معنى ما قاله الإمام الصادق عليه السلام لبعضهم: «والله إني لأراه ـ الجهاد ـ ولكن أكره أن أدع علمي إلى جهلهم. »

٣ـ ولكن ذلك لا يعني أنهم كانوا يعارضون ثوراتهم، بل بمقدار ما كانت تسمح الظروف لهم «وأيضا بمقدار ما كانت تلك الثورات أقرب إلى الخط السليم، وذلك أن بعض هؤلاء ربما ادعى أو ادعي له الإمامة أو المهدوية.. الخ، مما كان لا ينبغي تأييده في هذا المقدار بل ربما نازع بعضهم بعض الأئمة وأغلظ القول لهم لكن كانت نهاية أمرهم حسنة كما يرى السيد ابن طاووس والعلامة المجلسي. ». كانوا يؤيدون، ويثنون.. وربما مع كل هذا التحفظ فقد كان الحكام يتهمون الأئمة بأنهم هم الذين حركوا تلك الثورات ومنه اتهام الهادي العباسي للكاظم عليه السلام بأنه هو الذي حرك الحسين شهيد فخ، وأنه سوف يقتله، أو غيره وأنهم ما خرجوا إلا عن أمرهم، هذا مع أن الأئمة لم يكونوا يتظاهرون بتأييد هؤلاء فكيف لو تظاهروا..

كانوا يترحمون عليهم ويظهرون تألمهم مما يصيبهم، والناظر إلى رسالة الإمام الصادق عليه السلام لآل الحسن لما حملوا من المدينة يتبين له شدة تألمه مما أصابهم واشتراكه معهم في أساهم. فقد ذكر السيد رضي الدين بن طاووس (توفي سنة ٦٦٤هـ) في الاقبال بسنده عن شيخ الطائفة عن المفيد والغضائري عن الصدوق عن ابن الوليد عن الصفار عن ابن أبي الخطاب عن ابن أبي عمير عن إسحاق ابن عمار. وأيضا بالإسناد عن الشيخ عن أحمد بن محمد بن سعيد بن موسى الأهوازي عن ابن عقدة عن محمد بن الحسن القطراني عن الحسين بن أيوب الخثعمي عن صالح بن أبي الأسود عن عطية ابن نجيح بن المطهر الرازي وإسحاق بن عمار الصيرفي قالا:

إن أبا عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام كتب إلى عبد الله بن الحسن حين حمل هو وأهل بيته يعزيه عما صار إليه: بسم الله الرحمن الرحيم إلى الخلف

الصالح والذرية الطيبة من ولد أخيه وابن عمه.

أما بعد: فلئن كنت قد تفردت أنت وأهل بيتك ممن حمل معك بما أصابكم ما انفردت بالحزن والغيظ والكآبة وأليم وجع القلب دوني ولقد نالني من ذلك من الجزع والقلق وحر المصيبة مثل ما نالك ولكن رجعت إلى ما أمر الله عز وجل به المتقين من الصبر وحسن العزاء حين يقول لنبيه ﷺ الطيبين: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، وحين يقول: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾، وحين يقول لنبيه ﷺ حين مثل بحمزة ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ﴾ فصبر رسول الله ﷺ ولم يعاقب. وحين يقول: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾، وحين يقول: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ ۞ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾، وحين يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، وحين يقول لقمان لابنه: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾، وحين يقول عن موسى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. وحين يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، وحين يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾، وحين يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾. وحين يقول: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾، وحين يقول: ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾، وحين يقول: ﴿وَاصْبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ وأمثال ذلك من القرآن كثير.

واعلم أي عم وابن عم أن الله عز وجل لم يبال بضر الدنيا لوليه ساعة قط ولا شيء أحب إليه من الضر والجهد والبلاء مع الصبر وأنه تبارك

وتعالى لم يبال بنعيم الدنيا لعدوة ساعة قط ولولا ذلك ما كان أعداؤه يقتلون أولياءه ويخوفونهم ويمنعونهم وأعداؤه آمنون مطمئنون عالون ظاهرون ولولا ذلك لما قتل زكريا ويحيى بن زكريا ظلما وعدوانا في بغي من البغايا ولولا ذلك ما قتل جدك علي بن أبي طالب عليه السلام ـ لما قام بأمر الله عز وجل ـ ظلماً وعمك الحسين بن فاطمة صلى الله عليهم اضطهادا وعدوانا. ولولا ذلك ما قال الله عز وجل في كتابه: ﴿**وَلَوْلاَ أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ**﴾، ولولا ذلك لما قال في كتابه: ﴿**أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۞ نُسَارِعُ لَهُم فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ**﴾.

ولولا ذلك لما جاء في الحديث: لولا أن يحزن المؤمن لجعلت للكافر عصابة من حديد فلا يصدع رأسه أبدا ولولا ذلك لما جاء في الحديث إن الدنيا لا تساوي عند الله عز وجل جناح بعوضة ولولا ذلك ما سقى كافرا منها شربة من ماء ولولا ذلك لما جاء في الحديث: لو أن مؤمنا على قلة جبل لابتعث الله له كافرا أو منافقا يؤذيه.

ولولا ذلك لما جاء في الحديث: إنه إذا أحب الله قوما أو أحب عبدا صب عليه البلاء صبا فلا يخرج من غم إلا وقع في غم.

ولولا ذلك لما جاء في الحديث ما من جرعتين أحب إلى الله عز وجل أن يجرعهما عبده المؤمن في الدنيا من جرعة غيظ كظم عليها وجرعة حزن عند مصيبة صبر عليها بحسن عزاء واحتساب ولولا ذلك لما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعون على من ظلمهم بطول العمر وصحة البدن وكثرة المال والولد ولولا ذلك ما بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا خص رجلا بالترحم عليه والاستغفار استشهد فعليكم يا عم وابن عم وبني عمومتي وإخوتي بالصبر والرضا والتسليم والتفويض إلى الله عز وجل والرضا بالصبر على قضائه والتمسك بطاعته والنزول عند أمره أفرغ الله علينا وعليكم الصبر وختم لنا ولكم بالأجر والسعادة وأنقذنا وإياكم من كل

هلكة بحوله وقوته إنه سميع قريب وصلى الله عليه صفوته من خلقه محمد النبي وأهل بيته.

أقول: وهذا آخر التعزية بلفظها من أصل صحيح بخط محمد بن علي بن مهجناب البزاز تاريخه في صفر سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وقد اشتملت هذه التعزية على وصف عبد الله بن الحسن بالعبد الصالح والدعاء له وبني عمه بالسعادة وهذا يدل على أن الجماعة المحمولين كانوا عند مولانا الصادق عليه السلام معذورين وممدوحين ومظلومين وبحبه عارفين.

أقول: وقد يوجد في الكتب أنهم كانوا للصادقين عليهم السلام مفارقين وذلك محتمل للتقية لئلا ينسب إظهارهم لإنكار المنكر إلى الأئمة الطاهرين. ومما يدل عليه ما رويناه بإسنادنا إلى أبي العباس أحمد بن نصر بن سعد من كتاب الرجل مما خرج منه وعليه سماع الحسين بن علي بن الحسن وهو نسخة عتيقة بلفظه قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن سعيد الكندي قال: هذا كتاب غالب بن عثمان الهمداني وقرأت فيه أخبرني خلاد بن عمير الكندي مولى آل حجر بن عدي قال دخلت على أبي عبد الله عليه السلام قال: هل لكم علم بآل الحسن الذين خرج بهم مما قبلنا وكان قد اتصل بنا عنهم خبر فلم نحب أن نبدأه به فقلنا: نرجو أن يعافيهم الله فقال: وأين هم من العافية ثم بكى عليه السلام حتى علا صوته وبكينا.

ثم قال: حدثني أبي عن فاطمة بنت الحسين قالت: سمعت أبي صلوات الله عليه يقول: يقتل منك أو يصاب منك نفر بشط الفرات ما سبقهم الأولون ولا ويدركهم الآخرون وإنه لم يبق من ولدها غيرهم. أقول: وهذه شهادة صريحة من طرق صحيحة بمدح المأخوذين من بني الحسن عليه وعليهم السلام وأنهم مضوا إلى الله جل جلاله بشرف المقام والظفر بالسعادة والإكرام.

ومن ذلك ما رواه أبو الفرج الاصفهاني عن يحيى بن عبد الله – الذي

سلم من الذين تخلفوا في الحبس من بني الحسن - فقال: حدثنا عبد الله بن فاطمة الصغرى عن أبيها عن جدتها فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: قال لي رسول الله ﷺ: يدفن من ولدي سبعة بشط الفرات لم يسبقهم الأولون ولم يدركهم الآخرون فقلت: نحن ثمانية فقال: هكذا سمعت فلما فتحو الباب وجدوهم موتى وأصابوني وبي رمق وسقوني ماءا وأخرجوني فعشت.
ومن الأخبار الشاهدة بمعرفتهم بالحق ما رواه أحمد بن إبراهيم الحسيني في كتاب المصابيح بإسناده أن جماعة سألوا عبد الله بن الحسن وهو في المحمل الذي حمل فيه إلى سجن الكوفة فقلنا: يا ابن رسول الله محمد ابنك المهدي فقال: يخرج محمد من ههنا - وأشار إلى المدينة - فيكون كلحس الثور أنفه حتى يقتل ولكن إذا سمعتم «بالمأثور» وقد خرج بخراسان فهو صاحبكم.

أقول: لعلها بالموتور وهذا صريح أنه عارف بما ذكرناه. ومما يزيدك بيانا ما رويناه بإسنادنا إلى جدي أبي جعفر الطوسي عن جماعة عن هارون بن موسى التلعكبرى عن ابن همام عن جميل عن القاسم بن إسماعيل عن أحمد بن رياح عن أبي الفرج أبان بن محمد المعروف بالسندي نقلناه من أصله قال: كان أبو عبد الله عليه السلام في الحج في السنة التي قدم فيها أبو عبد الله عليه السلام تحت الميزاب وهو يدعو وعن يمينه عبد الله بن الحسن وعن يساره حسن بن حسن وخلفه جعفر بن الحسن قال: فجاءه عباد بن كثير البصري فقال له: يا أبا عبد الله قال: فسكت عنه حتى قالها ثلاثا قال: ثم قال له: يا جعفر قال: فقال له: قل ما تشاء يا أبا كثير قال: إني وجدت في كتاب لي علم هذه البنية رجل ينقضها حجراً حجراً قال: فقال: كذب كتابك يا أبا كثير ولكن كأني والله بأصفر القدمين حمش الساقين ضخم البطن رقيق العنق ضخم الرأس على هذا الركن - وأشار بيده إلى الركن اليماني - يمنع الناس من الطواف حتى يتذعروا منه ثم يبعث الله له رجلا مني وأشار بيده إلى صدره فيقتله قتل عاد وثمود وفرعون ذي الأوتاد قال: فقال له عند ذلك عبد الله بن الحسن: صدق والله أبو عبد الله عليه السلام حتى صدقوه كلهم جميعا.

أقول: فهل تراهم إلا عارفين بالمهدي وبالحق اليقين. ومما يزيدك بيانا أن بني الحسن عليه السلام ما كانوا يعتقدون فيمن خرج منهم أنه المهدي وإن تسموا بذلك إن أولهم خروجا وأولهم تسميا بالمهدي محمد بن عبد الله بن الحسن وقد ذكر يحيى بن الحسين الحسنى في كتاب الأمالي بإسناده عن طاهر بن عبيد عن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن أنه سئل عن أخيه محمد أهو المهدي الذي يذكر فقال: إن المهدي عدة من الله تعالى لنبيه صلوات الله عليه وعده أن يجعل من أهله مهديا لم يسم بعينه ولم يوقت زمانه وقد قام أخي لله بفريضة عليه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فان أراد الله تعالى أن يجعله المهدي الذي يذكر فهو فضل الله يمن به على من يشاء من عباده وإلا فلم يترك أخي فريضة الله عليه لانتظار ميعاد لم يؤمر بانتظاره. وروى في حديث قبله بكراريس من الأمالي عن أبي خالد الواسطي أن محمد بن عبد الله بن الحسن قال: يا أبا خالد إني خارج وأنا والله مقتول ثم ذكر عذره في خروجه مع علمه أنه مقتول وكل ذلك يكشف عن تمسكهم بالله والرسول صلى الله عليه وآله[1].

وقد نقل عن الإقبال العلامة المجلسي تحقيقه بطوله، ولم يعلق عليه مما يشير إلى عدم مخالفته لما ورد فيه[2].

---

(١) إقبال الأعمال للسيد بن طاووس / ٥٨.

(٢) بحار الأنوار ٤٣ / ٣٠٢.

٣- زوجة عبيد الله الحلبي

« **كانت أفقه منك..** » الإمام الصادق.

❁ ❁ ❁ ❁

بقدر ما ركز القرآن الكريم على الفرد ومسؤوليته، وأنه يؤاخَذ ويُعطى بقدر ما يسعى، ﴿**وَأَنْ لَيْسَ لِلإنسان إِلا مَا سَعَى ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى**﴾[١]، وأن الله سبحانه قد قرر أنه لا يؤاخذ بجريرة غيره من آبائه، بل ترك له الاختيار، وقدرة القرار المستقل وبيّن ﴿**أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾[٢].

إلا أنه بنفس ذلك المقدار قد تحدث عن دور الأسر الصالحة، التي يتكرس فيها الإيمان والفضيلة، وبين أثرها في من يتولد فيها، فأبرز تلك الذريات الطيبة، والعتر الصالحة، والأصول الشامخة، والأرحام المطهرة.. ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إبراهيم وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۞ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[٣]. ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إبراهيم وَإِسْرائيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً**﴾[٤].

---

(١) النجم ٣٩-٤٠.
(٢) النجم ٣٨.
(٣) آل عمران: ٣٣- ٣٤.
(٤) مريم:٥٨

ومثلما وجدنا في التاريخ القديم أسرا وقبائل ﴿**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ**﴾[1] كان هناك ﴿**آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ**﴾، وربما كان ذلك منبع حسد من قبل بعض الناس ولكن ذلك لا يمنع تقرير تلك الحقيقة ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إبراهيم الْكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً**﴾[2].

ولم تكن القضية خاصة بذريات الأنبياء، وإن كانوا في المرتبة العالية، بل كان في تاريخ الإيمان أسر وقبائل، توارثت الإيمان والهداية والعلم كما يتوارث غيرهم الذهب والأسماء!

ومن تلك العوائل الناصعة الذكر في سماء الإيمان والعلم، الحلبيون.

قال فيهم السيد بحر العلوم ﵀ في الفوائد الرجالية[3]:

آل أبي شعبة الحلبيون: خير شعبة من شعب الشيعة، وأوثق بيت اعتصم بعرى أهل البيت المنيعة.

كان أبو شعبة من أصحاب الحسن والحسين ﵉.

وابناه: علي وعمر. وبنو علي وهم: عبيد الله، ومحمد، وعمران، وعبد الأعلى كلهم من أصحاب الصادق ﵇. ويحيى بن عمران من أصحاب الصادق والكاظم ﵉. واحمد بن عمر بن أبي شعبة من أصحاب الكاظم والرضا ﵉.

وجاء إطراء آل أبي شعبة في أكثر المعاجم.

---

(١) الأنفال:٥٤

(٢) النساء:٥٤.

(٣) ج ١ ص ٢١٤.

فقد قال النجاشي: آل أبي شعبة بالكوفة بيت مذكور من أصحابنا. وروى جدهم أبو شعبة عن الحسن والحسين عليهما السلام، وكانوا جميعهم ثقات، مرجوعاً إلى ما يقولون.

هذا عن البيت والأسرة، وأما الأفراد:

فمنهم عبيد الله بن علي بن أبي شعبة الحلبي، مولى بني تيم اللات بن ثعلبة، أبو علي، كوفي، كان يتجر - هو وأبوه وأخوته إلى حلب، فغلبت عليهم النسبة إلى حلب.

وكان عبيد الله كبيرهم ووجههم. وصنف الكتاب[1] المنسوب إليه، وعرضه على أبي عبد الله عليه السلام، وصححه قال - عند قراءته -: أترى لهؤلاء مثل هذا؟ رواه ابن أبي عمير عن حماد عنه.

وقد كان كتاب الحلبي مشهورا، حتى قيل إنه أول كتاب صنفه الشيعة، وكان غيره يُعرّف به، فقد نجد في ترجمة محمد بن عبد الله الصفار في رجال النجاشي أن له نسخة كتاب تشبه كتاب الحلبي؛ مبوبة كبيرة.

ومنهم: محمد بن علي بن أبي شعبة الحلبي أبو جعفر، وجه أصحابنا، وفقيههم، والثقة الذي لا يطعن عليه، هو وإخوته عبيد الله وعمران وعبد الأعلى. له كتاب التفسير. روى عنه صفوان، وكتاب مبوب في الحلال والحرام، روى عنه ابن مسكان.

ومنهم: يحيى بن عمران بن على بن أبي شعبة الحلبي. روى عن أبي عبد الله، وأبي الحسن عليهما السلام، ثقة، ثقة، صحيح الحديث، له كتاب روى عنه ابن أبي عمير.

(١) في رجال البرقي هو أول كتاب صنفه الشيعة.

ومنهم: أحمد بن عمر الحلبي[1] وهو من أصحاب أبي جعفر الثاني..

ومنهم غير هؤلاء..

إلا أن الذي يلفت النظر حقا هو ما ورد في شأن زوجة عبيد الله بن علي الحلبي، من كلام الإمام الصادق عليه السلام وأنها كانت أفقه منه، في حادثة معينة، ينقلها الكافي[2] بسند معتبر عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي قال: قلت لإبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك إني لما قضيت نسكي للعمرة أتيت أهلي ولم اقصر قال: عليك بدنة، قال: قلت: إني لما أردت ذلك منها ولم تكن قصرت امتنعت فلما غلبتها قرضت بعض

---

(١) في الفوائد الرجالية، رواية استفاد منها السيد بحر العلوم حسن حاله، تروى عن أحمد بن عمر، قال: دخلت على الرضا عليه السلام بمنى: فقلت له: جعلت فداك، كنا أهل بيت غبطة وسرور ونعمة، وأن الله تعالى قد أذهب ذلك كله حتى احتجنا إلى من كان يحتاج إلينا، فقال لي: يا أحمد، ما احسن حالك يا أحمد بن عمر!! فقلت له: جعلت فداك، حالي ما أخبرتك، فقال لي: يا أحمد أيسرك أنك على بعض ما عليه هؤلاء الجبارون، ولك الدنيا مملوة ذهبا؟ فقلت له: لا والله يا بن رسول الله، فضحك، ثم قال: ترجع من هاهنا إلى خلف، فمن أحسن حالا منك – وبيدك صناعة لا تبيعها بملء الدنيا ذهبا، ألا أبشرك؟ فقد سرني الله بك وبآبائك فقال لي أبو جعفر عليه السلام: قول الله عز وجل: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ لوح من ذهب فيه مكتوب: «بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله، محمد رسول الله، عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، ومن يرى الدنيا وتغيرها بأهلها كيف يركن إليها، وينبغي لمن عقل عن الله ألا يستبطئ الله في رزقه، ولا يتهمه في قضائه»، ثم قال: رضيت يا أحمد؟ قال قلت عن الله تعالى وعنكم أهل البيت وفي سند الرواية خلف بن حماد، والظاهر توثيقه، وأبو سعيد الآدمي وهو سهل بن زياد، وفيه قول بالتوثيق. وفي قول الرضا عليه السلام: «ألا أبشرك، فقد سرني الله بك وبآبائك» دلالة ظاهرة على حسن حال أحمد بن عمر وأبيه وجده، بل عمه علي أيضا بدخوله في «آبائه» تغليبا وترجيحا لظاهر الهيئة هنا على المادة. وليس سروره عليه السلام به وبآبائه إلا لاتّباعهم أهل البيت وحسن عاقبتهم ووجود مثلهم في الشيعة. وفى قوله عليه السلام: – «يا أحمد، ما أحسن حالك، يا أحمد ابن عمر!!» بصيغة التعجب – ما يدل على بلوغه الغاية في ذلك.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٤ ص ٤٤١

شعرها بأسنانها، فقال: رحمها الله كانت أفقه منك عليك بدنة وليس عليها شيء.

ومعنى الحديث واضح، وهو أنه لما قضى نسكه لعمرة التمتع حيث يحل له بعد التقصير ما كان قد حرم عليه بالإحرام، إلى أن يحرم مرة أخرى للحج.. أراد مجامعة زوجته ولم يكن هو ـ ولا هي قد قصرا ـ فامتنعت عليه ولم تقبل، لأنها لم تقصر بعدُ، فلما غلبها قرضت وقصت بعض شعرها بأسنانها، وكان ذلك منها تقصيرا، فحل لها ما كان حرم عليها.. بينما تحمل هو الكفارة..

ولنا أمام هذا الحديث وقفات متعددة:

١- الوعي والمعرفة بالأحكام الدينية: إن مما يلاحظ على الكثير من النساء هو أنهن بعيدات عن معرفة الأحكام الشرعية، الخاصة بهن فضلا عن الأحكام التي يشتركون فيها مع الرجال.. ومن هنا تجد الكثيرات من هؤلاء في مواضع العبادة (الصلاة والحج.. وغيرها)، يخطئن الطريق الصحيح لأدائها.

إننا من خلال الحديث المذكور نلاحظ معرفة هذه المرأة الصالحة بالحكم الشرعي اللازم لها في ذلك الموقف.. وهي معرفة ليست بسيطة وإنما هي تنم عن حالة متطورة في فقه الحكم.. فإن تلك المرأة من جهة تدرك أنها مطالبة بأن تلتزم بتمكين زوجها عندما يطلبها وأنه ليس بوسعها التأخر بما دل على ذلك من الروايات الكثيرة في هذا الباب[1].

ومن جهة أخرى هي تعلم أنه ليس بوسعها أن تطيع زوجها في مثل هذا الأمر ما دامت لم تتحلل بالتقصير بعد.. وهنا تقع الكثيرات من النساء

(١) منها صحيحة محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام وقد سأله عن حق الزوج على زوجته، قال: في حديث... وأن لا تمنعه نفسها ولو كانت على ظهر قتب.

في مشاكل، كما نسمع عن أمر أزواجهن لهن بترك الحجاب مثلا، أو أنها تطلق، ويدور أمرها بين طاعة ربها، وطاعة زوجها.

لكنها تلتفت إلى أن المانع وهو عدم التقصير يمكن تجاوزه بنحو من الأنحاء وهو أن تقطع بعض شعرها بأسنانها.. فتفعل ذلك.

٢- ثانية الوقفات: أن وصف الإمام عليه السلام إياها بأنها أفقه من عبيد الله وهو ذلك الفحل في المجال العلمي، حيث اعتبر كتابه أول ما صنف من كتب الشيعة، وكان حسب ما تقدم ذكره وجه الحلبيين وكبيرهم.. وهذا يعني أن بإمكان المرأة أن تصل في العلم الديني والشرعي إلى هذه المراتب العالية.

٣- وثالثتها أن هذه الحادثة تبين لنا كيف أن على المرأة أن تحتاط لدينها قدر ما تستطيع، ولا يقبل منها قولها أن زوجها أمرها بغير الصواب، أو اضطرها إلى سلوكه.. أو أنها تتبعه في كل ما يقول. وإنما قامت وهي المتشرعة المتدينة، باجتناب رغبة زوجها وهي على تلك الحالة من الإحرام ـ ولما تخرج بعدُ منه ـ لكي تضرب لبنات جنسها مثالا في الالتزام الديني القوي.

٤- حبيبة البربرية
أم داود بن الحسن بن الحسن المجتبى عليه السلام.

❁ ❁ ❁ ❁

الإسلام دين الحرية والانعتاق، فهو يأتي إلى الداخل الإنساني، ويضع عنه الإصر والأغلال، ويأتي إلى الخارج ويدفعه لرفض حكم الطاغوت، وإماتة الظلم.. بل جوهر الدين وأصله واختصاره في الشهادتين وأولاهما تنفي عنه الخضوع لأي قوة غاشمة ظالمة، فلا خضوع إلا لله، و(لا إله إلا الله). وفي الطريق إلى ذلك تطوي التعاليم الإسلامية مشوارا تربويا طويلا مع الإنسان المسلم حتى يحقق لنفسه تلك الحياة الحرة الفاضلة المتعالية على عبودية الشهوات، ولمجتمعه الوضع الأمثل المنعتق من ضغط الظالمين واستعبادهم.

وعجيب أن دينا كهذا يقوم في أساسه على هذا المبدأ كيف تحول في عصور متأخرة إلى سوط، وقيود؟ وعجيب كيف أصبح باسم الإسلام تهان كرامة الإنسان المسلم وتصادر حريته؟ وعجيب كيف عادت الجاهلية في ثوب (إسلامي)؟ فإذا بحكام المسلمين يملؤون البلاد سجونا وقبورا[1]، بدل أن يحولوها للناس دورا وزهورا!!.. ومع أننا لا نجد في تشريعات

(١) ليت أن الأمر اقتصر على السابق بل نقلت الصحف عن بعض البلاد الإسلامية أنه قد أطلق ـ بعفو ـ من سجنائها خمسون ألف رجل!! دقق في الرقم جيدا! هذا من عفي عنهم فكم عدد الباقين؟

الإسلام حديثا عن السجون إلا في موارد نادرة جدا، لا تتجاوز أصابع اليدين وتلك أيضا من أجل حماية الحرية من المجرمين، فإذا ببلاد الإسلام تمتلئ بهذه الظاهرة السيئة، وغدت طبقة غير قليلة تبني حياتها وعيشها على أساس اعتقال حرية الناس، وتكسب (رزقها) من الكرباج والتعذيب!! هذا كله في بلاد الإسلام الذي جاء أساسه العقيدي على تحرير الإنسان من غير عبودية الله.

ولئن كان الانحراف في أمور كثيرة خطيرا، إلا أنه في هذه الجهة يكتسب خطورة خاصة، ذلك أنه يتعرض إلى حياة الناس فيعطلها بإفقاد العوائل كاسبها وراعيها، مما ينتج عنه مفاسد أخلاقية واجتماعية لا تحصى.

وربما يندر أن يذكر التاريخ صورا من السجن في أيام النبي وما بعده من الخلفاء ـ إلا نادرا ولم يكن لفترة طويلة ـ ولكن عندما يصل الأمر إلى أيام بني أمية نلاحظ أن مؤسسة السجن أصبحت شيئا رسميا، بل حتى النساء صرن يسجن للضغط على ازواجهن.. وأصبح أحد الاسلحة في مواجهة من يعترض، ولربما تم قتله في سجنه.

وجاء بنو العباس

يا ليت جور بني مروان دام لنا وليت عدل بني العباس في النار

فإذا بهؤلاء يُنسون من سبقهم، ويبيضون بسواد أعمالهم سواد صحيفة سابقيهم، فأصبح السجن متعدد المهام فهو وقاية، وحماية وعقوبة، ووسيلة قتل، بل مصدر متعة أحيانا.. وظل بنو علي والزهراء عليهما السلام، في تلك الفترات لا يخرج أحدهم من السجن إلا ليدخله غيره، ولكم سمعت القيود والحديد، مناجاة تلكم الصفوة من الأمة في جوف الليل.. لاسيما في عهد سيئ الذكر المنصور الدوانيقي، الذي قد أترع حقدا، وبخلا، وغدرا.. فهذا عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط قد قتل في سجن الهاشمية وعمره خمسة وسبعون عاما، وذاك أخوه الحسن المثلث كذلك مات في نفس سنته في

نفس السجن، وإبراهيم أخوهم الثالث كذلك، وعلي بن الحسن المثلث الذي سجن في سجن المطبق فلم يكونوا يعرفون أوقات الصلاة إلا بأجزاء يقرؤها، وينقل المؤرخون صورا عجيبة عن تلك السجون وما فيها، فقد «حبسوا في سرداب تحت الأرض لا يفرقون بين ضياء النهار وسواد الليل وكانوا يتوضؤون في مواضعهم فاشتدت عليهم الرائحة، فاحتال بعض مواليهم حتى أدخل إليهم شيئا من الغالية فكانوا يدفعون بشمها تلك الروائح المنتنة، وكان الورم يبدو في أقدامهم فلا يزال يرتفع حتى يبلغ الفؤاد فيموت صاحبه.. وذكر من وجه آخر أنهم لما حبسوا في هذا الموضع أشكل عليهم أوقات الصلاة فجزؤوا القرآن خمسة أجزاء، فكانوا يصلون الصلاة على فراغ كلِّ واحد منهم من حزبه، وكان عدد من بقي منهم خمسة، فمات إسماعيل بن الحسن، فترك عندهم حتى جَيَّف.. »[1]وعن بطولة هؤلاء الأطياب، فقد ذكروا أن الأقياد التي كانوا يقيدونهم بها قد اتسعت (لحصول الضعف في أرجلهم من التجويع) فكانوا يخرجون أرجلهم من أقيادهم فإذا جاء الحرس أعادوها إلا عليا فإنه كان لا يفعل ذلك ويقول: والله لا اخلعه أبدا حتى أجتمع أنا وأبو جعفر عند الله فيسأله لم قيدني به!! ولو أردنا التتبع لطالت القائمة.[2]

وكانت هذه الاعتقالات تترك البيوت والعوائل في حال لا تحمد عليها، فالأمهات تشتعل بنار العواطف والقلق، والأبناء تكوى بهجير الانتظار وخوف الضياع، ودع عنك حديث الحاجة المادية والمعاشية فإنه أهون الأمور بقياسه لغيره..

تلك الحال هي التي نتصورها كانت عند أم داود بن الحسن بن الحسن السبط عليه السلام، وقد سجن مع ابنيه سليمان وعبد الله في سجن الهاشمية

(١) مروج الذهب للمسعودي

(٢) للمراجعة ينظر مقاتل الطالبيين

المذكور، فإنها وهي تسمع ما يذكر وينقل عن أحوالهم في السجون كانت تتوقد نار ألمها، وحرارة شجوها، وإذا كان البعض يلجأ في مثل هذه القضايا إلى استعطاف الحاكم الذي يلذ له إذلال الإنسان، ويشبع عقدةَ نقصه، ويملأ بئرَ حقده توسلُ الآخرين إليه، فإن هذه المرأة الواعية، لجأت إلى الله سبحانه وتعالى، واستنجدت بولي الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، طالبة منه ـ وهو باب الله الذي منه يؤتى ـ أن يدعو الله في نجاة ابنها من ذلك السجن الرهيب.

﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾، ها هي امرأة سلقتها المعاناة على نار الافتقاد لابنها، ولكنها كانت أكبر من أن تخضع لغير الله بالرغم من مرارة الألم، وفي ذلك عبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.. إن الثبات على الطريق المستقيم قد يقتضي ـ بل القاعدة فيه ذلك ـ أن يسلب ماله حينا، ويسجن عزيزه حينا آخر، وهذا هو جزء من الثمن.. ولكن ﴿**أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ فيريدون من الإيمان سمعته وشخصيته والشهرة بين الناس أما إذا تطلب منهم ثمنا في مقابل الجنة التي عرضها السماوات والأرض فإنهم حينئذ يخفون الصبر ويبدون الجزع.. بقي ذكرها عطرا يفوح في سماء المناجاة والدعاء والتقرب، وارتبط ذكر اسمها، وقد لا نعرف شيئا عن مناحي حياتها الأخرى، لكن اسمها ارتبط بأفضل ما يمكن الارتباط به، وهو ذكر الله في شهر الله الحرام وهو شهر رجب الأصب.. بينما ارتبط اسم أولئك الطغاة والحاكمين العباسيين بالقتل والسجن، والتعذيب، والسادية، فارتطموا في عذاب الله يوم القيامة، وفي سوء الذكر في هذه الدنيا.. لو حسب العاقل ما الذي خسرت تلك المرأة؟ وماذا ربح هؤلاء؟؟ «خسيس عيش المرعى الوبيل»، وأياما قصيرة مرت سريعا، ليواجه الطرفان المحكمة الإلهية ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ**﴾.. والعجيب أن من سواهم لا يعتبرون بأمرهم ولا يفهمون الخطاب الخالد «عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه»!

ماذا سيلاقي هؤلاء يوم القيامة وقد ﴿**جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ**﴾ فإذا بالحاكم عارٍ عن الأبهة، والأنصار، والزيف، وجنود المخابرات، ليس معه إلا الظلمات فـ« الظلم ظلمات يوم القيامة » و﴿**مَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾.

وإذا كان البعض يتصور أن مقدرات الأمور في يده، وأنها لا تجري إلا من تحت أمره، فهو واهم، فإن الأمور بيد الله، وإذا أراد الله أمرا فلا راد لأمره ولكن أكثرهم لا يعلمون. وإن كانوا يستطيعون الإيذاء لو لم يحسنوا أي شيء غيره. يهتكون ستر المؤمنين، ويلعبون بمشاعر الأمهات، ويؤرقون عيون الآباء..

وكان أن استجاب الإمام لطلبها، وعلمها دعاء هو المعروف بدعاء أم داود والمستحب في شهر رجب، واستجاب الله لدعائها وتوسل الإمام في فكاك ابنها، وأطلق سراح داود ابنها وابنيه. ولنترك السيد بن طاووس يتحدث عن الدعاء وعن قصته كما أوردها في كتابه إقبال الأعمال، (وطاووس الذي ينسب إليه رضي الدين علي بن موسى هو إسحاق بن الحسن بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن)..

اعلم أن هذا الدعاء الذي نذكره في هذا الفصل دعاء عظيم الفضل معروف بدعاء أم داود وهي جدتنا الصالحة المعروفة بأم خالد البربرية أم جدنا داود بن الحسن بن الحسن ابن مولانا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام وكان خليفة ذلك الوقت قد خافه على خلافته ثم ظهر له براءة ساحته فأطلقه من دون آل أبي طالب الذين قبض عليهم وسيأتي شرح حال حبس [قبض] ولدها جدنا داود وحديث الدعاء الذي استجابه الله جل جلاله منها رضي الله عنها وجمع شملها به بعد العهود فأما حديث أنها أم داود جدنا وأن اسمها أم خالد البربرية كمل الله لها مراضيه الإلهية فإنه معلوم عند العلماء ومتواتر بين الفضلاء منهم أبو نصر سهل بن عبد الله البخاري النسابة

فقال في كتاب سر أنساب العلويين ما هذا لفظه وأبو سليمان داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام أمه أم ولد تدعى أم خالد البربرية أقول وكتب الأنساب وغيرها من الطرق العلية قد تضمنت وصف ذلك على الوجوه المرضية وأما حديث أن جدتنا هذه أم داود وهي صاحبة دعاء يوم النصف من رجب فهو أيضا من الأمور المعلومات عند العارفين بالأنساب والروايات ولكنا نذكر منه كلمات عن أفضل علماء الأنساب في زمانه علي بن محمد العمري تغمده الله بغفرانه فقال في الكتاب المبسوط في الأنساب ما هذا لفظه وولد داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أمه أم ولد وكانت امرأة صالحة وإليها ينسب دعاء أم داود.

قال شيخ الشرف في كتاب تشجير تهذيب الإنسان أيضا ونقلته من خطه عند ذكر جدنا داود ما هذا لفظه لأم ولد إليها ينسب دعاء أم داود وقال ابن ميمون النسابة الواسطي في مشجره إلى ذكر جدتنا أم داود أنها يكنى أم خالد إليها يعزى دعاء أم داود وأما رواية هذا دعاء يوم النصف من رجب فإننا رويناه عن خلق كثير قد تضمن ذكر أسمائهم كتاب الإجازات فيما يخصني من الإجازات بطرقهم المؤتلفة والمختلفة وهو دعاء جليل مشهور بين أهل الروايات وقد صار موسما عظيما في يوم النصف من رجب معروفا بالإجابات وتفريج الكربات ووجدت في بعض طرق من يرويه زيادات وسوف أذكر أكمل روايته احتياطا للظفر بفائدته فمن الرواة من يرفعه إلى مولانا موسى بن جعفر الكاظم ومنهم من يرويه عن أم داود جدتنا رضوان الله عليها وعليه.

فمن الروايات في ذلك أن المنصور لما حبس عبد الله بن الحسن وجماعة من آل أبي طالب وقتل ولديه محمدا وإبراهيم أخذ داود بن الحسن بن الحسن وهو ابن داية أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لأن أم داود أرضعت الصادق عليه السلام منها بلبن ولدها داود وحمله مكبلا بالحديد قالت أم داود فغاب عني حينا بالعراق ولم أسمع له خبرا ولم أزل أدعو وأتضرع إلى الله جل اسمه وأسأل إخواني من أهل

الديانة والجد والاجتهاد أن يدعوا الله تعالى لي وأنا في ذلك كله لا أرى في دعائي الإجابة فدخلت على أبي عبدالله جعفر بن محمد ﴿عليهما السلام﴾ يوما أعوده من علة وجدها فسألته عن حاله ودعوت له فقال لي: يا أم داود ما فعل داود وكنت قد أرضعته بلبنه فقلت: يا سيدي وأين داود وقد فارقني منذ مدة طويل وهو محبوس بالعراق، فقال: وأين أنت عن دعاء الاستفتاح وهو الدعاء الذي تفتح له أبواب السماء ويلقى صاحبه الإجابة من ساعته وليس لصاحبه عند الله تعالى جزاء إلا الجنة فقلت له كيف ذلك يا ابن الصادقين؟

فقال لي: يا أم داود قد دنا الشهر الحرام العظيم شهر رجب وهو شهر مسموع فيه الدعاء شهر الله الأصم فصومي الثلاثة الأيام البيض وهو يوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر واغتسلي في يوم [اليوم] الخامس عشر وقت الزوال وصلى الزوال ثماني ركعات وفي إحدى الروايات وتحسنين قنوتهن وركوعهن وسجودهن ثم صلى الظهر وتركعين بعد الظهر وتقولين بعد الركعتين يا قاضي حوائج الطالبين [السائلين] مائة مرة ثم تصلين بعد ذلك ثماني ركعات وفي رواية أخرى تقرئين في كل ركعة يعني من نوافل العصر بعد الفاتحة ثلاث مرات قل هو الله أحد وسورة الكوثر مرة ثم صلي العصر ولتكن صلاتك في ثوب نظيف واجتهدي أن لا يدخل عليك أحد يكلمك وفي رواية وإذا فرغت من العصر فالبسي أطهر ثيابك واجلسي في بيت نظيف على حصير نظيف واجتهدي أن لا يدخل عليك أحد يشغلك ثم استقبلي القبلة واقرئي الحمد مائة مرة وقل هو الله أحد مائة وآية الكرسي عشر مرات ثم اقرئي سورة الأنعام وبني إسرائيل وسورة الكهف ولقمان ويس والصافات وحم السجدة وحمعسق وحم الدخان والفتح والواقعة وسورة الملك و(ن) والقلم وإذا السماء انشقت وما بعدها إلى آخر القرآن وإن لم تحسني ذلك ولم تحسني قراءته من المصحف كررت قل هو الله أحد ألف مرة قال شيخنا المفيد إذا لم تحسن قراءة السورة المخصوصة في يوم النصف من رجب أو لم تطق قراءة ذلك فلتقرأ الحمد مائة مرة وآية الكرسي

عشر مرات ثم تقرأ الإخلاص ألف مرة وأقول ورأيت في بعض الروايات ويحتمل أن يكون ذلك لأهل الضرورات أو من يكون على حال سفر أو في شيء من المهمات فيكفيه قراءة قل هو الله أحد مائة مرة ثم قال الصادق ع في إحدى الروايات فإذا فرغت من ذلك وأنت مستقبلة القبلة تقولين:

بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ذو الجلال والإكرام الرحمن الرحيم الحليم [الحكيم] الكريم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير العليم الخبير شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام وبلغت رسله الكرام وأنا على ذلك من الشاهدين اللهم لك الحمد ولك المجد ولك العز ولك الفخر ولك القهر ولك النعمة ولك العظمة ولك الرحمة ولك المهابة ولك السلطان ولك البهاء ولك الامتنان ولك التسبيح ولك التقديس ولك التهليل ولك التكبير ولك ما يرى ولك ما لا يرى ولك ما فوق السماوات العلا ولك ما تحت الثرى ولك الأرضون السفلى ولك الآخرة والأولى ولك ما ترضى به من الثناء والحمد والشكر والنعماء.

اللهم صل على جبرئيل أمينك على وحيك والقوي على أمرك والمطاع في سماواتك ومحال كراماتك [المتحمل لكلماتك] الناصر لأنبيائك [لأوليائك] المدمر لأعدائك اللهم صل على ميكائيل ملك رحمتك والمخلوق لرأفتك والمستغفر المعين لأهل طاعتك اللهم صل على إسرافيل حامل [أحد حملة] عرشك وصاحب الصور المنتظر لأمرك والوجل المشفق من خيفتك اللهم صل على عزرائيل ملك الرحمة الموكل على عبيدك وإمائك المطيع في أرضك وسمائك قابض أرواح عبادك [جميع خلقك] بأمرك اللهم صل على حملة العرش الطاهرين وعلى ملائكة الذكر أهل التامين على دعاء المؤمنين وعلى السفرة الكرام البررة الطيبين وعلى ملائكتك الكرام الكاتبين وعلى ملائكة الجنان وخزنة النيران وملك الموت والأعوان يا ذا الجلال والإكرام اللهم صل على أبينا آدم بديع فطرتك الذي كرمته [أكرمته] لسجود

ملائكتك وأبحته جنتك اللهم صل على أمنا حواء المطهرة من الرجس المصفاة من الدنس المفضلة من الإنس المترددة بين محال القدس صل على هابيل وشيث وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط ولوط وشعيب وأيوب وموسى وهارون ويوشع وميشا والخضر وذي القرنين ويونس وإلياس واليسع وذي الكفل وطالوت وداود وسليمان [وآصف] وزكريا وشعيا ويحيى وتورخ ومتى وأرميا وحيقوق ودانيال وعزير وعيسى وشمعون وجرجيس والحواريين والأتباع وخالد وحنظلة ولقمان.

اللهم صل على محمد وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما صليت ورحمت وترحمت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم صل على الأوصياء والسعداء والشهداء وأئمة الهدى اللهم صل على الأبدال والأوتاد والسياح والعباد والمخلصين والزهاد وأهل الجد والاجتهاد واخصص محمدا وأهل بيته بأفضل صلواتك وأجزل كراماتك وبلغ روحه وجسده مني تحية وسلاما وزده فضلا وشرفا وكرما حتى تبلغه أعلى درجات أهل الشرف من النبيين والمرسلين والأفاضل المقربين اللهم وصل على من سميت ومن لم أسم من ملائكتك وأنبيائك ورسلك وأهل طاعتك وأوصل صلواتي إليهم وإلى أرواحهم [و أجسادهم] واجعلهم إخواني فيك وأعواني على دعائك [طاعتك].

اللهم إني أستشفع بك إليك وبكرمك إلى كرمك وبجودك إلى جودك وبرحمتك إلى رحمتك وبأهل طاعتك إليك وأسألك اللهم [بكرامتك] بكل ما سألك به أحد منهم من مسألة شريفة مسموعة غير مردودة وبما دعوك به من دعوة مجابة غير مخيبة يا الله يا رحمان يا رحيم يا حليم يا كريم يا عظيم يا جليل يا منيل يا جميل يا كفيل يا وكيل يا معيل يا مجير يا خبير يا منير يا مبير يا منيع يا مديل يا محيل يا كبير يا قدير يا بصير يا شكور يا بر يا طهر يا طاهر يا قاهر يا ظاهر يا باطن يا ساتر يا محيط يا مقتدر يا حفيظ يا مجير [متجبر] يا قريب يا

ودود يا حميد يا مجيد يا مبدئ يا معيد يا شهيد يا محسن يا مجمل يا منعم يا مفضل يا قابض يا باسط يا هادي يا مرسل يا مرشد يا مسدد يا معطي يا مانع يا دافع يا رافع يا باقي يا واقي يا خلاق يا وهاب يا تواب يا فتاح يا نفاح يا مرتاح يا من بيده كل مفتاح يا نفاع يا رؤوف يا عطوف يا كافي يا شافي

يا معافي يا مكافي يا وفي يا مهيمن يا عزيز يا جبار يا متكبر يا سلام يا مؤمن يا أحد يا صمد يا نور يا مدبر يا فرد يا وتر يا قدوس يا ناصر يا مونس يا باعث يا وارث يا عالم يا حاكم يا بارئ [يا بادئ] يا متعالي يا مصور يا مسلم يا متحبب يا قائم يا دائم يا عليم يا حكيم يا جواد يا بارئ يا بار يا سار يا عدل يا فاضل يا ديان يا حنان يا منان يا سميع يا بديع يا خفير يا مغير يا مفني [يا مغني] يا ناشر يا غافر يا قديم يا كريم يا مسهل يا ميسر يا مميت يا محيي يا رافع يا نافع يا رازق يا مقتدر يا مسبب يا مغيث يا مغني يا مقني يا خالق يا راصد يا واحد يا حاضر يا جابر يا حافظ [حفيظ] يا شديد يا غياث يا عائذ يا قابض.

(و في بعض الروايات) يا منيب يا مبين يا طاهر [يا ظاهر] يا مجيب يا متفضل يا مستجيب يا عادل يا بصير يا مؤمل يا مسدي [مهدد] يا أواب يا وافي يا راشد يا ملك يا رب يا مذل يا معز يا ماجد يا رازق يا ولي يا فاضل يا سبحان يا من علی فاستعلی فكان بالمنظر الأعلی يا من قرب فدنی وبعد فنأی وعلم السر وأخفی يا من إليه التدبير وله المقادير يا من العسير عليه سهل يسير ويا من هو علی ما يشاء قدير يا مرسل الرياح يا فالق الإصباح يا باعث الأرواح يا ذا الجود [و الطول] والسماح يا راد ما قد فات يا ناشر الأموات يا جامع الشتات يا رازق من يشاء بغير حساب ويا فاعل ما يشاء كيف [ما] يشاء يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم يا حي حين لا حي يا حي يا محيي الموتی يا حي لا إله إلا أنت بديع السماوات والأرض.

يا إلهي صل علی محمد وآل محمد وارحم محمدا وآل محمد وبارك علی

محمد وآل محمد كما صليت وباركت ورحمت وترحمت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد وارحم ذلي وفاقتي وفقري وانفرادي ووحدتي وخضوعي بين يديك واعتمادي عليك وتضرعي إليك أدعوك دعاء الخاضع الذليل الخاشع الخائف المشفق البائس المهين الحقير الجائع الفقير العائذ المستجير المقر بذنبه المستغفر منه المستكين لربه دعاء من أسلمته ثقته ورفضته أحبته وعظمت فجيعته دعاء حرق حزين ضعيف مهين بائس مستكين [مسكين] بك مستجيرا.

اللهم وأسألك بأنك مليك وإنك ما تشاء من أمر يكون [يكن] وإنك على ما تشاء قدير وأسألك بحرمة هذا الشهر الحرام والبيت الحرام والبلد الحرام والركن والمقام والمشاعر العظام وبحق نبيك محمد عليه وآله السلام يا من وهب لآدم شيثا ولإبراهيم إسماعيل وإسحاق ويا من رد يوسف على يعقوب ويا من كشف بعد البلاء ضر أيوب ويا راد موسى على أمه وأنت زائد الخضر في علمه ويا من وهب لداود سليمان ولزكريا يحيى ولمريم عيسى يا حافظ بنت شعيب ويا كافل ولد أم موسى عن والدته.

أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تغفر لي ذنوبي كلها وتجيرني من عذابك وتوجب لي رضوانك وأمانك وإحسانك وغفرانك وجنانك وأسألك أن تفك عني كل حلقة وضيق [حلقة ضيق] بيني وبين من يؤذيني وتفتح لي كل باب وتلين لي كل صعب وتسهل لي كل عسير وتخرس عني كل ناطق بشر [بسوء] وتكف عني كل باغ وتكبت عني [لي] كل عدو لي وحاسد وتمنع عني كل ظالم وتكفيني كل عائق يحول بيني وبين حاجتي وإخواني من المؤمنين والمؤمنات ووالدي ويحاول أن يفرق بيني وبين طاعتك ويثبطني عن عبادتك يا من ألجم الجن المتمردين وقهر عتاة الشياطين وأذل رقاب المتجبرين ورد كيد المتسلطين عن المستضعفين أسألك بقدرتك على ما تشاء وتسهيلك لما تشاء كيف تشاء أن تجعل [تعجل] قضاء حاجتي فيما تشاء.

ثم اسجدي على الأرض وعفري خديك على الأرض وقولي اللهم

لك سجدت وبك آمنت فارحم ذلي وفاقتي واجتهادي وتضرعي ومسكنتي وفقري إليك يا رب واجتهدي أن تسح عيناك ولو بقدر رأس الذبابة دموعا فإن ذلك [من] علامة [علامات] الإجابة.

رواية أخرى في سجدة هذا الدعاء ما هذا لفظه:

ثم اسجدي على الأرض وعفري خديك وقولي اللهم لك سجدت وبك آمنت فارحم ذلي وخضوعي بين يديك وفقري وفاقتي إليك وارحم انفرادي وخشوعي واجتهادي بين يديك وتوكلي عليك اللهم بك أستفتح وبك أستنجح وبمحمد عبدك ورسولك [و آله] أتوجه إليك اللهم سهل لي كل حزونتي [حزونة] وذلل لي كل صعوبة وأعطني من الخير أكثر مما أرجو وعافني من الشر واصرف عني السوء ثم قولي مائة مرة يا قاضي حوائج الطالبين اقض حاجتي بلطفك يا خفي الألطاف قال جعفر الصادق ع واجتهدي أن تسح عيناك ولو مقدار رأس الإبرة [ذبابة] دموعا فإنه علامة إجابة هذا الدعاء بحرقة القلب وانسكاب العبرة واحتفظي بما علمتك.

رواية أخرى في سجدة هذا الدعاء ما هذا لفظها:

ثم اسجدي على الأرض وعفري خديك ثم قولي في سجودك اللهم لك سجدت ولك صليت وبك آمنت وعليك توكلت وارحم ذلي وفاقتي وخضوعي وذلي وانفرادي ومسكنتي وفقري وكبوتي لوجهك وإليك يا رب يا رب واجتهدي أن تسح عيناك ولو بقدر رأس ذباب دموعا فإن آية الإجابة لهذا الدعاء حرقة القلب وانسكاب العبرة واحفظي ما علمتك واحذري أن تعلميه من يدعو به لباطل فإن فيه اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى فلو أن السماوات والأرض كانتا رتقا والبحار من دونهما كان ذلك عند الله دون حاجتك لسهل الله تعالى الوصول إلى ذلك ولو أن الجن والإنس أعداؤك لكفاك الله مئونتهم وذلل [الله] رقابهم[1]

(١) إقبال الأعمال، طبعة الأعلمي ـ ١٦٧.

أقول: فإذا علمت ما ذكرنا من هذا الاحتياطات للعبادات والاستظهار في الروايات والسجدات ولم يسمح عقلك بالخضوع ولا قلبك بالخشوع ولا عينك بالدموع فاشتغل بالبكاء على قساوة قلبك وغفلتك عن ربك وما أحاط بك من ذنبك عن الطمع في قضاء حاجتك التي ذكرتها في دعواتك وبادر رحمك الله إلى معالجة ذاتك وتحصيل شفائك فأنت مدنف المرض على شفاء وتب من كل ذنب واطلب العفو ممن عودك أنك إذا طلبت العفو منه عفا.

أقول: ونحن نذكر تمام رواية أم [جدنا] داود رضوان الله عليه ليعلم كيفية تفصيل إحسان الله جل جلاله إليها فلا تقنع لنفسك أن تكون معاملتك لله جل جلاله وإخلاصك له واختصاصك به والتوصل في الظفر برحمته وإجابته دون امرأة والنساء رعايا للعقلاء والرجال قوامون على النساء وقبيح بالرئيس أن يكون دون واحد من رعيته

فقالت أم جدنا داود رضوان الله عليه: فكتبت هذا الدعاء وانصرفت ودخل شهر رجب وفعلت مثل ما أمرني به تعني الصادق ع ثم رقدت تلك الليلة فلما كان في آخر الليل رأيت محمدا ص وكل من صليت عليهم من الملائكة والنبيين ومحمد صلى الله عليه وآله وعليهم يقول [يقولون] يا أم داود أبشري وكل من ترين من إخوانك [أخواتك] وفي رواية أخرى من أعوانك وإخوانك وكلهم يشفعون لك ويبشرونك بنجح حاجتك وأبشري فإن الله تعالى يحفظك ويحفظ ولدك ويرده عليك قالت فانتبهت فما لبثت إلا قدر مسافة الطريق من العراق إلى المدينة للراكب المجد المسرع العجل حتى قدم علي داود فسألته عن حاله فقال إني كنت محبوسا في أضيق حبس وأثقل حديد وفي رواية وأثقل قيد إلى يوم النصف من رجب فلما كان الليل رأيت في منامي كان الأرض قد قبضت لي فرأيتك على حصير صلاتك وحولك رجال رءوسهم في السماء وأرجلهم في الأرض يسبحون الله تعالى حولك فقال لي قائل منهم حسن الوجه نظيف النور طيب الرائحة خلت جدي رسول الله ﷺ أبشر يا ابن العجوزة الصالحة فقد استجاب الله لأمك فيك

دعائها فانتبهت ورسل المنصور على الباب فأدخلت عليه في جوف الليل فأمر بفك الحديد عني والإحسان إلي وأمر لي بعشرة آلاف درهم وحملت على نجيب وسوقت بأشد السير وأسرعه حتى دخلت المدينة قالت أم داود فمضيت به إلى أبي عبد الله [الصادق] عليه السلام فقال ع إن المنصور رأى أمير المؤمنين عليا ع في المنام يقول له أطلق ولدي وإلا ألقيتك في النار ورأى كأن تحت قدميه النار فاستيقظ وقد سقط في يديه فأطلقك يا داود قالت أم داود فقلت لأبي عبد الله يا سيدي أيدعى بهذا الدعاء في غير رجب قال نعم يوم عرفة وإن وافق ذلك يوم الجمعة لم يفرغ صاحبه منه حتى يغفر الله له وفي كل شهر إذا أراد ذلك صام الأيام البيض ودعا به في آخرها كما وصفت في روايتين قال نعم في يوم عرفة وفي كل يوم دعا فإن الله يجيب إن شاء الله..

ثم إن السيد بن طاووس قد عقد فصلا للدروس المستفادة من القضية المذكورة فقال:

فصل فيما نذكره مما اشتمل عليه دعاء أم داود شرفها الله بالعنايات من الآيات الطاهرات

اعلم أن هذه الحكاية المشهورة والضراعة المبرورة قد اشتملت على عدة آيات ومعجزات وكرامات وعنايات:

ـ فمن الآيات ما ظهر من سرعة الإجابة على بساط الإنابة فهو في حكم الآية الباهرة لقدرة الله جل جلاله القاهرة والمعجزة لمحمد ص وتصديق رسالته الطاهرة.

ـ ومن المعجزات أن سرعة إجابتها على مرادها من حاجتها [حاجاتها] فيه تصديق للقرآن الشريف بإجابة الداعي إذا دعاه وتصديق رسوله [رسول الله] ص الذي أتى به القرآن ووعاه [دعاه] ورعاه ومن المعجزات تعريف الصادق عن الله جل جلاله بأسرار الدعاء المشار إليه قبل إظهار أسراره وتصديق الله جل جلاله بما تفضل به سبحانه من مباره ومساره.

ـ ومن العنايات بجدنا داود وأمه جدتنا رضوان الله جل جلاله عليهما وظهور توفيقهما والعناية بنا بطريقهما تعريف جدنا داود وهو بالعراق جواب دعاء والدته بالمدينة الشريفة في سرعة تلك الأوقات اللطيفة.

ـ ومن العنايات بها أن هذا السر الإلهي المودع في هذا الاستفتاح كان مصونا عند أهل الفلاح حتى وجد مولانا الصادق عليه‌السلام وأودعه أمنا أم داود رضوان الله عليها وعليه ووجدها أهلا لإيداع هذا السر لصدرها وبرهانا على رفع قدرها وآية في صلاح أمرها وجبر كسرها ومن العنايات بها أن الله جل جلاله جعل جدتنا أم داود أهلا أن يظهر آياته على يديها وينسب معجزات رسوله عليه‌السلام [رسول الله] إليها.

ـ ومن العنايات بها أن أم موسى ع خصها الله جل جلاله بالوحي إليها ووقفها من سلامة ولدها والشفقة عليه وعليها وقال جل جلاله: ﴿**إِنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْ لا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها**﴾ وما كانت لما ألقته في البحر قد علمت أنه حصل ولدها في يد الأعداء بل في وديعة ربها وأم داود لم تكن ممن يحصل لها الأنس بالوحي إليها ولا الثقة بسلامة ولدها وإعادته عليها وربط الله جل جلاله على قلبها عند ظفر الأعداء بولدها وهو واحدها وقطعة كبدها

أقول وأم موسى عليه‌السلام أفضل من أم داود في غير هذه العنايات وأبلغ في السعادات لتخصيص الله جل جلاله بالوحي إليها ولقبولها وإلقاء ولدها إلى هول البحر بيديها ولأجل ولادتها لموسى ع العظيم الشأن وصيانتها لأسرار الله تعالى في السر والإعلان.

ـ ومن العنايات بها أنها لم تتشبث في تخليص ولدها العزيز عليها بأهل الدنيا المعظمين ولا بالذل للملوك والسلاطين وقنعت بالله رب العالمين ومن العنايات بولدها وبها قول مولانا علي عليه‌السلام عن جدنا داود في المنام أنه ولده ومن العنايات به وبها أنه قد كان مع جدنا داود جماعة في الحبس من قومه صالحين فاختص [فاختصه] بهذه الشفاعة من دونهم أجمعين.

ـ ومن العنايات بها قول النبي ص لولدها يا ابن العجوزة الصالحة وهذه شهادة منه ص لها بالصلاح وسعادة صريحة واضحة راجحة وما قال عليه السلام بعد وفاته فهو كما قال في حياته ومن العنايات بها ما أراها في المنام عقيب الدعاء بغير إهمال من صورة الملائكة والأنبياء والأولياء ومن بشرها منهم بإجابة الدعاء والابتهال على وجه ما عرفت أنه جرى لغيرها مثله عند مثل تلك الحال ومن العنايات بها أن ابتداء ظهور هذه السنة الحسنة بطريقها يقتضي أن كل من عمل بها وسلك سبيل توفيقها ثواب عمله في ميزانها ورافعا من علو شأنها.

ـ ومن العنايات بها أن كل حاجة انقضت بهذه الدعوات مع استمرار الأوقات فإنها من جملة [جهة] الآيات لله جل جلاله والمعجزات لرسوله ص والكرامات للصادقين عليهم أفضل الصلوات فنور هذه المنقبة باق مع بقاء العاملين [العالمين] بها والموفقين لها.

ـ ومن العنايات بها أنه قد ظهر أدعية وسنن مأثورة على يد أمم كثيرة وذوي همم صغيرة وكبيرة ومع ذلك فلم يستمر الاهتمام بالعمل بها والقبول لها كما استمر العمل بهذا الدعاء على اختلاف الأوقات إلى هذه الغايات ومن العنايات بها أن الملوك الذين أطفئوا أنوارا كثيرة من الأشرار والأخيار لم يمكنهم الله جل جلاله من إطفاء أسرار هذا الدعاء ووفق له من ينقله ويعمل به ولا يخاف كثرة الأعداء..

٥- سعيدة مولاة[١] الإمام جعفر الصادق عليه السلام

كانت موجودة إلى سنة ٢٠٣هـ.

❁ ❁ ❁ ❁

منهجان يلاحظ المتأمل آثارهما في فهم الإسلام وتطبيقه.

الأول: منهج الحزب القرشي، والآخر منهج أهل البيت عليهم السلام. يمكن للمتأمل أن يلاحظ أن الحزب القرشي لم يستطع أن يتفاعل بالكامل مع كل تشريعات الإسلام، وإنما حاول أن يطوع بعضها بما ينسجم مع أوضاعه، وأن يؤخر بعضها الآخر، أو يصبغه بالصبغة التي تلائمه.. ولعل أول من أشار إلى وجود هذا الحزب ذي الممارسات الخاصة التي تتميز كمنهج، فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها ﴿.. **كُلَّمَا أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ**﴾، أو نجم قرن للشيطان، وفغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدودا في ذات الله، ومجتهدا في أمر الله، قريبا من رسول الله، سيد أولياء الله، مشمّرا ناصحا، مجدّا كادحا،

(١) قال المولى النراقي في عوائد الأيام: إن كلمة مولى تطلق على معان: على المعتِق، فمن أعتق رجلا فهو مولاه (أي المعتِق) من أعلى، وعلى المعتَق فمن اعتقه رجل يكون المعتَق مولى ذلك الرجل، وعلى الحليف فمن حالف رجلا ـ بالمعاقدة ـ صار مولاه، وعلى المولى بالإسلام فمن أسلم على يد آخر صار مولاه بالإسلام، وعلى غير العربي فيقال فلان مولى أي غير عربي..

وأنتم في رفاهيّة من العيش، وادعون فاكهون آمنون، تتربّصون بنا الدوائر، وتتوكّفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرّون عند القتال، فلمّا اختار الله لنبيّه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفا بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، وأحمشكم فألفاكم غضابا، فوسمتم غير أبلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، والرسول لمّا يقبر، ابتدارا زعمتم خوف الفتنة ﴿**أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ**﴾[1].

ونجد ممارسات هذا الحزب متميزة سواء في السياسة أو في الفكر أو في المجتمع.. ففي السياسة صمم على إبعاد أهل البيت عليهم السلام، وانتهى به الحال إلى أن بعضه مع تصريحه بأنهم «لو ولوها عليًّا لسار بهم على الطريقة المثلى» لكنه في الأخير يقول: إن قريشا[2] قد اختارت لنفسها ووفقها الله!. وفي الفكر راح مرة يستجدي على موائد أهل الكتاب عفن أفكارهم، وانتخب منهم القصاصين، والوعاظ وأطلق حناجر هؤلاء في مساجد المسلمين لكي يشغلوهم بالإسرائيليات عن واقعهم، وعن الفكر الأصيل، وأخرى يتجاوز أحكام القرآن ونصوصه بدعوى الاجتهاد، وغير ذلك.

وفي الاجتماع عادت العصبيات القبلية، والممارسات الجاهلية، وكأن الدين كان قشرا للاستهلاك والإعلام.. فمع أن الدين جاء بمنظومة جديدة

(١) بحار الأنوار ٢٩/ ٢٢٥.

(٢) مر فيما سبق أن عليا كان يتشكى من قريش وظلمها، وقريش هنا ليس المقصود منها من يرتبط معها بالنسب، وإلا فإن عليا عليه السلام من علياء قريش ورسول الله كذلك، وبني هاشم، ولكن تشكيه هو من الملأ القرشي، والحزب الذي كان كافرا، واليوم يريد التسلط.

من القيم والمثل إلا أن هذه لم تكن لتجد لها مكانا بينهم فتعاملهم مثلا مع غير العرب ـ بل حتى غير القرشيين كما هو حال الأنصار ـ لم يكن ليحكمه الدستور الإلهي، والأخلاق الدينية، فبمجرد أن يكون المسلم غير عربي، فهو عند هذا الحزب في درجة ثانية.. ولذا فأنت ترى أن مثل عمار بن ياسر وهو من هو عند رسول الله لكنه عند هؤلاء يبقى (ابن السوداء)، وأم ايمن وهي التي شهد لها رسول الله ﷺأنه (من أهل الجنة) تبقى عندهم (سوداء أعجمية)!!

ولقد كان لهذا التعامل أثره السيئ في نفوس المسلمين غير العرب، ولولا أن تدارك الله الناس برحمته من خلال أهل البيت الذين جسدوا تعاليم الإسلام في تعاملهم، وسلوكهم، لكان الوضع شديد الخطورة. فهاهو رسول الله ﷺ يقول: خمس لا أدعهن حتى المات: «... والأكل على الحضيض مع العبيد.. لتكون سنة من بعدي»، وفي الوقت الذي قامت الخلافة فيه بعد النبي بتحويل فكر قريش إلى مشروع عملي، ونفذت فيه التمييز القائم على أساس العرق والعنصر واللغة، فكان لقريش القدح المعلى في الخراج والغنائم، ثم سائر العرب، وبعدهم الموالي، وأما العبيد فكانوا في قعر الحضيض..

وجاء أمير المؤمنين عليه السلام ليقول: والله لو كان المال لي لسويت بينهم كيف والمال لهم؟.. فلقد جاءت امرأة عربية ومعها مولاتها (الأعجمية)، وقد أعتقتها ليوم سبق، فأعطاها كما أعطى مولاتها، ولما استنكرت ذلك موضحة له (!!) أنها قد أعتقتها ليوم مضى وأنها أعجمية..! قبض قبضة من التراب وفته أمامها وقال: ما جعل الله لبني إسماعيل فضلا على بني اسحاق.

وظل هذان الخطان: خط يمثل رحمة الإسلام وعطفه على الإنسان، وينطلق من منطلق «كلكم لآدم وآدم من تراب» وأنه «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى» وكان يجسده أهل البيت عليهم السلام،

وخط آخر، يعزل غير العرب، ويمتهن المسلم العبد، ويعذب الموالي لو تجرؤا على الزواج من عربية![1]. بل لقد وصل الحال ببعض الخلفاء والحكام إلى التفكير بنفي من لم يكن عربيا من بلاده، وبقتل البعض الآخر، باعتبار أنه قد (كثرت الحمراء) ـ أي غير العرب.

بينما قام أهل البيت عليهم السلام بتأكيد انصهار هذه المجموعات في الإسلام وأنه لا نسب ولا حسب فوق الدين، ولهذا يكون سلمان الأعجمي المولى والذي هو بحسب التصنيف القرشي عبد مشترى (منا أهل البيت). وتكون بعض أمهات الأئمة عليهم السلام من غير العرب سواء من فارس أو من الروم..

بل حتى الذي كانوا في بيوتهم كعبيد أو إماء ـ ينالون حريتهم بعد التهذيب والتربية ـ كانوا يرتقون في مدارج الكمال حتى يفوقوا نظراءهم من (الأعراب الأقحاح)!

وأمامنا امرأة كانت في بيت الإمام الصادق عليه السلام، ويمكن أن تكون مثالا في كيفية تعامل الأئمة مع مواليهم وخدمهم. ذلك أن من المشاكل اليوم التي تعيشها بعض الأسر المسلمة سوء تعاملها مع (خدمها) و(خادماتها)[2].

(١) رُفع (!!) إلى والي المدينة إبراهيم بن هشام أن مولى ـ غير عربي ـ قد تزوج امرأة عربية من بني سليم، فأرسل إليه وفرق بينهما وجلده مائتي سوط، وحلق رأسه وحاجبه ولحيته!!

(٢) نقلت الصحف قبل مدة صورة سيئة عن العلاقة بين ربة بيت في لبنان وبين خادمة في بيتها صغيرة السن، وقد نقلت هذه الخادمة التي اضطرتها ظروفها الصعبة للعمل في ذلك البيت، إلى المستشفى لتتحول قصتها إلى قضية فقد تبين أن ربة البيت كانت تمارس بحقها أسوأ أنواع العذاب والتنكيل، من الضرب، والتجويع، والتقييد بالاسلاك إلى حد أنهم قد يضطرون إلى بتر بعض أطرافها التي قيدت فترات طويلة بالاسلاك!!

إننا نلحظ أن الأئمة عليهم السلام قد احتضنوا مجموعة من العبيد والجواري، وهؤلاء ربما كانوا لو لم يوفقوا للالتحاق بأهل البيت، والكون في بيوتهم لعادوا ككثير غيرهم من ذلك الكم الذي عوضته الخدمة مهانة، والاسترقاق جهلا.. بينما شاء لهم توفيق الله أن يكونوا مع أهل البيت عليهم السلام، فأنتجوا علما وعملا، يتفوقون به على نظرائهم الأحرار، فتلك أم أيمن بركة مولاة النبي صلى الله عليه وآله والتي شهد لها النبي أثناء حياتها بأنها من أهل الجنة وهذا قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام كيف صعد إلى أن أصبح بمثابة العضد لأمير المؤمنين عليه السلام، وجون الذي صار شهيدا وريحه أطيب من المسك[١].. وغيرهم.

وممن نال شرف الالتحاق بخط أهل البيت ووجد في بيوتهم، وتربى على أيديهم، سعيدة التي تعرفها المصادر الرجالية بأنها مولاة لأبي عبد الله الصادق عليه السلام. وأحيانا بأنها مولاة أم فروة، وقد ذكر عنها الإمام الرضا عليه السلام أنها كانت «من أهل الفضل وكانت تعلم كلما سمعت من أبي عبد الله عليه السلام فإنه كان عندها وصية رسول الله ص وإن جعفرا قال لها اسألي الله الذي عرفنيك في الدنيا أن يزوجنيك في الجنة»[٢].

والذي يظهر أن الذي أوصلها إلى تلك المرتبة العالية أمور:

* احترامها الفائق لرسول الله صلى الله عليه وآله: بينما نجد بعض المسلمين وإلى يومك هذا يسيئون الأدب في حق رسول الله بينما تعبدنا القرآن وأمر المسلمين بأن ﴿**لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ**﴾ وفي هذه الجهات الأخلاقية لا ينبغي أن يختلف الحال بين الحياة والممات إلا أننا نجد أن قسما من المسلمين لا يعتني بذلك فلا يهمه أن يهين موضع قبر النبي وأن يتعمد استدباره من غير حاجة إلى ذلك،

(١) يراجع رجال حول أهل البيت ج ١ للمؤلف
(٢) رجال الكشي

ويعتبر أن النبي قد مات ولا أثر له بعد ذلك، تماما كما نقل عن الحجاج الثقفي الذي قال: «ما بالهم يطوفون بأعواد ورمة بالية ـ يقصد قبر نبي الرحمة ومنجي الأمة ـ.. هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك؟»[1]. إن إساءة الأدب في حق رسول الله درجات تبدأ من الامتناع عن زيارته، وتمر ببعض الممارسات التي يظهر منها عدم الاعتناء بمقامه الشريف بذرائع مختلفة، وتنتهي بمقالة الحجاج.

في المقابل رأى أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم أن مما يقرب المرء من الله زيادة احترامه للنبي حيا وميتا كيف لا، وقد أمر بالصلاة عليه في كل حين حتى عدت الصلاة عليه أفضل أعمال الإنسان، واثقل ما يوضع في الميزان؟ وهذا ما جرى عليه أتباع أهل البيت، وأما سعيدة مولاة الإمام الصادق عليه السلام، فقد كانت لا ترى في المسجد إلا مسلمة على النبي صلى الله عليه وآله.

وكان أئمة أهل البيت يؤدبون أتباعهم ومواليهم على احترام ما يتصل برسول الله، باعتباره رمزا للنبوة، وأنه يكتسب قداسة من قدس من أضيف إليه ولهذا لما ائتمن الإمام الصادق عليه السلام سعيدة على بعض ما يرتبط برسول الله من آثار، ورآها قد قصرت في حفظها وصيانتها، ولم تتعامل معها بالمقدار الذي يقتضيه انتسابها للرسول، وبخها وقرعها، وأغلظ لها القول.. مما لم يكن معهودا من طريقة الإمام نفسه، وخصوصا بالنسبة إلى سعيدة تلك المرأة الفاضلة.

فقد حدث محمد بن عبد الجبار عن أبي القاسم عبد الرحمن بن حماد عن محمد بن سهل عن إبراهيم بن أبي البلاد عن عيسى بن عبد الله عن محمد بن عمر بن علي عن أمه أم الحسين بنت عبد الله بن محمد بن علي بن الحسين قالت بينا أنا جالسة عند عمي جعفر بن محمد إذ دعا سعيدة جارية كانت له وكانت منه بمنزلة فجاءته بسفط فنظر إلى خاتمه عليه ثم فصه ثم نظر في

(١) شرح نهج البلاغة ١٥/ ٢٤٢.

السفط ثم رفع رأسه إليها فأغلظ لها قال قلت فديتك كيف ولم أرك أغلظت لأحد قط فكيف بسعيدة قال أتدرين أي شيء صنعت يا بنية هذه راية رسول الله ﷺ العقاب أغفلتها حتى انكبت ثم أخرج خرقة سوداء ثم وضعها على عينيه ثم أعطانيها فوضعتها على عيني ووجهي[1]..

* الوعي والمعرفة: فإنه في منظومة القيم الدينية يتحدد موقع الإنسان بناء على علمه ووعيه (وإيمانه) فيرتفع فيها (الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) بينما يبقى الجهلة، وغير الواعين في نهاية القائمة، ولا يختلف في هذا أن يكون المرء من عرق معين أو عنصر خاص. بل المدار على تحليه بالعلم والمعرفة.

وكانت سعيدة (من أهل الفضل) وعرفت وفهمت كلما سمعته من أبي عبد الله الصادق عليه السلام وهذا يعني أنها قد احتوت على علم كثير. فنحن نجد أن الإمام عليه السلام عندما لا يريد الإجابة في وقت معين، لأنه يرى الظرف غير مناسب، يرسل بالجواب شفويا إلى السائل، ومعلوم أن تحمل الجواب يحتاج إلى قدر من المعرفة لكيلا يؤدي عكس المراد أو أقل من المطلوب. وفي هذا ربما أرسل الإمام عليه السلام سعيدة إلى من شاء من شيعته لأخبارهم بالإجابة التي امتنع عن ذكرها لهم في وقت سابق.

فقد روى الشيخ الطوسي في التهذيب عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن سليم الفراء، عن الحسين بن مسلم، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ جاءه محمد بن عبد السلام، فقال له: جعلت فداك يقول لك جدي: إن رجلا ضرب بقرة بفأس. فسقطت، ثم ذبحها. فلم يرسل معه بالجواب، ودعا سعيدة مولاة أم فروة، فقال لها: «إن محمداً جاءني برسالة منك، فكرهت أن أرسل إليك بالجواب معه، فإن كان الرجل الذي ذبح البقرة

(١) بحار الأنوار ٢٦/ ٢١٥.

حين ذبح، خرج الدم معتدلا، فكلوا وأطعموا، وإن كان خرج خروجا متثاقلا فلا تقربوه».

في رحاب الإمام الكاظم عليه السلام



موجز عن حياة الإمام
موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

الإمام أبو الحسن ١٢٨- ١٨٣هـ:

ولد عام ١٢٨ هـ وتوفي عام ١٨٣ ومدة إمامته ٣٥ سنة.

بلغت المواجهة أيامه بين الحكام العباسيين وبين أتباع الأئمة أقصاها، حيث ظروف المراقبة الشديدة ويلحظ ذلك في كيفية وصية الإمام الصادق عليه السلام له بالإمامة، كما يلحظ في الألقاب التي تطلق على الإمام الكاظم عليه السلام عند نقل الرواية عنه عليه السلام (الشيخ، والرجل، والعابد، والعالم...) وفي إقدام هارون الرشيد على سجن الإمام لمرات عديدة، ولم يشهد هذا مع غيره من الأئمة عليهم السلام.

كان للإمام الكاظم عليه السلام موقف صريح معارض، يتمثل في اعتبار الخلافة العباسية حكماً ظالماً، وأن التعاون معه ولو في حدود كراية الدواب في طريق مكة، عمل لا يليق بالمؤمن، وأنه من مصاديق الركون للظالمين، ولم يكن يقتصر في بيان ظلم العباسيين ولاشرعيتهم على أصحابه، بل كان يواجه الحكام بذلك أيضاً، فقد طلب إليه أحد الخلفاء العباسيين تحديد فدك ليردها إليه. فأخبره أن فدك هي بحدود العالم الإسلامي آنئذٍ، يعني أن المغتصب منهم هو منصب الخلافة وقيادة الناس.

وفي المقابل كان الإمام عليه السلام يحيط المحتاجين والفقراء، بكرمه، وعطاياه، وكانت «صرر موسى» قد ذهبت مثلاً آنئذٍ. كما كان يعرف بكظمه للغيظ وعفوه عن الخاطئ، ولذا لقب بالكاظم.

في مواجهة الحكم العباسي للإمام عليه السلام تعددت الأساليب، بتعدد الحكام حيث عاصره المنصور، والمهدي، والهادي والرشيد، فهم من جهة منعوا من الاتصال بالإمام تلاميذه تحت طائلة العقوبة، وشجعوا فقهاء آخرين على الإفتاء ودعوا الناس إليهم، وألزموا المسلمين بالعمل طبقاً لمذهب مالك، بعدما فرضوا (الموطأ) في دوائر الدولة. وحاولوا في نفس الوقت ادعاء أنهم أقرب للرسول من الأئمة، وأن الأئمة هم أبناء علي لا أبناء النبي، وقد ناظر الإمام الكاظم هارون الرشيد في المسألة حينما سأله عن ذلك، فقال له الإمام: لو خرج رسول الله وخطب إليك أكنت تزوجه؟! قال هارون: نعم وكنت أفتخر بذلك. فقال الإمام: لكنني لا أزوجه ولا يخطب إليّ لأنه ولدني!!...

وأخيراً توجت مواجهتهم له بالسجن، لفصله عن أتباعه، والضغط عليه، وأخيراً قتله في السجن. وبالفعل فقد تم سجن الإمام في سجن عيسى بن جعفر في البصرة أولاً، ثم في سجن الفضل بن يحيى، ثم في سجن السندي بن شاهك، ويرى بعض المؤرخين أن مجموع الفترات التي كان الإمام فيها مسجوناً بلغ أربعة عشر عاماً.

توفي مسموماً في سجن السندي بن شاهك عام ١٨٣ هـ. ودفن في بغداد..

١- نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن السبط عليها السلام

توفيت في مصر سنة ٢٠٨هـ.

❁ ❁ ❁ ❁

﴿لَـهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾

الأنعام ١٢٧

❁ ❁ ❁ ❁

أهل البيت برَكة شاملة، ومودتهم خير لمن ﴿**شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً**﴾، الأئمة منهم طرق الإله إلى الجنة، والوسيلة إلى الرحمة.. وغير الأئمة علماء ربانيون ينهلون من معين العلم الإلهي، وينشرونه بين الناس نورا وهداية..

وهذا هو واحد من الأسباب التي جعلت أعداءهم ﴿**يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَآ آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ ولا ذنب لهم في ذلك ﴿**فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالحِكْمَةَ**﴾[١]. ولهذه الجهة كانت وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمته باتباعهم واقتفاء أثرهم كما هو مفاد حديث الثقلين المعروف بين الفريقين.

---

(١) النساء ٥٤.

ولا يقتصر هذا الأمر على الرجال وإن كانوا في الطليعة، بل وجدنا نساء أهل البيت عليهم السلام بعد أن نهلن من علم جدهم رسول الله وأبيهم أمير المؤمنين صرن منارات علم، وهداية لصنفهن.. فهذه مفسرة للقرآن وتلك راوية حديث والأخرى مقتداة عمل ومدرسة سلوك وعرفان إلهي.

وأمامنا من النماذج: نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن المجتبى عليه السلام.. فهذه العلوية تمثلت طريقة أجدادها الطاهرين في عبادة ربها حتى غدت مدرسة في ذلك. ولنر ما يقوله التاريخ عنها..

في مدينة جدها الرسول تزوجت، بإسحاق بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ذلك العالم الخبير الثقة عند العامة والخاصة.. فنحن نرى ابن كاسب إذا حدث عنه ـ وقد كان إسحاق كثير الرواية عن آبائه ـ يقول: حدثني الثقة الرضا إسحاق بن جعفر.

وعندما اضطربت أمور البعض بعد الإمام الصادق عليه السلام، فشرّق بعضهم واتخذ طريق الإسماعيلية، وجعلوا الإمامة في غير موضعها، وغرب آخرون باتجاه عبد الله الأفطح قام إسحاق ـ مع جلالة قدره وتفوقه علما وعملا على من ذكر ـ بتأكيد أن الإمامة هي في أخيه موسى الكاظم عليه السلام، ودعا الناس إليه، مع أنه لو دعا لنفسه لم يعدم الأنصار، ولكنه مسؤولية حماية خط الإمامة وحفظ تراث رسول الله في هداية الأمة، فها هو يحدث بما رآه قائلا: كنت عند أبي يوما فسأله عمر بن علي: جعلت فداك إلى من نفزع ويفزع الناس بعدك فقال: إلى صاحب الثوبين الأصفرين والغديرتين ـ يعني الذؤابتين ـ وهو الطالع علينا من هذا الباب، يفتح الباب بيديه جميعا، فما لبثنا أن طلعت علينا كفان آخذة بالبابين ففتحهما ثم دخل علينا أبو إبراهيم[1].

(١) الكافي ١/ ح ٥ من أبواب النص على أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام.

ففي تلك الغمرات التي ضل فيها بعض واتبعوا أهواءهم بغير علم نجد هذا العالم الفقيه الذي «كان من أهل الفضل والصلاح والورع والاجتهاد، وقد روى عنه الناس الحديث والآثار» يقف موقفا واضحا، ويدعو الناس لإمامة من أوجب الله إمامته، بل نجد أن عليا بن جعفر الصادق عليه السلام وهو من هو في العلم، والمعرفة بروايات أهل البيت كان يعتني بشأنه ويستند إلى أفعاله.

كما أنه كان من شهود الإمام الكاظم عليه السلام في وصيته للإمام الرضا عليه السلام، فكان ذلك إعلانا للحرب على الواقفة الذين زين لهم الشيطان أعمالهم، وحليت الدنيا في أعينهم وأرادوا الاستحواذ على ما لديهم من أموال الإمام الكاظم عليه السلام فأعلنوا أنه لم يمت وأنه لا وصي له، ولا إمامة لعلي الرضا بالتالي، فكان موقف إسحاق وهو من ذكرنا في العلم والمنزلة، ومن حيث النسب يكون عم الرضا عليه السلام، وأكبر منه سنا.. ومع ذلك فقد أشار إليه.. مما كان له أبلغ الأثر في خمود نار الواقفة. كما أنه انتصر للإمام الرضا عليه السلام عندما أراد أحد إخوته المسمى بالعباس أن يفض كتاب أبيهم الذي أوصى بعدم فتحه و(من فعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) بزعم أن أباهم قد خلف كنزا وأن الرضا يريد أن يحجبه عنهم!! فقام إليه إسحاق بن جعفر عمه وأخذ بتلابيبه قائلا: إنك لسفيه ضعيف أحمق![1]

كما أنه روى حديث المعراج الذي ورد فيه النص على جميع الأئمة بأسمائهم كما أورده الخزاز القمي في كفاية الأثر. ولذلك لا غرابة أن عرف بلقب (المؤتمن) فطابق الاسم المسمى وأي أمانة أعظم من أمانة الإمامة والحق وإيصال ما يعرف إلى من جهل من الناس؟

هذا هو زوجها رضوان الله عليه، والذي سافر بها بعد مدة إلى مصر.

---

(١) الكافي ١/ ح ١٥ من أبواب النص على أبي الحسن علي الرضا عليه السلام.

ونحن لا نعرف السبب الذي دعا اسحاق وزوجته للخروج من مدينة جده المصطفى مهاجرا إلى مصر ليبقى فيها، وهل أن مرد ذلك إلى الأوضاع السياسية التي عاصرها في زمان المنصور العباسي الذي كانت علاقته متوترة بآل البيت عليهم السلام، فقام بأعمال انتقامية كثيرة تجاههم، ليس أدناها اغتيال والده الإمام الصادق عليه السلام، أو تصفية أبناء عمها محمد وعبدالله وغيرهما من الحسنيين والحسينيين، مما ذكر في كتب المقاتل. وذلك أن عددا غير قليل من العلويين قد تفرقوا في البلاد بعيدا عن أنظار السلطات الظالمة، مجتنبين دائرة الضوء. أو أن ذلك كان بدافع نشر فكر أهل البيت وتعاليمهم في البلاد المختلفة. أو الأمرين معا.. إلا أننا نعلم أن تلك الهجرة كان لها فوائد كثيرة بالنسبة إلى المصريين وعلاقتهم بأهل البيت.

جاءت نفيسة العابدة التي خطت لأهل مصر طريقا في المعاني الروحية المتصلة بالدور الاجتماعي، والعلمي.. ذلك أنه قد حدث الانفصال بين العلم والعرفان، وبين المعرفة والتوجه الروحاني، فحصل في الأمة صنفان: صنف يتخذ طريق العرفان، والسلوك، وتهذيب النفس، والاتصال بالخالق لكنه لا يعتني بالعلم، وصنف آخر عالم ولكنه غير سالك إلى الله، ولا يهتم بالأمر الروحي، ولا بالدعاء والتوسل.. وكانت النتيجة في بعض الحالات مدمرة، كما في الحديث الشريف: «قصم ظهري اثنان: جاهل متنسك وعالم متهتك» فالجاهل المتنسك أعطى صورة غير طيبة لأثر الأمور الروحية سيما عندما تقترن أعماله تلك بالدروشة والممارسات الخاطئة البعيدة عن روح الشريعة.. والعالم المتهتك استفادت منه السلطات السياسية الجائرة في قمع مخالفيها، وإصدار الفتاوى المنحرفة لإدانتهم وإعدامهم، وهكذا نحر الدين بين خرقة الصوفي التي خرقت إهاب الدين، وبين فتوى العالم المنحرف، وعلمه الذي لا ينفعه فكيف ينفع غيره؟

جاءت نفيسة بأنفس هدية إلى أهل مصر لتصالح بين الاتجاهين، فتكمل علم العلماء بعبادة الزهاد حتى لا يذبح الثائرون بسيف فتاواهم،

وتصحح عبادة الزهاد والسالكين بضياء والوعي والمعرفة، فإن العبد يثاب في عبادته على قدر معرفته.. ولتعطي لأولئك العباد دورا في الحركة الاجتماعية إذ أن الدين الإسلامي ليس طقوسا عبادية فقط، وإنما هو إضافة إلى ذلك نهضة حضارية، وحركة تنموية للعقل والمجتمع.

جاءت للفقراء والزمنى بمال كثير وبدأت تنفق عليهم، بينما كانت أموال الخلافة تسفك على أقدام الغواني والأغاني والشعراء الذين يتبعهم الخلفاء الغاوون، والذين لا ينتجون شيئا للمجتمع، بل يقولون ما لا يفعلون.

جاءت ومعها مخزون علمي كبير ورثته من أجدادها، فوجد العلماء في ذلك ضالتهم، وبدؤوا يتسابقون إلى الوفود عليها والانتهال من علمها، فكان ممن وفد عليها إمام المذهب الشافعي محمد بن إدريس الذي قدم إلى مصر قبل وفاتها بتسع سنوات، وكان يكثر التردد عليها، ويحتمل أن يكون الموقف المأثور عن الإمام الشافعي بالنسبة إلى أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم وبالنسبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وما نقل عنه من الشعر في هذا الباب مثل قوله:

يا آل بيت رسول الله حبكم   فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الشأن أنكم   من لم يصل عليكم لا صلاة له

أو الشعر المنسوب إليه:

إن كان رفضاً حب آل محمد   فليشهد الثقلان أني رافضي

نحتمل أن تأثر أفكار الشافعي بهذا المنحى كان له أسباب مختلفة، من بينها تلقيه من السيد العلوية نفيسة طيلة فترة إقامته في مصر..

وهذا بدوره جعل أهل مصر والذين انتشر فيهم المذهب الشافعي، من المحبين لأهل البيت عليهم السلام، ويظهر ذلك جليًّا في إعمارهم قبور أهل البيت وتوسلهم بهم، ومظاهر المحبة الأخرى ما لا نجده إلا عند شيعة أهل البيت

من الإمامية.

وكما كانت تعطر الأجواء بنور العلم والمعرفة الموروثة من أسلافها، فقد كانت تعبد الله بنحو يشير إليه ما كشف عنه من ممارساتها العبادية مع أن أمر العبادة في أكثره لا يُكشف ولا يعرف، ولا يتحدث عنه أصحابه المخلصين في عبادة ربهم، لكن ما رشح من ذلك يشير إلى انقطاعها إلى خالقها، فقد نقل المؤرخون أنها حفرت قبرها بيدها وكانت تنزل وتصلي فيه وتقرأ القرآن، وختمته فيه مئات المرات..

ولعلك تعلم عزيزي القارئ، عزيزتي القارئة ما لهذا العمل من أثر تربوي عظيم في نفس الإنسان، فإن مشكلة المشاكل لدى الإنسان هي الغفلة، وانقطاعه إلى الدنيا وتردده في أمورها وشهوات نفسه فيها، فيكون كالحيوان يعلف ويسمن ويقاتل على الطعام والشراب، بينما جزار الموت بانتظاره فلا ينتبه إلا وقد انتقل و«الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا».. وما نفع الانتباه حينئذ؟ وما فائدة الالتفات؟

في شهر رمضان المبارك في سنة ثمان ومائتين، احتضرت وهي صائمة.. فألزموها بأن تفطر وأكثروا عليها في ذلك.. فقالت: واعجبا إني منذ ثلاثين سنة أسأل الله أن ألقاه وأنا صائمة.. أفطر الآن؟ هذا لا يكون. ثم بدأت تقرأ سورة الأنعام[1]، فما وصلت إلى قوله تعالى: ﴿**لَـهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ**﴾ أغمضت عينيها ورحلت إلى دار السلام.

كان إسحاق بن الإمام الصادق عليه السلام يريد أن ينقلها إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تدفن إلى جانب أمهاتها وآبائها، حيث يمكن حينئذ قراءة القرآن عند

(١) في حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله: أنزلت عليَّ الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأها صلى عليه أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من الأنعام يوما وليلة.

قبرها، ولكن أهل مصر طلبوا منه أن يبقيها عندهم، وبذلوا له في مقابل ذلك أموالا كثيرة.. فلم يرض بذلك، لكنه تراجع في اليوم الثاني عما أراد، وذلك لأنه كما نقل عنه رأى رسول الله ﷺ في المنام، وهو يقول له: يا إسحاق لا تعارض أهل مصر في نفيسة فإن الرحمة تنزل عليهم ببركتها[1].

وكان أن بقي قبر السيدة نفيسة محطة لذوي الحاجات، ومكانا يتقرب فيه المؤمنون إلى الله، ومزار محبة تهفو إليه قلوب محبي أهل البيت، وأوليائهم، ونقطة دفع للبلاء عن أهل تلك المنطقة..

أما قلنا في البداية: إن أهل البيت بركة شاملة؟؟

---

(١) سفينة البحار، ج ٨ مادة نفس



٢- أم أحمد بن موسى
زوجة الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

كانت موجودة حتى سنة ١٨٣ هـ.

❁ ❁ ❁ ❁

هناك صورة للمرأة شكلتها الذهنية العامة، ترى جانبا من جوانب حياتها، فتجعله هو المسيطر وتأخذ بعين الاعتبار ما ورد في قسم من النصوص ـ وبعضها غير تام ـ ويقضي بأنها لكون العاطفة عندها هي الغالبة، فهي بذلك تجانب الحكمة والاعتدال في أحكامها. ولأنها أنثى فهي مصدر للشهوة وأحيانا كثيرة للفتنة، وربما أوصلها بعضهم إلى أنها سبب الفساد!! ولأنها كذلك فهي محل للعجز وعدم الفاعلية!!

بينما تغفل تلك الصورة القسم الآخر من الأحاديث التي تعلي من شأنها، وتحملها على أثر ذلك مسؤولية، فإن المعادلة في الإسلام هي بين التشريف والتكليف كلما زاد الأول ازداد الثاني.

وربما راجت تلك الصورة بحيث أصبحت هي المعرّف الأساس الذي لا تعرف المرأة ـ أيّاً كانت ـ بغيره. ولذلك يتعجب، وربما يشكك البعض في نبوغ النابغات، وينظرون إلى ذلك نظرة غير المصدق. فإنهم يفهمون ـ بنحو خاطئ ـ الآية المباركة ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى**

بَعْضٍ﴾ على أن كل رجل بالضرورة هو أفضل من كل امرأة**!!**

وربما كان حديث القرآن الكريم عن بعض النساء اللاتي تفوقن على أزواجهن، بل على من عاصرهن من الرجال، كآسية ومريم، يهدف من جملة ما يهدف إلى بيان أن السباق في الميدان الإلهي لا يعترف بالذكورة والأنوثة وأن **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾**[1].

وأنه لا ينبغي أن يشكل المجتمع الصورة الحقيقية للمرأة من خلال النماذج المتواضعة الموجودة لديه، فضلا عن الفاسدة منها، وإنما ينطلق إلى رحاب أوسع حيث يصوغ الإيمان والرسالة من خامات أخر سبائك وعسجدا.

ومن تلكم النماذج، أم أحمد زوجة الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام. فقد تميزت بين عدد من نسائه. بالرغم من أنها ضمن المقاييس العادية الموجودة عند الناس لا ينبغي لها التميز فهي (أم ولد)[2] وجارية ليست بعربية.

والمقدار المنقول من سيرتها يشير إلى أنها كانت مفضلة عند الإمام الكاظم عليه السلام، وأثيرة لديه حتى أنه أودع عندها مواريث الإمامة وكتب العلم[3]، عندما

---

(١) النحل: ٩٧.

(٢) يلاحظ أن جميع نساء الإمام الكاظم عليه السلام كن أمهات أولاد. كما نقل ذلك كُتّاب سيرته.

(٣) تواترت الأخبار بأن أئمة أهل البيت ورثوا كتاب الإمام علي (الجامعة) في الأحكام، والجفر، ومصحف فاطمة، وفيها أنباء الحوادث الكائنة، ويظهر من بعض الأحاديث السابقة والآتية أن هذه الكتب كانت في وعاء من جلد ثور يسمونه بالجفر الأبيض، وما ورثوه من سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله كان في وعاء من جلد ثور يسمونه بالجفر الأحمر: وعاءان فيهما مواريث الإمامة في الكافي وبصائر الدرجات: عن الحسين بن أبي العلاء، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عندي الجفر الأبيض، قال: قلت فأي شيء فيه؟ قال: زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم عليه السلام والحلال والحرام، ومصحف فاطمة ما أزعم أن فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد حتى فيه الجَلدة، ونصف الجَلدة وربع الجلدة وأرش الخدش، وعندي الجفر =

أُخذ للسجن حتى تحفظها، فإذا طلبها منها أحدُ أبنائه فإن ذلك علامة على إمامة من يطلبها بأعيانها، وعلامة أيضا على أنه قد استشهد في ذلك اليوم.

فقد نقل ثقة الإسلام الكليني في كتابه الكافي عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن مسافر[1] قال: أمر أبو إبراهيم (الكاظم عليه السلام) حين أخرج به، أبا الحسن (الرضا عليه السلام) أن ينام على بابه في كل ليلة أبدا ما كان حياً إلى أن يأتيه خبره.

قال: فكنا في كل ليلة نفرش لأبي الحسن في الدهليز، ثم يأتي بعد العشاء فينام، فإذا أصبح انصرف إلى منزله، قال: فمكث على هذه الحال أربع سنين، فلما كان ليلة من الليالي أبطأ عنا وفرش له فلم يأت كما كان يأتي، فاستوحش العيال وذعروا ودخلنا أمر عظيم من إبطائه.

فلما كان من الغد أتى الدار ودخل إلى العيال وقصد إلى أم أحمد فقال لها: هات التي أودعك أبي!!

فصرخت ولطمت وجهها وشقت جيبها وقالت: مات والله سيدي! فكفها وقال لها: لا تكلمي بشي ولا تظهريه، حتى يجيء الخبر إلى الوالي، فأخرجت إليه سفطا[2] وألفي دينار أو أربعة آلاف دينار. فدفعت ذلك أجمع إليه دون غيره وقالت: إنه قال لي فيما بيني وبينه - وكانت أثيرة عنده -:

احتفظي بهذه الوديعة عندك، لا تطلعي عليها أحدا حتى أموت، فإذا

= الأحمر، قال: قلت: وأي شيء في الجفر الأحمر؟ قال: السلاح... الحديث. ويقصد الإمام من «وفيه ما يحتاج الناس إلينا... » أن في الجفر كتاب علي، وفي كتاب علي ما يحتاج الناس إليه». . عن معالم المدرستين للسيد مرتضى العسكري.

(١) الرواية حسنة فإن علي بن إبراهيم هو صاحب التفسير وهو ثقة بلا ريب، ومحمد بن عيسى بن عبيد ثقة كذلك ومسافر خادم الإمام الكاظم عليه السلام، وهو ممدوح كما نقل عن الكشي.

(٢) السفط محركة واحد الأسفاط وهو ما يحرز فيه شيء من متاع وغيره، والمراد به هنا صندوق كان فيه سلاح النبي صلى الله عليه وآله ووصيته وغيرهما من علامة الإمامة.

مضيت فمن أتاك من ولدي فطلبها منك فادفعيها إليه، واعلمي أني قد مت، وقد جاءني والله علامة سيدي، فقبض ذلك منها وأمرهم بالإمساك جميعا إلى أن ورد الخبر، وانصرف فلم يعد لشيء من المبيت كما كان يفعل، فما لبثنا إلا أياما يسيرة حتى جاءت الخريطة بنعيه فعددنا الأيام وتفقدنا الوقت فإذا هو قد مات في الوقت الذي فعل أبو الحسن (الرضا عليه السلام) ما فعل، من تخلفه عن المبيت وقبضه لما قبض[1].

ومن خلال هذه الرواية يمكن اكتشاف المنزلة التي كانت عليها هذه الزوجة الفاضلة للإمام الكاظم عليه السلام، ذلك أن ائتمانها على مثل تلك الأمور مع أن النظرة السائدة في المجتمع العربي آنئذ ـ ولا تزال ـ أن المرأة إنما خلقت للمتعة، أما المسؤوليات وشؤون القيادة، وما يهم الصالح الإسلامي العام فلا شأن لها به وإنما هو من مختصات الرجل، بل ما هو مشهور من اشتراط الذكورة في كثير من الأمور.

وكذلك الحال لجهة الوضع العام، فإن الظرف الذي كان يحيط بالإمام موسى بن جعفر عليه السلام هو ظرف أشبه بأحكام الطوارئ في أيامنا حيث السلطة العباسية كانت تعيش في ظروف التصعيد السياسي والأمني أيام المنصور والمهدي العباسي وولديه موسى الهادي وهارون الرشيد، حيث جُرّد فيها سيف القتل على العلويين[2] سواء كانوا ثوارا أو قاعدين، وشبابا

(١) الكافي ١/ ٣٨٢.

(٢) ولعل القصة التي ينقلها العلامة المجلسي في البحار ج ٤٨ عن الشيخ الصدوق في كتابه عيون أخبار الرضا عليه السلام أبلغ تعبير عن تلك الحالة:

بسند عن عبيد الله البزاز النيسابوري – وكان مسنا – قال: كان بيني وبين حميد بن قحطبة الطائي الطوسي معاملة، فرحلت إليه في بعض الأيام، فبلغه خبر قدومي فاستحضرني للوقت وعلي ثياب السفر لم أغيرها، وذلك في شهر رمضان وقت صلاة الظهر.

فلما دخلت إليه رأيته في بيت يجري فيه الماء فسلمت عليه وجلست فأتي بطست وإبريق فغسل يديه، ثم أمرني فغسلت يدي وأحضرت المائدة وذهب عني أني صائم =

= وأني في شهر رمضان، ثم ذكرت فأمسكت يدي، فقال لي حميد: مالك لا تأكل؟ فقلت: أيها الأمير هذا شهر رمضان ، ولست بمريض ولا بي علة توجب الإفطار، ولعل الأمير له عذر في ذلك أو علة توجب الإفطار!

فقال: ما بي علة توجب الإفطار وإني لصحيح البدن، ثم دمعت عيناه وبكى. فقلت له بعد ما فرغ من طعامه: ما يبكيك أيها الأمير؟ فقال: أنفذ إلي هارون الرشيد وقت كونه بطوس في بعض الليل أن أجب، فلما دخلت عليه رأيت بين يديه شمعة تتقد وسيفا أخضر مسلولا وبين يديه خادم واقف فلما قمت بين يديه رفع رأسه إلي فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال، فأطرق ثم أذن لي في الانصراف. فلم ألبث في منزلي حتى عاد الرسول إلي وقال: أجب أمير المؤمنين، فقلت في نفسي: إنا لله أخاف أن يكون قد عزم على قتلي وإنه لما رآني استحيا مني فعدت إلى بين يديه فرفع رأسه إلي فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد، فتبسم ضاحكا، ثم أذن لي في الانصراف. فلما دخلت منزلي لم ألبث أن عاد الرسول إلي فقال: أجب أمير المؤمنين فحضرت بين يديه وهو على حاله، فرفع رأسه إلي فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين فقلت : بالنفس والمال والأهل والولد والدين فضحك، ثم قال لي: خذ هذا السيف وامتثل ما يأمرك به هذا الخادم. قال: فتناول الخادم السيف وناولنيه وجاء بي إلى بيت بابه مغلق ففتحه فإذا فيه بئر في وسطه، وثلاثة بيوت أبوابها مغلقة ففتح باب بيت منها فإذا فيه عشرون نفسا عليهم الشعور والذوائب شيوخ وكهول وشبان مقيدون، فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء، وكانوا كلهم علوية من ولد علي وفاطمة عليها السلام فجعل يخرج إلي واحدا بعد واحد فأضرب عنقه حتى أتيت على آخرهم، ثم رمى بأجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر. ثم فتح باب بيت آخر فإذا فيه أيضا عشرون نفسا من العلوية من ولد علي وفاطمة عليها السلام مقيدون فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء، فجعل يخرج إلي واحدا بعد واحد فأضرب عنقه ويرمي به في تلك البئر، حتى أتيت على آخرهم ثم فتح باب البيت الثالث فإذا فيه مثلهم عشرون نفسا من ولد علي وفاطمة مقيدون عليهم الشعور والذوائب فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك أن تقتل هؤلاء أيضا فجعل يخرج إلي واحدا بعد واحد فأضرب عنقه فيرمي به في تلك البئر، حتى أتيت على تسعة عشر نفسا منهم، وبقي شيخ منهم عليه شعر فقال لي: تبا لك يا مشوم أي عذر لك يوم القيامة إذا قدمت على جدنا رسول الله ﷺ، وقد قتلت من أولاده ستين نفسا، قد ولدهم علي وفاطمة عليهما السلام، فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي فنظر إلي الخادم مغضبا وزبرني، فأتيت على ذلك الشيخ أيضا فقتلته ورمى به في تلك البئر، فإذا كان

أو شيوخا..

وأيضا فقد نُقل أنها بايعت الإمام الرضا عليه السلام بالإمامة، وكان مطالبته إياها بما ترك والده من كتب العلم، علامة على إمامته، هذا بالرغم من أن ابنها أحمد كان عظيم المنزلة عند شيعة أبيه حتى لقد كان يظنه البعض الإمام من بعد أبيه، وكان على قدر عال من العلم، والتقوى. وبينما نجد في حياة نساء الخلفاء والحكام كيف كانت النساء تتآمر على أبناء ضراتها، لإبعادهم عن الخلافة. والناظر في تاريخ الدولتين الأموية والعباسية، يرى مصداق ما ذكر.

هنا نجد حزام التقوى، وعقال الإيمان كيف يحدد حركة هذه السيدة الفاضلة، فلم تطلع أحدا على أمانة الكاظم لديها، بمن فيهم ابنها الذي «كان كريما جليلا ورعا وكان أبو الحسن موسى يحبه ويقدمه ووهب له ضيعته المعروفة باليسيرة، ويقال: إنه رضي الله عنه أعتق ألف مملوك»[1]. بل اعترفت بإمامته.

ونحن نجد الحركة الحكيمة التي قام بها العالم الجليل أحمد بن الإمام الكاظم عليه السلام في الاعتراف بإمامة أخيه، وقطع الطريق على من يريد إضعاف موقعه، ليست بعيدة عن تربية والدته وتوجيهها في الاعتراف بإمامة الرضا عليه السلام.

= فعلي هذا وقد قتلت ستين نفسا من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله فما ينفعني صومي وصلاتي وأنا لا أشك أني مخلد في النار. . انتهى.

ونذكّر هنا ـ كما فعل آخرون ـ إلى أن هناك اشتباها في النقل كما يبدو، وأن القصة لو حدثت فلا بد أن تكون قبل زمن هارون الرشيد أي إما أن تكون في زمان المهدي أو أبيه المنصور، فإن حميد بن قحطبة كان من أعوان العباسيين من أيام أبي العباس السفاح ثم المنصور وبعده المهدي، لكنه لم يدرك حكومة الهادي ولا الرشيد، فإن حميدا هذا قد هلك في سنة (١٥٩) هـ وهو وال على خراسان كما صرح بذلك الطبري، بينما هلك المنصور سنة ١٥٨ هـ وتولى بعده ابنه المهدي.

(١) بحار الأنوار ٤٨ / ٣٠٧ عن إرشاد الشيخ المفيد.

فإنه لما وصل الخبر بشهادة الإمام الكاظم عليه السلام، اجتمع الناس على باب بيت أم أحمد، ونحن لا نعلم سر قدومهم إلى بابها، بالرغم من تعدد زوجات الإمام الكاظم عليه السلام، وكثرة عدد أولاده، خصوصا وأن أم أحمد لم تكن والدة للإمام الرضا عليه السلام.. لكنه مما يلقي بضوء على أن هذا البيت كان له من المكانة شيء ليس بالقليل.

ولما اجتمع الناس «سار أحمد معهم إلى المسجد ولما كان عليه من الجلالة، ووفور العبادة ونشر الشرايع، وظهور الكرامات ظنوا به أنه الخليفة والإمام بعد أبيه فبايعوه بالإمامة، فأخذ منهم البيعة ثم صعد المنبر وأنشأ خطبة في نهاية البلاغة، وكمال الفصاحة، ثم قال: أيها الناس كما أنكم جميعا في بيعتي فإني في بيعة أخي علي بن موسى الرضا واعلموا أنه الإمام والخليفة من بعد أبي، وهو ولي الله والفرض علي وعليكم من الله ورسوله طاعته، بكل ما يأمرنا.

فكل من كان حاضرا خضع لكلامه، وخرجوا من المسجد، يقدمهم أحمد بن موسى عليه السلام وحضروا باب دار الرضا عليه السلام فجددوا معه البيعة، فدعا له الرضا عليه السلام وكان في خدمة أخيه مدة من الزمان إلى أن أرسل المأمون إلى الرضا عليه السلام وأشخصه إلى خراسان»[1].

إن هذا العمل الرائع كان في غاية الأهمية، وذلك أن عددا من وكلاء الإمام الكاظم عليه السلام كانوا قد استعدوا للانقلاب، طمعا في الأموال التي كانت بأيديهم[2]، فأنكروا أن يكون موسى بن جعفر عليه السلام قد توفي، وأنه هو القائم بالأمر، وأنه لا يموت حتى يظهر العدل، ويزيل الجور، وربما تابع

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٧٦٧: عن يونس بن عبد الرحمن، قال، مات أبو الحسن عليه السلام وليس عنده من قوامه أحد إلا وعنده المال الكثير، وكان ذلك سبب وقفهم وجحدهم موته، وكان عند زياد القندي سبعون ألف دينار.

هؤلاء الوكلاء عدد من عامة الناس ممن كانوا يثقون في هؤلاء الوكلاء، أو كانوا لا يعرفون تفسير تلك التعابير التي ربما وردت في حق الإمام عليه السلام، وكونه القائم بالأمر.

كما أن أم أحمد عندما قامت بتسليم أمانات الإمام الكاظم لابنه الرضا أثبتت أنها في موضع الاعتماد الحقيقي، وأن فراسة الإمام فيها كانت صادقة.

بل وجدناها تتفوق على بعض أولاد الإمام عليه السلام، عندما أحضرت إلى مجلس القاضي، ودافعت فيه عن حق الإمام الرضا عليه السلام في مقابل بعض إخوته. وذلك أن الإمام الكاظم عليه السلام كان قد جعلها شاهدة على وصيته[1] التي عهد فيها بعهوده إلى الإمام الرضا عليه السلام، وقد أدت الشهادة، بالرغم من كراهة عدد من أولاد زوجها لذلك.

---

(١) في البحار (٤٩ / ٢٢٦).. وأوصيت بها إلى علي ابني وبني بعده إن شاء وآنس منهم رشدا وأحب إقرارهم فذلك له، وإن كرههم وأحب أن يخرجهم فذلك له، ولا أمر لهم معه، وأوصيت إليه بصدقاتي وأموالي وصبياني الذين خلفت وأم أحمد وإلى علي أمر نسائي دونهم، وثلث صدقة أبي وأهل بيتي يضعه حيث يرى، ويجعل منه ما يجعل ذو المال في ماله إن أحب أن يجيز ما ذكرت في عيالي فذاك إليه، وإن كره فذاك إليه، وإن أحب أن يبيع أو يهب أو ينحل أو يتصدق على غير ما وصيته فذاك إليه وهو أنا في وصيتي في مالي وفي أهلي وولدي. وإن رأى أن يقر إخوته الذين سميتهم في صدر كتابي هذا أقرهم وإن كره فله أن يخرجهم غير مردود عليه، وإن أراد رجل منهم أن يزوج أخته فليس له أن يزوجها إلا بإذنه وأمره، وأي سلطان كشفه عن شيء أو حال بينه وبين شيء مما ذكرت في كتابي فقد برئ من الله تعالى ومن رسوله، والله ورسوله منه بريئان وعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين، والملائكة المقربين، والنبيين والمرسلين أجمعين وجماعة المؤمنين. .

٣- سعيدة بنت أبي عمير الأزدي

تصاعد العنف العباسي تجاه أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، متخذا في ذلك صورا متعددة منها القتل ومنها الاعتقال التعسفي الظالم الذي طال الأئمة كما طال الشيعة.

نعم لقد كانت الفترة التي حكم فيها هارون العباسي فترة قاسية، حتى بالنسبة لفترات بني أمية السابقة والذين صرحوا بكامن العداء!

وبدأت ماكنة العنف تطوي رجالات الشيعة، والمخلصين للأمة. ولم تتورع أجهزة السلطة في تلك العملية عن عالم لعلمه، ولا عن فقيه لفقهه، ولم تعرف خطوطا حمراء. فالفقيه إما أن يكون قاضيا للحكومة فيدعم سلطانها بما يفتي به حسب رغبتها، ويمسح بعلمه غبار عدم مشروعيتها، وإما أن يحسب ضدها، على خلفية (من لم يكن معنا فهو ضدنا).

واعتقل العالم الجليل، والفقيه الكبير محمد بن أبي عمير الأزدي وهو الذي وصف بأنه «كان من أوثق الناس عند الخاصة والعامة وأنسكهم نسكاً وأورعهم وأعبدهم، وأدرك من الأئمة ثلاثة: أبا إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام ولم يرو عنه، وروى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، والجواد عليه السلام، وروى عنه: أحمد بن محمد بن عيسى كتب مائة رجل من رجال أبي عبد الله عليه السلام. وله مصنفات كثيرة»[1].

(١) نقد الرجال للتفرشي ٤/ ١٠٦.

وقد عذب في السجن وضرب بالسياط، حتى بلغ الألم به مقدارا كاد أن يضعف، فيخبر عن شيعة أهل البيت عليهم السلام ويعطي لسجانيه ما أرادوا، لكن يونس بن عبد الرحمن[1] وهو فقيه آخر من فقهاء أهل البيت، ويظهر أنه كان قريبا منه في سجنه، قال له ـ مقويا عزمه ـ: اتق الله يا محمد بن أبي عمير.. يقول محمد فصبرت ففرج الله.

هذا المقدار الهائل من الروايات، والذي يصفه بعض المؤلفين بأنه قد روي عنه كتب مائة رجل من أصحاب أبي عبد الله الصادق عليه السلام، ولكل واحد منهم عدد غير قليل من الكتب، إضافة إلى كتبه هو ومصنفاته، وهي تزيد على التسعين، كادت أن تقع طعمة في يد سياسيين حاقدين على فكر أهل البيت، أو في يد جلاوزة وعساكر لا يفهمون قيمة العلم، ولا يعرفون أهمية الفكر فيربحون بإتلافه ثمنا قليلا، وحطاما تافها.

وكم أتلف هؤلاء من كتب العلم[2]، والمعرفة، ولعل السياسيين يرون فيها منافسا خطيرا لوسائلهم فكما أن من أسباب قوتهم المال والسلاح، فإنهم ينظرون إلى أن كتب العلم هي نقطة القوة عند العلماء والفقهاء وأصحاب الرسالات.

كان من المقرر عند أعوان السلطة أن يتم (إعدام) كتب العلم

---

(١) عن حياة ابن أبي عمير ويونس يمكن مراجعة كتاب (رجال حول أهل البيت ج ٢) للمؤلف.

(٢) ذكروا في إحراق عمرو بن العاص لكتب مكتبة الإسكندرية أن كتبها ـ وكانت من أعظم مكتبات الدنيا حينئذ ـ قد فرقت على الحمامات، لتوضع في مواقدها فاستنفذت خلال ستة أشهر!! وقد يقول قائل: إن تلك الكتب كتب ضلال وليس فيها منفعة، فلا بد أن تتلف.. وأنت ترى أن هذا الكلام كلام بائس، فإن تلك الكتب فيها ما يرتبط بأمور العقيدة وقد يكون غير صحيح، وفيها ما هو من نتاج الفكر البشري وهو نعمة الله، وإبداع العقل الإنساني في أمور المعرفة الحياتية والدنيوية، وعلى هذه الأمور تقوم الحضارة وتتقدم الأمم، وتصور لو أن إنسانا جاء في هذا اليوم وعمد إلى مكتبة الكونغرس وهي من أكبر مكتبات الدنيا كما قيل، وأتلف جميع كتبها بزعم أنها كتب ضلال.. أين تذهب المعارف البشرية والعلمية؟؟ ثم لو فرضنا عنوان (كتب الضلال) في القضايا العقائدية، فهل يمكن دعوى ذلك في كتب الكيمياء والفيزياء، وعلوم الكمبيوتر.. ؟

والروايات، وفقه أهل البيت بعد (اعتقال) مصنفها وراويها ابن أبي عمير.

وهنا تحركت أخته (سعيدة) ـ وربما كانت (منة) معها ـ إدراكا منها لقيمة العلم والفكر من جهة، ولبصيرتها في أن القوم الحاكمين، يعادون المعرفة عداء مستحكما، فقامت بجمع كتب أخيها ومصنفاته، وكذا الكتب التي أخذها عن أساتذته (المائة) من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام فأخفت كل ذلك، ودفنتها تحت الأرض لكيلا يعثروا عليها، وبقيت تلك الكتب هكذا، مدة أربع سنوات هي فترة بقاء محمد بن أبي عمير في السجن حتى إذا خرج كان قد تلف جزء منها وبقي جزء آخر، واستطاع من خلال ذلك أن يصنف عددا من الكتب[1] كما ذكر الرجاليون.

بالإضافة إلى ذلك فقد كانت من (أصحاب الإمام الصادق عليه السلام)[2] كما عن شيخ الطائفة الطوسي رحمه الله، وقد نقل عنها في مجال الفقه رواية في باب النكاح، ترتبط بأمر المصافحة..

ولكي يتضح الأمر فيه، نحتاج إلى مقدمة وهي: أن الإسلام يخطط في تشريعاته، لكي تخلو العلاقة الرابطة بين الرجل والمرأة ـ في غير الزوجين ومن بحكمهما ـ من الإيحاءات الجنسية، بحيث تتحول العلاقة إلى علاقة إنسان بإنسان، ولا يكون الجسد هو المعبر عنها، وإنما الروح.

---

(١).. منها: ١- كتاب المغازي. ٢- كتاب الكفر والإيمان. ٣- كتاب البداء. ٤- كتاب الاحتجاج في الإمامة. ٥- كتاب فضائل الحج. ٦- كتاب الاستطاعة. ٧- كتاب الملاحم. ٨- كتاب الصلاة. ٩- كتاب الصيام. ١٠- كتاب اختلاف الحديث. ١١- كتاب المعارف. ١٢- كتاب التوحيد. ١٣- كتاب الطلاق. ١٤- كتاب النكاح. ١٥- كتاب الرضاع. ١٦- كتاب المتعة. ١٧- كتاب يوم وليلة . راجع كتاب رجال حول أهل البيت ج ٢.

(٢) يفترض أيضا أن تذكر في جملة أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام فإنها وإن روت عن الإمام الصادق عليه السلام إلا أن أخاها وهي معاصرة له، من أصحاب الكاظم والرضا عليهما السلام. نعم لا توجد لها رواية عن الإمامين الكاظم والرضا، وقد ذكرنا في المقدمات أن الصحبة التي نبحث عنها لا يشترط فيها الرواية.

وهذا بخلاف ما يلاحظ اليوم في العلاقة التي تصوغها المناهج المادية، فإنها تركز على أن المرأة جسد جميل ومحل اشتهاء، ودون ذلك لا ينبغي أن يلاحظ، ولهذا كان التركيز على أدوات التجميل وأساليب الموضة، وقضايا اللباس شبه العاري..

ومما يؤسف له أن هذه الحالات لا تتوقف عند (الرجل والمرأة الأجنبيين) وإنما تمتد في بعض الحالات لتصل حتى إلى المحارم (كالأخ وأخته، والخال وابنة أخته، والعمة وابن أخيها) وهكذا وحيث أن الشهوة الجنسية لا تعرف الحدود ما لم تضبط بالضابط الديني والأخلاقي، فقد يحدث ـ وليس بقليل ـ كما نقرأ في المجلات، وغيرها، حوادث مؤذية من الاعتداءات الجنسية بين المحارم[1]. ولعل سببا أساسيا من الأسباب أن العلاقة بينهم قد اختلت لكي تتحول إلى علاقة جسد بجسد، طرف فيه فتنة وإثارة يظهرها، وطرف آخر فيه جوع واشتهاء، والكابح الأخلاقي والديني ضعيف فيحدث المحذور.

ولهذا يصر الإسلام من خلال تشريعاته أن يكون واقعيا في التعامل مع المشكلة الجنسية فيشرع لها ما يحلها بشكل صحيح (من خلال الزواج الدائم والمتعدد والمؤقت[2]). وفي جانب المحارم يشرع لها ما يحفظ حالة القداسة

---

(١) نقلت بعض الصحف اللبنانية قبل فترة حوادث جريمة من هذا النوع في إحدى المناطق المسيحية حيث ظل الخال يواقع ابنة أخته مدة تزيد على السنة من الزمان إلى افتضح الأمر!!

(٢) العجيب من بعض فقهاء المسلمين الذين يصرون على إخفاء رؤوسهم في الرمال، حين يواجهون المشكلة الجنسية ويعلمون بمدى خطورتها بالذات بالنسبة لفئة الشباب ويصرون في الوقت نفسه على (تحريم) ما أحله الله ورسوله وهو الزواج المؤقت، وعندما يرتطمون بالجدار، يعودون ـ يا ليت لما شرعه الله ـ إلى حل للمشكلة، كما يزعمون فمرة باسم زواج المسيار وأخرى الزواج بنية الطلاق، وثالثة ولن تكون الأخيرة باسم (زواج فريند)!! يا جماعة ﴿..وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؟

فيها، فهو وإن كان لا يمنع تكشف المحارم أمام بعضهم، ولكن ذلك يجب أن يكون في غير إطار الشهوة الجنسية أو الإفضاء إلى الحرام، وإلا لو كان كذلك للزم التستر!! و(.. الإنسان على نفسه بصيرة) فيعرف هو قبل غيره نظرة الشهوة التي ينظرها، ويميزها بوضوح عن النظرة العادية.. فإذا كان كذلك فلا يجوز النظر حتى للأخت الشقيقة!!

وفي الطرف الآخر أيضا يشجع ويحث المرأة على أن تلبس بين محارمها ما لا يثير الغرائز، وإلا كانت مأثومة بذلك.. فمع أنه لا يجب عليها أن تتحجب عن أخيها أو أبيها أو خالها.. وغيرهم من المحارم، إلا أن ذلك لا يعني أن تلبس ما يثير الشهوات في النفوس أمامهم. ولهذا فإننا نجد في الرواية التي تنقلها سعيدة عن الإمام الصادق عليه السلام توجيها إلى أن لا تلبس المصبغات (وهي الملابس التي من شأنها الإثارة الشهوية). وهكذا لو كان بعض المحارم في العائلة ليسوا على مستوى عال من الالتزام الديني والأخلاقي، فإن المباح (كالمصافحة) يعود في بعض صوره مكروها وغير محبذ.

فقد نقل الكليني أعلى الله مقامه في كتابه الكافي في باب النكاح: علي ابن إبراهيم، عن محمّد بن سالم، عن بعض أصحابه، عن الحكم بن مسكين قال حدثتني سعيدة ومنّة اختا محمّد بن أبي عمير بياع السابري قالتا:

دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام فقلنا: تعود المرأة أخاها؟.

قال: « نعم ».

قلنا تُصافحه؟

قال: « من وراء الثوب ».

قالت إحداهما: إن أُختي هذه تعود إخوتها.

قال: « إذا عدتِ إخوتك فلا تلبسي المصبغة ».

وإذا لم تكن القضية خارجية، بمعنى أن الإمام نظر إلى الواقع الخارجي المرتبط بهما فذكر لهما كراهة المصافحة المباشرة، وكراهة لبس المصبغات والمثيرات، فيمكن حملها على ما ذكرناه آنفا.

٤- شطيطة النيسابورية

توفيت سنة ١٤٨هـ.

❋ ❋ ❋ ❋

شرع الله أحكام الدين، وبينها بطرق متعددة، فالبعض منها ذكر تشريعه في القرآن، والبعض الآخر أوكله إلى رسوله الكريم محمد ﷺ بعدما أدبه وأكمل تأديبه، وأمر الناس بالأخذ بما جاءهم به[1].

غير أن المشكلة كانت في أن بعض المسلمين (اجتهدوا) في مقابل النص النبوي فعطلوه، وغيروه! ولك في موضوع تشريع الخمس وما الذي

(١) الكليني في الكافي بسند صحيح: عن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لبعض أصحاب قيس الماصر: إن الله عز وجل أدب نبيه فأحسن أدبه فلما أكمل له الأدب قال: ﴿إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، ثم فوض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عباده، فقال عز وجل: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ وإن رسول الله ﷺ كان مسددا موفقا مؤيدا بروح القدس، لا يزل ولا يخطئ في شيء مما يسوس به الخلق فتأدب بآداب الله.. إلى آخر الحديث.

ولا يخفى أن التفويض هنا ليس كما يذهب إليه البعض من أنه فوض إليه أمر الخلق والرزق، فهو يفعل ذلك استقلالا، فإنه مخالف لما في القرآن، وإنما يعني تفويض أمر الخلق إليه كما في الرواية المذكورة ليسوس عباده، وليأتمروا بطاعته، وكذلك أيضا انه قد فوض إليه ﷺ الأحكام بأن يثبت ما يراه حسنا فيجيز الله ذلك.. وللحديث في هذا مجال آخر.

صار إليه، مثال.

فقد أمر الباري سبحانه في قرآنه بشكل صريح به وقال: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[١].

وقد أخذ رسول الله الخمس في أيامه من المسلمين، سواء كان غنيمة حربية أو غيرها[٢].

غير أن الذي حدث أن الحكومات التي جاءت فيما بعد، عطلت هذه

---

(١) الأنفال: ٤١

(٢) للتفصيل يراجع البحث القيم للعلامة العسكري في معالم المدرستين حول الخمس في تطور معناه اللغوي، والبحث القرآني، وأنه لم يستعمل في خصوص الغنيمة الحربية، وإلا لما كان معنى لأن يقول (من شيء) الذي هو ظاهر في العموم، كما أن لفظ الغنيمة لا يختص بالحرب كما هو واضح للمتأمل في آيات القرآن: ﴿فَعِندَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ و﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّبًا﴾.. وأنه كما يعني: ما يظفر به المرء مَن جهة العدى، كذلك يعني ـ بل هو الأصل ـ ما يظفر به المرء من غير مشقة.. وأخيرا الخمس في السنة النبوية، وفيه قد ذكر عددا من الأحاديث التي تبين عمومية الخمس لما هو في الركاز قال: «وفي الركاز الخمس، فقالوا وما الركاز؟ قال: الذهب والفضة الذي خلقه الله في الأرض يوم خلقت» ونقل ما حدث لأحد المسلمين في خيبر عندما دخل إلى خربة ليقضي الحاجة، فانكشفت الأرض هناك عن لبنة ذهب، فأخذها وجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: هذا ركاز وفيه الخمس.. كما نقل عددا من عهود النبي ووصاياه لمن كان يأتيه من وفود القبائل في أن يعطوا الخمس. كما هو الحال في وفد عبد القيس الذين كانوا يحتاجون إلى من يعينهم ولم يكونوا في صدد الحرب ولا الغنائم!! وكتابه لعمرو بن حزم عندما بعثه لأهل اليمن، أن يأخذ الخمس من المغنم.

ثم ذكر بعض الروايات في مصارف الخمس من طريق أهل السنة: «كان آل محمد لا تحل لهم الصدقة فجعل الله لهم الخمس»، و«أن الله علم في بني هاشم الفقراء فجعل لهم الخمس مكان الصدقة».. هذا فضلا عن أحاديث أهل البيت عليهم السلام وهي كثيرة جدا وصريحة في الموضوع.

الفريضة، واصبح الخمس جزءا من بيت المال، الذي كان يتداول بين الحاكمين، ويصرف على شهواتهم، ومغنيهم.

بل ـ وهذا هو الغريب حقا ـ تراجع البحث الفقهي حول موضوع الخمس تدريجيا، من كونه واجبا شرعيا، يلزم به الإنسان المسلم في كل ما يكسب ويستفيد من غنيمة، وربح، إلى أن صار خاصا بالغنائم الحربية، التي لم يلتزم أيضا أصحابها وقادة حروبها بشيء منه، وصار البحث عنه في ذيل كتاب الجهاد أو الزكاة، وتدريجيا اختفى هذا البحث نهائيا من كثير من كتب الفقه.

بينما بقي على الالتزام بهذا الواجب الشرعي فقهاء أهل البيت عليهم السلام بحثا واستدلالا، وعقد له باب مستقل لما ورد فيه من الآثار والأخبار[1]، والتزم به أتباع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم من الناحية العملية، بل رتب على الالتزام به كثير من الأحكام. حتى فيما يرتبط بالعبادات الأخرى.

وقد أكد الأئمة عليهم السلام على الالتزام به لما فيه من المنافع والفوائد الدينية والدنيوية، فمن تلك الفوائد:

١ – تطهير النفس من عبودية المال: فإن الملاحظ ليرى أن للمال تأثيرا مهما على نفس مالكه ـ في العادة ـ وقد يعظم ذلك التأثير إلى أن يصبح مالكُ المال مملوكا له، ويصبح المال سيدَ سيده!! فيخسر بذلك أهم شيء عنده، وهو كونه عبد الله وحده لا شريك له، ويفقد دينه!! ولعل في قصة قارون وسيطرة ماله عليه والتي بينها القرآن مثلا وعبرة ما يكفي لفهم مقدار ذلك التأثير.

---

(١) ذكر له باب مستقل في الكافي لثقة الإسلام الكليني (ت ٣٢٩هـ) وفي المقنع للصدوق (ت ٣٨١هـ). ومن تلك الأخبار ما نقله الكليني: موثقة سماعة: سألت أبا الحسن (الكاظم) عليه السلام عن الخمس فقال: «في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير»، وفيه أيضا صحيحة البزنطي عن الجواد عليه السلام سألته عن الخمس قبل المؤونة أو بعد المؤونة فقال: الخمس بعد المؤونة.. وغيرها.

٢- ومن تلك الفوائد مشاركة الإنسان المسلم دافع الخمس في سد الثغرات ومناطق الخلل والضعف الاجتماعي، ومساعدة الفئات المحتاجة لسترها وتيسير أمور حياتها، والإسهام في البناء الاجتماعي (كالتبليغ الديني وما يرتبط به، ونشر الثقافة والفكر الهادف، وتأسيس المؤسسات ذات المصلحة العامة، وما يشبه ذلك،) مما يصطلح عليه بمصارف حق الإمام عليه السلام وهو ما يهم القيادة تحقيقه في المجتمع[1].

٣- إعانة الذرية المحترمة المتشرفة بالانتساب لرسول الله صلى الله عليه وآله، وإصلاح أحوال الفقراء المتدينين منهم، ودعمهم لتزويجهم وإسكانهم ورفع الحاجة عنهم. فيما يصطلح عليه باسم (حق السادة) فإن الله سبحانه قد أكرم ذرية النبي صلى الله عليه وآله لانتسابها إليه، عن السؤال والاستعطاء، بل وعن أخذ الزكاة، وفرض لهم نصف الخمس ليصلحوا به أحوالهم.

ونحن مع نظرنا إلى التاريخ ومعرفتنا بتعمد الحكومات الطاغية إفقارَ أهل البيت عليهم السلام وإضعافهم[2]، نجد الحكمة واضحة في تشريع الخمس لحق

---

(١) ذكر في الرسائل العملية لفقهائنا أمثلة، على مصرف سبيل الله الذي هو من مصارف الزكاة، ومن مصارف الخمس (في الجملة)، فقد ذكر السيد اليزدي رحمه الله في العروة بعض الأمثلة على مصرف سبيل الله في باب الزكاة فقال: سبيل الله وهو جميع سبل الخير كبناء القناطر والمدارس والخانات والمساجد وتعميرها وتخليص المؤمنين من يد الظالمين ونحو ذلك من المصالح كإصلاح ذات البين، ودفع وقوع الشرور والفتن بين المسلمين، وكذا إعانة الحجاج والزائرين وإكرام العلماء والمشتغلين مع عدم تمكنهم من الحج والزيارة والاشتغال ونحوها من أموالهم، بل الأقوى جواز دفع هذا السهم في كل قربة مع عدم تمكن المدفوع إليه من فعلها بغير الزكاة، بل مع تمكنه أيضا، لكن مع عدم إقدامه إلا بهذا الوجه

(٢) نقل الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، قصة هارون الرشيد مع ابنيه المأمون والأمين وكيف أنه أمرهم بإكرام الإمام موسى بن جعفر عليه السلام والقيام بين يديه، وأدنى مجلسه لكنه لما صار وقت العطاء لم يعطه سوى مائتي دينار، يقول المأمون:... فلما أراد الرحيل من المدينة إلى مكة أمر بصره سوداء فيها مائتا دينار ثم اقبل على الفضل بن الربيع فقال له: اذهب بهذه إلى موسى بن جعفر وقال له: يقول لك أمير المؤمنين: نحن

أهل البيت، فهو من جهة يمكن أن يكون من مصاديق المودة الواجبة لهم، والصلة المتعينة لجدهم ﷺ، ومن جهة أخرى فإن ما يُنتظر من هذه الأسرة الشريفة في نصر الدين وإعلاء كلمة الله ـ كما أثبتوا ذلك في مختلف الميادين في تاريخ المسلمين ـ يجعل أمر الخمس وحقهم فيه ليس بالكثير(١).

ولقد كانت سيرة أتباع أهل البيت الملتزمين بتعاليمهم، على القيام بتطهير أموالهم من خلال دفع حقوق الله عليهم وعدم تأخيرها.

ونجد بعض الحالات التي كان فيها دفع الخمس، والحق الشرعي، ليس لجهة أنه مبلغ كثير، وإنما باعتباره موقف التزام بحكم شرعي، وواجب ديني، يُعرب عن اهتمام صاحبه بالأحكام الشرعية، وبأن يطهر أمواله لتحل البركة فيها.

بل ربما كان الإمام عليه السلام وهو يستلم الخمس، يعيد إلى صاحبه ما هو أكثر مما دفعه مما يعني أنه لم تكن الجهة المالية منظورة، وإنما جهة التطهير والإعراب عن الالتزام الديني هي الملحوظة(٢).

وأمامنا نموذج متميز من هذه النماذج: شطيطة النيسابورية.

= في ضيقة وسيأتيك برنا بعد الوقت فقمت في صدره فقلت: يا أمير المؤمنين تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وساير قريش وبني هاشم ومن لا تعرف حسبه ونسبه خمسه آلاف دينار إلى ما دونها وتعطى موسى بن جعفر وقد أعظمته وأجللته مائتي دينار أخس عطيه أعطيتها أحداً من الناس؟! فقال: اسكت لا أم لك فإني لو أعطيت هذا ما ضمنته له ما كنت أمنته أن يضرب وجهي غداً بمائه ألف سيف من شيعته ومواليه وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وأعينهم..!!

(١) مضمون رواية هي جواب على استكثار بعض مخالفيهم للخمس وأنه كيف يجعل الخمس كله لهم، فأجاب الإمام ما مضمونه: إن الذي أوجبه لنا علم أنه ليس بالكثير.

(٢) ذكر الحر العاملي في وسائل الشيعة (آل البيت) رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إني لآخذ من أحدكم الدرهم وإني لمن أكثر أهل المدينة مالا، ما أريد بذلك إلا أن تطهروا.

امرأة ترى نفسها مخاطبة بالأحكام الشرعية على حد مخاطبة الرجال[1]، ولا تستثني نفسها من المسؤولية.. وكانت إلى ذلك على قدر عال من الإخلاص والنية الصادقة.. وهذا هو المهم في كثير من الإنفاقات، فإنه مما يمنع القبول للصدقات والعطايا من قبل الكثير أنهم ﴿**لا يُنْفِقُونَ إلا وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾[2].. وكم أنفق أناس من الأموال الطائلة لينالوا الثناء الدنيوي أو يصلوا إلى مصالح عاجلة، فذهب سعيهم هباء بينما أنفق آخرون ثلاثة أرغفة لا تساوي قيمة مادية لكن أرّخها القرآن وشكر سعي علي وأهل بيته، وأنزل الله قرآنا يتلى، وقصة حاضرة في (هل أتى).

وهنا نحن أيضا أمام نموذج آخر من الإنفاق الصادق، البعيد عن الرياء، القريب من المسؤولية الدينية.. درهم لا غير، قبله الإمام بقبول حسن، وعوضها عنه أربعين درهما.. فلنقرأ ما ينقله ابن حمزة الطوسي[3] في كتابه الثاقب في المناقب:

عن أبي علي بن راشد، قال: اجتمعت العصابة بنيسابور في أيام أبي عبد الله عليه السلام فتذاكروا ما هم فيه من الانتظار للفرج، وقالوا: نحن نحمل في كل سنة إلى مولانا ما يجب علينا، وقد كثرت الكاذبة، ومن يدعي هذا الأمر، فينبغي لنا أن نختار رجلا ثقة نبعثه إلى الإمام، ليتعرف لنا الأمر.

---

(١) العجيب أن عددا غير قليل من النساء المتدينات لا يحسبن أنفسهن مخاطبات بأحكام الخمس، فالواحدة منهن ترى أن أباها مسؤول عن (خمسها) قبل الزواج، وزوجها مسؤول عنه بعد الزواج، وهذا غير صحيح، فكما أن الوالد والزوج لا يقومان بفعل الصلاة والصوم نيابة عنها، فكذلك الحال في الخمس فإنها مخاطبة به لو كان لديها مال وربح ومكسب، وزاد عن مؤونتها السنوية.. نعم لا مانع من أن توكلهما عنها في الدفع والحساب.

(٢) التوبة:٥٤.

(٣) الشيخ عماد الدين محمد بن علي بن حمزة الطوسي (توفي سنة ٥٦٠هـ) وهو من طبقة تلامذة شيخ الطائفة الطوسي وابنه أبي علي، وله كتب فقهية وغيرها من أبرزها وهو مطبوع كتاب (الوسلية في الفقه).

فاختاروا رجلا يعرف بأبي جعفر محمد بن إبراهيم النيسابوري ودفعوا إليه ما وجب عليهم في السنة من مال وثياب، وكانت الدنانير ثلاثين ألف دينار، والدراهم خمسين ألف درهم، والثياب ألفي شقة، وأثواب مقاربات ومرتفعات.

وجاءت عجوز من عجائز الشيعة الفاضلات اسمها (شطيطة) ومعها درهم صحيح، فيه درهم ودانقان، وشقه من غزلها، خام تساوي أربعة دراهم، وقالت ما يستحق علي في مالي غير هذا، فادفعه إلى مولاي!

فقال: يا امرأة استحي من أبي عبد الله عليه السلام أن أحمل إليه درهما وشقة بطانة.

فقالت: ألا تفعل! إن الله لا يستحي من الحق، هذا الذي يستحق، فاحمل يا فلان فلئن ألقى الله عز وجل وما له قِبلي حق قل أم كثر، أحب إلي من أن ألقاه وفي رقبتي لجعفر بن محمد حق.

قال: فعوجت الدرهم، وطرحته في كيس، فيه أربعمائة درهم لرجل يعرف بـ(خلف بن موسى اللؤلوئي)، وطرحت الشقة في رزمة فيها ثلاثون ثوبا «لأخوين بلخيين يعرفان بابني نوح بن إسماعيل، وجاءت الشيعة بالجزء الذي فيه المسائل، وكان سبعين ورقة، وكل مسألة تحتها بياض، وقد أخذوا كل ورقتين فحزموها بحزائم ثلاثة، وختموا على كل حزام بخاتم، وقالوا: تحمل هذا الجزء معك، وتمضي إلى الإمام، فتدفع الجزء إليه، وتبيته عنده ليلة، وعد عليه وخذه منه، فإن وجدت الخاتم بحاله لم يكسر ولم يتشعب فاكسر منها ختمه وانظر الجواب، فإن أجاب ولم يكسر الخواتيم فهو الإمام، فادفعه إليه وإلا فرد أموالنا علينا.

قال أبو جعفر: فسرت حتى وصلت إلى الكوفة، وبدأت بزيارة أمير المؤمنين صلوات الله عليه، ووجدت على باب المسجد شيخا مسنا قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وقد تشنج وجهه، متزرا ببرد، متشحا بآخر،

وحوله جماعة يسألونه عن الحلال والحرام، وهو يفتيهم على مذهب أمير المؤمنين عليه السلام، فسألت من حضر عنده، فقالوا: أبو حمزة الثمالي. فسلمت عليه، وجلست إليه، فسألني عن أمري، فعرفته الحال، ففرح بي وجذبني إليه، وقبل بين عيني وقال: لو تجدب[1] الدنيا ما وصل إلى هؤلاء حقوقهم، وإنك ستصل بحرمتهم إلى جوارهم. فسررت بكلامه، وكان ذلك أول فائدة لقيتها بالعراق، وجلست معهم أتحدث إذ فتح عينيه، ونظر إلى البرية، وقال: هل ترون ما أرى؟ فقلنا: وأي شيء رأيت.

قال: أرى شخصا على ناقة. فنظرنا إلى الموضع فرأينا رجلا على جمل، فأقبل، فأناخ البعير، وسلم علينا وجلس، فسأله الشيخ وقال: من أين أقبلت؟

قال: من يثرب. قال: ما وراءك؟ قال: مات جعفر بن محمد عليهما السلام. فانقطع ظهري نصفين، وقلت لنفسي: إلى أين أمضي؟!

فقال له أبو حمزة: إلى من أوصى؟ قال: إلى ثلاثة، أولهم أبو جعفر المنصور، وإلى ابنه عبد الله، وإلى ابنه موسى.

فضحك أبو حمزة، والتفت إلي وقال: لا تغتم فقد عرفت الإمام.

فقلت: وكيف أيها الشيخ؟! فقال: أما وصيته إلى أبي جعفر المنصور فستر على الإمام، وأما وصيته إلى ابنه الأكبر والأصغر فقد بيّن عن عوار الأكبر، ونص على الأصغر.

فقلت: وما فقه ذلك؟ فقال: قول النبي صلى الله عليه وآله: «الإمامة في أكبر ولدك يا علي، ما لم يكن ذا عاهة» فلما رأيناه قد أوصى إلى الأكبر والأصغر، علمنا أنه قد بين عن عوار كبيره، ونص على صغيره، فسر إلى موسى، فإنه صاحب الأمر.

---

(١) تخرب وفي نسخة نحرت، أو تجرت.. أقول: يحتمل أن تكون لو تجوب الدنيا أي تطوفها..

قال أبو جعفر: فودعت (قبر) أمير المؤمنين، وودعت أبا حمزة، وسرت إلى المدينة، وجعلت رحلي في بعض الخانات، وقصدت مسجد رسول الله ﷺ وزرته، وصليت، ثم خرجت وسألت أهل المدينة: إلى من أوصى جعفر بن محمد؟

فقالوا: إلى ابنه الأفطح عبد الله فقلت: هل يفتي؟

قالوا: نعم. فقصدته وجئت إلى باب داره، فوجدت عليها من الغلمان ما لم يوجد على باب دار أمير البلد، فأنكرت، ثم قلت: الإمام لا يقال له لِمَ؟ وكيف؟ فاستأذنت، فدخل الغلام، وخرج وقال: من أين أنت؟

فأنكرت وقلت: والله ما هذا بصاحبي.

ثم قلت: لعله من التقية، فقلت: قل: فلان الخراساني!

فدخل وأذن لي، فدخلت، فإذا به جالس في الدست على منصة عظيمة، وبين يديه غلمان قيام، فقلت: ذا أعظم!! الإمام يجلس في الدست؟

ثم قلت هذا من الفضول الذي لا يحتاج إليه، يفعل الإمام ما يشاء، فسلمت عليه، فأدناني وصافحني، وأجلسني بالقرب منه، وسألني فأحفى، ثم قال: في أي شيء جئت؟

قلت: في مسائل أسأل عنها، وأريد الحج.

فقال لي: اسأل عما تريد فقلت: كم في المائتين من الزكاة؟ قال: خمسة دراهم. قلت: كم في المائة؟ قال: درهمان ونصف.

فقلت: حسن يا مولاي، أعيذك بالله، ما تقول في رجل قال لامرأته: أنت طالق عدد نجوم السماء؟

قال: يكفيه من رأس الجوزاء، ثلاثة.

فقلت: الرجل لا يحسن شيئا. فقمت وقلت: أنا أعود إلى سيدنا غدا.

فقال: إن كان لك حاجة فإنا لا نقصر. فانصرفت من عنده، وجئت إلى ضريح النبي ﷺ فانكببت على قبره، وشكوت خيبة سفري، وقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، إلى من أمضي في هذه المسائل التي معي؟ إلى اليهود، أم إلى النصارى، أم إلى المجوس، أم إلى فقهاء النواصب؟ إلى أين يا رسول الله؟

فما زلت أبكي وأستغيث به، فإذا أنا بإنسان يحركني، فرفعت رأسي من فوق القبر، فرأيت عبدا أسود عليه قميص خلق، وعلى رأسه عمامة خلق فقال لي: يا أبا جعفر النيسابوري، يقول لك مولاك موسى بن جعفر عليهما السلام: لا إلى اليهود، ولا إلى النصارى، ولا إلى المجوس، ولا إلى أعدائنا من النواصب، إلي، فأنا حجة الله، قد أجبتك عما في الجزء وبجميع ما تحتاج إليه منذ أمس، فجئني به، وبدرهم شطيطة الذي فيه درهم ودانقان، الذي في كيس أربعمائة درهم اللؤلوئي، وشقتها التي في رزمة الأخوين البلخيين».

قال: فطار عقلي، وجئت إلى رحلي، ففتحت وأخذت الجزو والكيس والرزمة، فجئت إليه فوجدته في دار خراب، وبابه مهجور ما عليه أحد، وإذا بذلك الغلام قائم على الباب، فلما رآني دخل بين يدي، ودخلت معه، فإذا بسيدنا عليه السلام جالس على الحصير، وتحته شاذكونه يمانية، فلما رآني ضحك وقال: «لا تقنط، ولِمَ تفزع؟ لا إلى اليهود، ولا إلى النصارى والمجوس، أنا حجة الله ووليه، ألم يعرفك أبو حمزة على باب مسجد الكوفة جري أمري؟!.

قال: فزاد ذلك في بصيرتي، وتحققت أمره. ثم قال لي: هات الكيس فدفعته إليه، فحله وأدخل يده فيه، وأخرج منه درهم شطيطة، وقال لي: هذا درهمها؟» فقلت: نعم.

فأخذ الرزمة وحلها وأخرج منها شقة قطن مقصورة، طولها خمسة وعشرون ذراعا وقال لي: اقرأ عليها السلام كثيرا، وقل لها: قد جعلت شقتك في أكفاني، وبعثت إليك بهذه من أكفاننا، من قطن قريتنا صريا، قرية

فاطمة عليها السلام، وبذر قطن، كانت تزرعه بيدها الشريفة لأكفان ولدها، وغزل أختي حكيمة بنت أبي عبد الله عليه السلام وقصارة[1] يده لكفنه فاجعليها في كفنك.

ثم قال: «يا معتب جئني بكيس نفقة مؤوناتنا فجاء به، فطرح درهما فيه، وأخرج منه أربعين درهما، وقال: اقرأها مني السلام، وقل لها: ستعيشين تسع عشرة ليلة من دخول أبي جعفر، ووصول هذا الكفن، وهذه الدراهم، فانفقي منها ستة عشر درهما، واجعلي أربعة وعشرين صدقة عنك، وما يلزم عليك..

ورجع النيسابوري إلى بلده بعد حجته، ومعه ما أعطاه الإمام موسى بن جعفر من أجوبة على مسائل أصحابه، وأربعين درهما لشطيطة، ونبأ مغادرتها الدنيا وفوق كل ذلك.. درس تعلمه هذا الرجل من إخلاص عظيم لامرأة عجوز!

(١) القصارة: فضل الشيء.



٥- حُميدة[١] بنت صاعد (المُصفّاة)
أم الإمام الكاظم عليه السلام.

❁ ❁ ❁ ❁

«حميدة مصفّاة من الأدناس كسبيكة الذهب ما زالت الأملاك تحرسها حتى أديت إلي كرامة من الله لي والحجة من بعدي»[٢]

الإمام الصادق عليه السلام

❁ ❁ ❁ ❁

الزوجات[٣] الإماء:

ثمة ظاهرة تستوقف المراقب في حياة أهل البيت عليهم السلام الزوجية، تلك هي الزوجات الإماء الجواري أو حسب المصطلح (أمهات الأولاد)[٤] ذلك أننا نجد أن زوجات الأئمة عليهم السلام بدءا من الإمام الصادق عليه السلام ممن قدر لهن

(١) ضبط العلامة المامقاني الاسم مكبرا، في تنقيح المقال

(٢) بحار الأنوار ٤٨/ ٦

(٣) يلاحظ أن الزوجة في الفقه تقابل المنكوحة بملك اليمين، وهي قسيم لها، وإنما استعملنا لفظ الزوجة فيها هنا جريا على ما هو المألوف.

(٤) تسمى الجارية التي تنكح بملك اليمين وتنجب (أم ولد)، وذلك أنها تنعتق من نصيب ابنها بعد وفاة أبيه.

أن يصبحن أمهات الأئمة كن جواري مملوكات!!

فأم الإمام الكاظم عليه السلام حميدة المصفاة وهي جارية اشتراها الإمام الصادق عليه السلام وكانت عنده بملك اليمين، وأنجبت له عددا من أولاده أفضلهم الإمام موسى بن جعفرعليه السلام، وزوجة الإمام الكاظم عليه السلام كانت جارية تسمى تكتم، أنجبت له الإمام علي بن موسى الرضاعليه السلام، وهكذا الحال فالإمام الرضا عليه السلام تزوج من جارية تسمى خيزران المريسية أنجبت له الإمام محمد بن علي الجوادعليه السلام، ثم الجواد عليه السلام تزوج من سمانة المغربية أنجبت له الإمام الهادي عليه السلام الذي تزوج بدوره من سليل أو (حديث) والتي أنجبت له الإمام الحسن العسكري، وأخيراً فان أم الإمام المهدي (عج) وزوجة الإمام العسكريعليه السلام أيضا جارية تسمى (نرجس). أي أننا نجد أن ستة من أهل البيت كانوا قد تزوجوا بجواري تملكوهن عبر الشراء، وقد يكون الأمر هينا لو اقتصر على مجرد الزواج للاستمتاع، فهذا أمر يفعله الكثير، ولكن أن يكون هذا الزواج بقصد الإنجاب، وان يخرج ستة من الأئمة عليهم السلام من أرحام هؤلاء النسوة فهو أمر مثير للتساؤل والملاحظة، خصوصا إذا أعدنا إلى الذهن تأثير الوراثة، إضافة إلى ما نعرفه من توجيهات الأئمة أنفسهم بضرورة الاختيار المناسب للزوجة، فإن الخال أحد الضجيعين، إضافة إلى مجموعة الاعتبارات الاجتماعية التي تراعى عادة في مثل هذه الحالات.

لا يبدو أن الأمر كان خاضعاً للصدفة وعدم الملاحظة، إذ قد يحدث ذلك في حالة أو حالتين، أما بهذه الصورة التي نراها فالأمر يبدو مقصودا أو على الأقل منتبها إليه فما هي الأسباب التي تقف وراء هذه الظاهرة؟!

عندما نتأمل في الروايات التي تتعرض لهذا الموضوع، نجد الأمور التالية تترافق معه:

١ - إلغاء الاعتبارات الاجتماعية الخاطئة:

إن كلمة (ليتضع النكاح) تواجهنا في أكثر من مورد، وهي تبين فلسفة

هذا العمل الذي يقوم به المعصومون (عليهم السلام). ذلك أن الإسلام عندما جاء إلى المجتمع العربي كان هذا المجتمع قد ثبت مجموعة من العادات والأعراف كقوانين يجري عليها المجتمع جيلاً بعد جيل. فالأعراف المتعلقة بالعبيد والإماء، بما فيها من حيف وظلم وإلغاء لإنسانية هؤلاء البشر، كانت قد تحولت إلى قانون لا يخرقه إلا من يوصف عندهم بالشذوذ، والفوارق التي ثبتت بين القبائل من كون هذه القبيلة أعلى وتلك أدنى، عبر مفاخرات الشعراء، كانت قد تحولت إلى آيات مقدسة لا يرتاب فيها أحد. وليس غريبا أن تجد الشخص عديم الكفاءة في نفسه، ودني الخلق في سلوكه، ولكنه يبقى الأفضل لأنه من هذا البطن من قريش!!

عندما جاء الإسلام بتعاليمه السامية وضع حداً- من الناحية النظرية- لهذه الاعتبارات والتقاليد وألغاها سواء بالتوجيه إلى تساوي البشر في مصدر الخلق، والعبودية لله سبحانه أو بجعل مقاييس جديدة في الأفضلية لا تعتمد على الجنس واللون والقبيلة بل تعتمد على الكفاءة والجهد البشري الخاص بالفرد.

إلا أن السياسات الخاطئة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وصعود بني أمية على دفة السلطة السياسية في الأمة، أعاد المسألة جذعة، وأرجع الحاضر إلى التاريخ الجاهلي، فإذا بنار العصبيات تشتعل وأي اشتعال!! وإذا بشعر المنافرات والمفاخرات ينبعث ماردا من قمقمه، وإذا بتلك التقاليد والإعراف الجاهلية تعود من جديد!!

فالمسلم الموحد صاحب الكفاءة، والمخلص لإعلاء كلمة الدين، يبعد من الساحة، لا لشيء إلا لأنه (مولى) أو(أعجمي)، وحتى قال قائلهم لأمير المؤمنين (عليه السلام): غلبتنا هذه الحمراء عليك يا أمير المؤمنين، فلو طردتهم!! وحتى منع غير العرب من الدخول إلى المدينة!! وحتى اصبح في المسلمين طبقة جديدة تسمى (الموالي) والحمراء وغير ذلك!!

«لقد كان مفروضا أن يكون هؤلاء الموالي في منزلة اجتماعية تتساوى

- من الناحية الإنسانية على الأقل- مع منزلة العرب وذلك وفقاً للمبادئ الديمقراطية التي جاء بها الإسلام وأعلنها الرسول في خطبة الوداع المشهورة وهي تلك المبادئ التي تجعل تمايز الناس لا على أساس من الأصل أو الحسب وإنما على أساس من التقوى، ولكن المثالية شيء، والواقع شيء آخر فلم يكد ينقضي عهد الخلفاء الراشدين ويودع المجتمع الإسلامي علي بن أبي طالب الذي يروى أنه قال: «لا فضل لشريف على مشروف ولا عربي على أعجمي» حتى اخذ العرب في العصر الأموي ينظرون للموالي نظرة السيد للعبد، ومضوا يعاملونهم لا تلك المعاملة الإسلامية الرقيقة التي أمرهم بها الله ورسوله وإنما معاملة اقل ما توصف به أنها بعيدة عن روح الإسلام السمح ومجانبة لمبادئه الإنسانية السامية فقد كانوا يرونهم جنساً منحطاً لا يمتاز عن العبيد إلا قليلاً أو كما يقول شبث بن ربعي أحد أفراد الأرستقراطية الكوفية البارزين: فيئاً أفاءه الله عليهم، وقد وصل الأمر ببعض العرب إلى درجة انهم كانوا يرون الصلاة خلفهم تواضعا لله!! بلى لقد وصل الأمر بالشعبي قاضي الكوفة في خلافة عمر بن عبد العزيز إلى التصريح بأن الموالي قد بغضوا إليه المسجد حتى تركوه أبغض إليه من كناسة داره. ولهذا لا نجد غرابة عندما نسمع في حوالي منتصف القرن الثاني عن مسجد في الكوفة يسمى (مسجد الموالي) الذي يميل «خدا بخش» إلى الظن بأنهم اضطروا إلى تأدية صلواتهم فيه بعد أن رأوا تعصب العرب ضدهم لم يكن يسمح لهم حتى بالعبادة في مسجد واحد»[1].

وطعن الإسلام من الخلف، حيث أصبح من يتزيا بلباس الدين، بل من يلبس رداء الخلافة يخالفه في ابسط قواعده في المساواة، والاعتبار الواحد. وكان الرد على هذه التحولات يحتاج إلى عمل، إضافة إلى التوجيه وكما قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بفعل ذلك في مسألة زواج زيد بن حارثة مولاه

(١) حياة الشعر في الكوفة ١٦٩.

بزينب بنت جحش ابنة عمته، وزيد كان غلام رسول الله ومولاه، بينما كانت زينب بنت جحش قد حازت المجد العائلي من طرفيه فهي أسدية الأب وهاشمية الأم. ومع ذلك زوجها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) (ليتضع النكاح)، أي لكيلا تصبح هذه الاعتبارات الاجتماعية عقدة عند الناس يمتنعون من زواج بعضهم البعض تبعا لها.

ونحن نجد في النص الذي يروى عن الإمام السجاد عليه السلام تصريحا بهذا المعنى، ذلك أن الإمام السجاد عليه السلام كان قد أعتق إحدى جواريه وتزوجها، ونظراً لكون الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان لا يزال يعيش في جو الاعتبارات التي تحدثنا عنها، فقد وجدها فرصته في الطعن على الإمام عليه السلام.

فعن يزيد بن حاتم قال: كان لعبد الملك بن مروان عين بالمدينة يكتب إليه بأخبار ما يحدث فيها، وان علي بن الحسين عليه السلام اعتق جارية له ثم تزوجها، فكتب العين بذلك إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك إلى علي بن الحسين عليه السلام:

أما بعد فقد بلغني تزويجك مولاتك، وقد علمت أنه كان في أكفائك من قريش من تمجد به في الصهر وتستنجبه في الولد فلا لنفسك نظرت ولا على ولدك أبقيت.. والسلام.

فكتب إليه علي بن الحسين عليه السلام: أما بعد فقد بلغني كتابك تعنفني بتزويجي مولاتي وتزعم انه قد كان في نساء قريش من أمجد به في الصهر واستنجبه في الولد.. وانه ليس فوق رسول الله مرتقى في مجد ولا مستزاد في كرم وإنما كانت ملك يميني خرجت مني- أراد الله عز وجل- بأمر التمست به ثوابه ثم ارتجعتها على سنته ومن كان زكيا في دين الله فليس يخل به شيء من أمره وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة وتمم به النقيصة واذهب اللؤم، فلا لؤم على امرئ مسلم إنما اللؤم لؤم الجاهلية.. والسلام.

فلما قرأ الكتاب رمى به إلى ابنه سليمان فقرأه فقال: يا أمير المؤمنين لشد ما فخر عليك علي بن الحسين!! فقال له يا بني لا تقل ذلك فإنها ألسن بني هاشم التي تفلق الصخر وتغرف من بحر.. إن علي بن الحسين يا بني يرتفع من حيث يتضع الناس[1].

فانظر إلى الفرق بين منطق التمييز الجاهلي ومنطق المساواة الرسالي.

٢- كنّ مؤهلات لاحتضان الأئمة:

الذي ثبت في التاريخ أن هؤلاء الجواري كن نجيبات ومنجبات، فقد سبق وان بينا، انه كان للمعصومين عليهم السلام زوجات عديدة بين جوارٍ وحرائر إلا أننا نلحظ أنه بدءا عن أيام الصادق عليه السلام، كانت الزوجات الأثيرات والنجيبات والمنجبات للأئمة كانت الجواري مع وجود الحرائر وبعضهن ممن يتمتعن بمجد عائلي متميز- حسب المقاييس السائدة آنئذ- إلا أن هؤلاء الجواري هن اللاتي اختصصن باحتضان الأئمة المعصومين عليهم السلام.

يضاف إلى ذلك أن علينا أن نتوجه جيداً إلى معنى (الجواري) فان المتبادر منها عند الناس، لا يمثل المعنى الحقيقي لهذه الكلمة. ذلك أن المتبادر إلى الذهن عن الجواري هو تلك الإماء الزنجيات الممتهنات بالعمل، والخادمات اللاتي لا أخلاق عالية لهن، أو تلك النساء اللاتي ينتقلن من حضن إلى آخر للمتعة والجنس، وهذا التبادر وإن كان واردا إلا أنه من باب الشائع، لا أن كل الجواري كن على هذه الشاكلة، فإننا نجد أن الكثير من هؤلاء النساء كن من بيوت شريفة في مجتمعاتهن ولكن تبعاً لظروف الحرب وما تجر من سبي للنساء، فلم يكن هذا السبي يميز بين ذوي البيوتات الرفيعة أو غيرها، بل ربما كانت نساء البيوت الرفيعة اجتماعياً اقرب الى السبي والغنيمة من غيرها، نظرا لكون رجال هذه البيوت يشكلون القادة

---

(١) بحار الأنوار ٤٦/ ١٦٤.

السياسيين أو العسكريين في المجتمعات التي فتحت على يد المسلمين، فكان هؤلاء الرجال يقتلون أو ينهزمون في هذه الحروب بينها. تؤسر نساؤهم وبناتهم ويؤخذن على شكل غنائم وجواري. ولعلنا نجد في قصة ابنتي يزدجرد مصداقاً واضحا لهذا المعنى، ذلك إن جيوش المسلمين عندما دحرت جيوش الفرس واستولت على إيران ساقت من الغنائم الشيء الكثير، وكان من بين ذلك النساء اللاتي سبين وحسب العرف المتبع فإنهن يسترقن ويدخلن في ملك المسلمين إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام بيّن أن هاتين البنتين من بنات الملوك. وتبعاً لتوجيه الإسلام بإكرام أهل الكرم الذين خانهم الزمن[1]، أعتق نصيبه ونصيب بني هاشم فيها فاعتق المسلمون تبعا لذلك نصيبهم، وخيرهما الإمام فاختارت إحداهما الإمام الحسين عليه السلام وأصبحت فيما بعد أم الإمام السجاد عليه السلام وماتت في نفاسها به، والأخرى اختارت محمد بن أبي بكر فأنجبت القاسم بن محمد بن أبي بكر، ويقول المؤرخون أن الناس كانوا يرغبون عن استيلاد الجواري خشية من أن يكون النسل غير نجيب، حتى ولد زين العابدين عليه السلام والقاسم بن محمد بن أبي بكر فرأى الناس في الأول أفضل الناس بعد أبيه علماً ومعرفة وتقوى، ورأوا في الثاني فقيها من كبار الفقهاء، فرغبوا في استيلادهن.

بل ربما يقال: إن عوامل الوراثة ستكون في خدمة هذا المولود الناتج بين عنصرين إذ أثبت العلماء أن العادة، أن يحمل المولود خلاصة إيجابيات ونقاط قوة كل من العنصرين (الفارسي والعربي في المثال).

ولعل الأحاديث التي توجه إلى التزاوج خارج العائلة الواحدة والاختيار من العوائل الأخرى باعتبار أن ذلك (انجب للولد)، وأقوى لصحة جسمه، ولمدركاته العقلية، لعل هذه الأحاديث تشمل التزاوج مع

(١) جاء في الحديث: اكرموا ثلاثة وحق لهم أن يكرموا: غني افتقر بعد غناه، وعزيز قوم ذل، وعالم ضاع بين جهال.

الأجناس الأخرى بوحدة المناط فتؤيد ما ذكر آنفا.

ونلمس هذا الأمر بوضوح حينما نجد أن المعصومين من أهل البيت عليهم السلام ممن كانت أمهاتهم جواري كانوا في أعلى درجات العلم والمعرفة (الجانب العقلي) والتقوى والاتزان (في السلوك)، بل كانوا في أزمنتهم (أئمة) بكل معنى الكلمة ولا نستطيع أن نجد لأحدهم زلة في قول أو خطلة في فعل، وهذا إضافة إلى العصمة التي نفترضها فيهم عليهم السلام يهدينا انه لم تكن آثار سلبية في حياتهم نتيجة الوراثة من أمهاتهم، ومما يدل على أن أمهاتهم كن في مستوى عال من التدين والأخلاق.

❀ ❀ ❀ ❀

المكان: مجلس الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام في المدينة المنورة. ويدخل في هذه الأثناء ابن عكاشة الأسدي، فيرى أبا عبد الله جعفر (الصادق) بن محمد الباقر عليهما السلام، وكان لا يزال شابا فيقول الأسدي للإمام الباقر عليه السلام لأي شيء لا تزوج أبا عبد الله فقد أدرك التزويج؟

ويجيبه الإمام الباقر بينما كان بين يديه صرة مختومة: يأتي نخاس (بائع الجواري) من أهل بربر ينزل دار ميمون فنشتري له بهذه الصرة جارية!

ومرت الأيام، ونسي ابن عكاشة الموضوع، وعاد مع جماعة لزيارة الإمام الباقر عليه السلام ذات يوم فبادرهم الإمام قائلا: ألا أخبركم عن النخاس الذي ذكرته لكم.؟ قد قدم فاذهبوا واشتروا بهذه الصرة منه جارية!

قال ابن عكاشة: فأتينا النخاس فقال: قد بعت ما عندي الا جاريتين مريضتين إحداهما أمثل من الأخرى، قلنا: فأخرجهما حتى ننظر إليهما فأخرجهما، فقلنا بكم تبيع الجارية المتماثلة؟ قال: بسبعين دينارا. قلنا: أحسن! قال: لا أنقص من سبعين فقلنا له: نشتريها منك بهذه الصرة ما بلغت وما ندري ما فيها. قال: فكوا الصرة وزنوا الدنانير، ففعلنا فإذا هي

سبعون دينارا لا تزيد ولا تنقص..

أخذنا الجارية وأتينا بها إلى أبي جعفر، وجعفر قائم عنده وأخبرنا أبا جعفر بما كان فحمد الله ثم قال: ما اسمك؟ قالت: حميدة في الدنيا محمودة في الآخرة[1]..

مرشدة النساء ووعاء الإمامة:

كسبيكة الذهب التي توضع في يد صائغ مقتدر، تشكلت شخصية حميدة بعيدا عن الشوائب والأدناس والصفات السيئة، وكان حريا بها بعد ذلك أن تكون أم خير أهل الأرض في زمانه موسى بن جعفر، بينما لم يحظ بهذا الشرف حرائر قرشيات ومن قريبات الإمام الصادق عليه السلام، وذلك يشير إلى قانون هام في النظام الإسلامي أن النسب لا يكفي لصناعة كل شيء وأن «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» لا في هذه الدنيا ولا في تلك الأخرى.

النسب أمر قهري لم يكن للمرء قرار فيه، لا في صنعه ولا في إلغائه، فقد جاء ضمن سلالة معينة، من أب وأم لم يخترهما، ولا يستطيع الانفكاك عن الانتساب إليهما، لكنه يستطيع أن يعيش شخصيته الخاصة به، وينتخب طريقة الحياة التي يستحسنها، ويختار درب الهداية أو ضدها. وهذا أمر يمكن للناس أن يتنافسوا فيه، وعليه ينبني تقييم مواقفهم، وحياتهم.

استوعبت من حياة الأئمة ما استطاعت، وشاءت لها كرامة الله أن تكون في بيت مركز دائرة والمعرفة، وحامل لواء العلم النبوي جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فعبت ونهلت من ذلك المعين الصافي، ولذلك كان يحيل الإمام لها المسائل التي ترتبط بالنساء، ويظهر من رواية عبد الرحمن بن الحجاج وهو من خيار الثقات وعلماء أهل البيت عليهم السلام، أن الإمام عليه السلام

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٨/ ٦

عندما أمره بأن تلقى إحدى نسائهم حميدة لتسألها عن كيفية العمل بالصبي الصغير في إحرام الحج.. يظهر أن أمر الإرجاع إليها في قضايا النساء كان طبيعيا.

فقد روى عبد الرحمن بن الحجاج أنه أرسل إلى الإمام الصادق جملة مسائل وكان يريد الجوار بمكة، فسأله عما يرتبط بحج الإفراد باعتباره سيجاور.. إلى أن قال: وأرسلت إليه أن معنا صبيا مولودا، فكيف نصنع به؟ قال عليه السلام: مر أمه تلقى حميدة فتسألها كيف تصنع بصبيانها؟ فأتتها فسألتها كيف تصنع فقالت: غذا كان يوم التروية فأحرموا عنه وجردوه وغسلوه كما يجرد المحرم وقفوا به في المواقف، فإذا كان يوم النحر فارموا عنه واحلقوا عنه رأسه، ومري الجارية أن تطوف به بين الصفا والمروة[1].

ومع أنه لم ينقل في الكتب الحديثية إلا القليل عنها من الرواية، إلا أنه لا شك أنها كانت توجه النساء فيما يرتبط بالمسائل الخاصة بهن من أحكام الدماء، وما شاكلها.. وربما لو لم ينقل عبد الرحمن بن الحجاج قضية توجيهها النساء فيما يعملن بصبيانهن في أمر الإحرام، لكان هذا أيضا مجهولا، وغير واضح. وهكذا الحال فيما نقل عنها من أمر اهتمام الإمام الصادق عليه السلام ووصيته بالصلاة في آخر ساعاته من الدنيا، فقد روى أبو بصير: دخلت على حميدة أعزيها بأبي عبد الله، فبكت وبكيت لبكائها ثم قالت: يا أبا محمد لو رأيت أبا عبد الله عند الموت لرأيت عجبا.. فتح عينيه ثم قال: اجمعوا لي كل من بيني وبينه قرابة.. فما تركنا أحدا إلا جمعناه، فنظر إليهم وقال: إن شفاعتنا لا تنال مستخفا بالصلاة[2].

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) / الكافي ٤/ ٣٠١

(٢) / وسائل الشيعة ج ٤/ ٢٦.. وفي المتن أنه دخلت على أم حميدة، ولا يخفى أنه تصحيف أو خطأ مطبعي.

وشاء الله سبحانه أن يكون النور السابع من أنوار الإمامة، وريث علم أبيه، وحامل لواء جده المصطفى، سمي الكليم موسى بن جعفر في رحم هذه الطاهرة من الأدناس فقد روى في البحار عن أبي بصير قال: كنت مع أبي عبد الله في السنة التي ولد فيها ابنه موسى فلما نزلنا الأبواء وضع لنا ابو عبد الله الغذاء ولأصحابه وأكثره (أي الغذاء) وأطابه، فبينا نحن نتغذى إذ أتاه رسول حميدة: أن الطلق قد ضربني وقد أمرتني أن لا أسبقك بابنك هذا، فقام أبو عبد الله فرحا مسرورا فلم يلبث أن عاد إلينا حاسرا عن ذراعيه ضاحكا سنه.. فقلنا أضحك الله سنك وأقر عينك! ما صنعت حميدة؟

قال: وهب الله لي غلاما وهو خير من برا الله ولقد خبرتني بأمر كنت أعلم به منها.

قلت جعلت فداك: وما الذي أخبرتك عنه حميدة؟ قال: ذكرت أنه لما وقع من بطنها وقع واضعا يديه على الأرض رافعا رأسه إلى السماء، فأخبرتها أن تلك أمارة رسول الله وأمارة الإمام من بعده[1]...

وتربى الإمام الكاظم عليه السلام في حجر هذه المرأة التي هي كتلة صفاء ونقاء وطهر، وإلا لم تكن لتتأهل لاحتضان هذا الطاهر الطيب أو لتربيته!

نموذج لعلاقة الحماة والزوجة:

تُعرض في هذه الأيام ـ بل حتى في السابق كما يستفاد من قصص التاريخ ـ العلاقة بين أم الزوج (الحماة) وبين الزوجة على أنها علاقة متوترة بالضرورة وسيئة حتما، وربما نُظر لها باعتبار الصراع على الرجل الذي هو من طرفٍ زوج ومن آخر ابن، وتتنافس على جلب اهتمامه، وحمايته كل من الحماة والزوجة، لا سيما لو كانا في بيت واحد، وربما وصلت الأمور إلى حدود اختيار الرجل لأحد الطرفين، ورمي الخيار الآخر، فإما أن يحتفظ بزوجته

(١) بحار الأنوار ٢٥/ ٢٣

ويبقى على بيته الجديد ولكنه يتعرض إلى غضبة أمه التي تعتبره عاقا، وإما أن يحتفظ بود أمه ويهدم بيته..

ولقد بالغ هؤلاء في تصوير حتمية الخلاف والنزاع والشقاق بين الطرفين، والأمر كله ليس عائدا إلى الموقع والصفة أي كون هذه حماة، وتلك زوجة ابن ليس مبررا لوجود مثل هذه العلاقة، وإنما المشكلة أخلاقية، فكيف ينبغي أن يتم التعامل بين هاتين الشخصيتين، وهي محكومة تماما بسائر قوانين التعامل بين طرفين، سواء كانا في بيت واحد أو مجتمع واحد.

والمقصود أنه كما أن كون شخص ابن عم لآخر لا يصنع سوءا في العلاقة بينهما ـ بمجرده ـ ما لم يحدث سوء في التعامل وفي إدارة العلاقة تلك، فكذا الحال بين الحماة والزوجة.

ولعل هذه الثقافة التي بثت في المجتمع حتى غدت من شبه المسلمات هي التي تكرر وتعيد انتاج العلاقة السيئة في مظاهر جديدة لتكون دليلا آخر يثبتها ويجددها.. وهكذا فهي أشبه بفيروسات الكمبيوتر التي تعيد إنتاج نفسها، وتكثير نفسها في برامج جديدة وأجهزة جديدة.

والحق أن الأمر ليس حتميا ولا ضروريا فإننا قد وجدنا أن من كان متمسكا بحبال الأخلاق ومتعلقا بعروتها، استطاعوا أن يخلفوا لنا صورة من أفضل الصور حول نمط العلاقة بين أم الزوج (الحماة) وبين الزوجة، فهذا مثال أمامنا هو نمط العلاقة الذي كان بين حميدة والدة الإمام الكاظم عليه السلام التي كما قامت على تربية ابنها موسى الكاظم عليه السلام، فقد باشرت تربية الجارية التي شاء لها سعد حظها وحسن توفيقها أن تكون زوجته ووالدة للإمام الرضا عليه السلام فيما بعد. وهي تُكتم أو نجمة. فإنها بعد أن أخذت عن حميدة ما أخذت من مكارم الأخلاق ومن العلم والمعرفة بأمور الدين، وكانت تعز مولاتها حميدة وتحترمها احتراما بالغا، فإنها كما نقلوا لم تجلس بين يديها، فلما كملت.. وكان الإمام الكاظم عليه السلام قد بلغ سن التزويج، فوهبتها

له قائلة لابنها الكاظم عليه السلام: يا بني إن تكتم جارية ما رأيت جاريت قط أفضل منها ولست أشك أن الله تعالى سيطهر نسلها إن كان لها نسل، وقد وهبتها لك فاستوص بها خيرا [1].

مبعوثة الإمام في الحقوق الاجتماعية:

مع أن حميدة كانت في هذا المستوى الرفيع علما وعملا، ومنزلة، إلا أنها لم تحول هذا الموقع إلى مادة للكبر، والافتخار كما يحلو لبعض أن يفعل، وإنما كانت تقوم بزيارات اجتماعية تقضي فيها حقوق أهل المدينة، فلم تكن لتقنع بأنها في بيت العصمة، وأنها محتوية على كثير من العلم، وبالتالي فإن على النساء أن يأتين إليها وإنما كانت تذهب من قبل الإمام في قضاء الحقوق الاجتماعية، في تعزية هذه العائلة، وفي المشاركة في أفراح تلك العائلة كما يظهر من رواية الكاهلي، فقد سأل الإمام الكاظم عليه السلام، عن ذهاب النساء إلى المآتم لتعزية بعض العوائل المصابة بفقيدها، وهي يجوز أو لا يجوز أن تذهب النساء في ذلك ويظهر أنه كان موضع أخذ ورد بين الكاهلي وزوجته، فقد روى عبد الله الكاهلي قال: قلت لأبي الحسن (الكاظم) عليه السلام: إن أمرأتي وامرأة بن مارد تخرجان في المأتم فأنهاهما فتقول امرأتي: إن كان حراما فانهنا عنه حتى نتركه، وإن لم يكن حراما فلأي شيء تمنعناه فإذا مات لنا ميت لم يجئنا أحد؟

فقال عليه السلام: عن الحقوق تسألني؟ كان أبي عليه السلام يبعث أمي وأم فروة تقضيان حقوق أهل المدينة [2].

سلام على أم باب الحوائج، وعاء الإمامة، المصفاة من الأدناس.

---

(١) المصدر السابق ٤٩/ ٥

(٢) الكافي ٣ / ٢١٧.. وأم فروة اسم لوالدة الإمام الصادق عليه السلام وهي بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وهو اسم لإحدى بناته عليه السلام، والظاهر أنها هي المقصودة هنا. لا والدته، والله العالم.



في رحاب الإمام الرضا عليه السلام



موجز عن حياة
الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

الإمام أبو الحسن ١٥٣-٢٠٣هـ:

ولد سنة ١٥٣ هـ وتوفي سنة ٢٠٣ هـ. وعمره خمسون عاماً، كان فيها مع أبيه مدة ثلاثين سنة.

عاصر مع أبيه أيام هارون العباسي، وشهد فتكه بشيعتهم، كما شهد مواقف أبيه من الحكم العباسي ونهاية والده الكاظم عليه السلام مسموماً في السجن.. وبالرغم من خوف الكثير من أصحابه من أن يلقى نفس مصير أبيه، إلاّ أنه تصدى لشؤون الإمامة بعد شهادة أبيه.

استغل بعض الوكلاء المنحرفين ظروف التقية التي كانت سائدة على أثر قمع الحكم العباسي، فادعوا أن الإمام الكاظم عليه السلام لم يمت، وأنه لا يزال حياً، لكيلا يسلموا الأمر للإمام الرضا عليه السلام فأنشؤوا بذلك مذهب الواقفة.. لكنهم ما لبثوا أن اندثروا بعدما رأى الناس شخصية الإمام الرضا عليه السلام، وفضله وعلمه.

مع مجيء المأمون إلى الحكم، بعدما حارب أخاه الأمين وانتصر عليه وقتله، أصر على الإمام الرضا أن يكون ولي عهده، تحت طائلة القتل إن لم يقبل، وكان يهدف في ذلك إلى:

١- نزع سلاح المعارضة من يد الإمام الرضا ومن يد العلويين باعتبار أن سيدهم هو ولي العهد، وأن يكون الإمام الرضا دائماً إلى جانبه تحت ا لمرا قبة.

٢- إسقاط الصورة المثالية الموجودة لدى الناس عن أهل البيت، وإقناع الناس أن أهل البيت إنما يزهدون في الدنيا- مثلا- لأنهم لم يحصلوا عليها، أما إذا حصلوا عليها فإنهم يقبضون عليها، وأيضا إشعار الناس أن الأوضاع بقيت فاسدة مع أن الإمام الرضا وهو كبير البيت العلوي في سدة الحكم.

٣- الاستقواء بالإمام الرضا داخلياً، ذلك أن المأمون كان يعيش في دائرة ضعف في بداية الأمر، ذلك أنه كان ابن أمة فارسية، وكان صغير السن، وقد قتل أخاه لتوه.. فكان يحتاج إلى ظهر يستند إليه، ولم يكن هناك خير من الإمام الرضا عليه السلام... فأصر عليه أن يكون ولياً للعهد وإلا فإنه سيقتل.

قبل الإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد مضطراً، ولكنه اشترط لذلك، أن لا يعين وأن لا يعزل وأن لا يشارك. وكل ذلك من أجل أن ينزع الصفة الشرعية عن أعمال الحكم العباسي، وسعى للاستفادة من ذلك الموقع في خدمة حركة الإمامة، فقد صار ديوان المأمون مجلساً لظهور فضل أبي الحسن الرضا وغلبته على أرباب الأديان والمذاهب، فكان يؤثر عنه العلم وينقل من دون تحرج أو-خوف، كما أنه ما فتئ يظهر فضائل أهل البيت وتقدمهم على من سواهم من الخلق في تلك المجالس والمناظرات، وبالرغم من أن المأمون كان يسعى جاهدا لإدخاله في التعيين والعزل إلاّ أن الإمام كان يرفض ذلك لأنه يعلم أن المقصود هو إسباغ الشرعية على عمل الحكم بل قام بأعمال توحي بأن الحكم لا يسير على طريقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، كما حدث في أول يوم من البيعة، وكما حدث في صلاة العيد.

نقل عنه عدد كبير عن أصحابه، أحاديث جمة في أصول العقائد، والأحكام، والأخلاق.

انتقل إلى جوار ربه سنة ٢٠٣، ودفن في خراسان.

١- فاطمة (المعصومة) بنت
موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

توفيت في بلدة قم المقدسة سنة ٢٠١هـ.

من زارها فله الجنة[١]

الإمام الرضا عليه السلام

❁ ❁ ❁ ❁

ربما يمتلك الأقوياء من أصحاب السلطة والثراء، ناصية الزمان في برهة منه، فيصبح مطبوعا باسمهم، في لافتاته، ونقوده، وصحافته. ويسكرون بخمر المجد والسلطان، متصورين أن الزمان لهم يدوم، وفي صالحهم يبقى.. ﴿**أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ❁ نُسَارِعُ لَـهُم فِي الخَيْرَاتِ؟ بَلْ لا يَشْعُرُونَ**﴾[٢].

ما أن تزول وطأة هؤلاء عن الناس، وصورتهم من الواجهة حتى ترمى في أسوأ الأماكن. بل يتحير أصحابها كيف يتخلصون منها؟ وتمر أيام

---

(١) ذكرنا في كتاب (من قضايا النهضة الحسينية) الوجه في مثل هذه الروايات، وكيف يتم الوعد بثواب عظيم على عمل بسيط فليراجع.

(٢) المؤمنون ٥٥- ٥٦.

أخرى فإذا بالنسيان والإهمال يكون سيف العدل الذي يسلط على هؤلاء، وبالرغم من حرص أخلافهم على إحياء ذكرهم، باسم شارع أو مؤسسة أو غير ذلك، إلا أن ذلك لا ينفع شيئا.

بينما الصالحون يتمددون على أريكة الزمان، وينتشرون على خط الدهر، ولا يحتاجون إلى شيء لكي يقدسهم أمثالهم، ويحيوا ذكراهم، ويعايشوا صفاتهم وأخلاقهم، ويرفعوا لهم المزارات والمشاهد، فيصبح كل شبر من المكان ناطقا بفضيلة صاحبه، وكل ذرة رمل منه تفوح ذكرا وعطرا، ويتنفس المؤمنون من ذلك المكان شذا المكين، وعبق صفاته الطيبة، ويا لَلعدل الإلهي، ويا لَسنة الحق، التي تجازي وتجزي، في الدنيا قبل الآخرة**!!**

ويأتي بعد ذلك العارفون والواعون، فيدرسون حكمة الزمان، ويتعلمون ـ عيانا لا سماعا ـ **﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾**[1].

يمر أمير المؤمنين عليه السلام مع أصحابه على طاق كسرى، وقد بقيت منه الأطلال فيتمثل أحدهم بقول الشاعر:

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ألا قلت: **﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وعُيُونٍ وزُرُوعٍ ومَقام كَرِيم ونَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ كَذلِكَ وأَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ والأَرْضُ وما كانُوا مُنْظَرِينَ﴾**[2] إن هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا مورثين ولم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية إياكم وكفر النعم لا تحل بكم النقم انزلوا بهذه الفجوة.

ويمر بعد ثلاثة عشر قرنا أحد الشعراء على قبر أمير المؤمنين فيلاحظ

---

(١) الأحزاب:٦٢.

(٢) الدخان ٢٥- ٢٩

ذلك السمو القدسي والجموع الواردة عطشى والصادرة منتقعة من قيم الخير والفضيلة، ثم يمر بعدها على بقعة سكر الذباب بها فراح يعربد، فينطلق فيه لسان الحكمة، وينشئ تلك القصيدة الخريدة التي هي بحق (حكمة الزمان) [1] لو كان يعلمها أهل القوة والثروة.

ونمر على مشهد المعصومة، فاطمة بنت موسى بن جعفر عليهما السلام، فتتداعى في نفوسنا حزمة من المعاني، والصور التاريخية.. امرأة من نساء أهل البيت عليهم السلام، في عز شبابها تقضي في بلدة بعيدة عن مسكنها وأهلها، وبحسب المنطق العادي، فإن الزمان لا يبقي لها اسما ولا رسما، لكنها تتحول إلى مجتمع! ويصبح قبرها مركزا لأمة.. ومنبعثا لحضارة علمية عظيمة!!

بينما ذهب المأمون وهو الحاكم، وتبعه العباسيون واحدا وراء الآخر، ولم يبق منهم ـ في الكتب ـ إلا عظة الزمان، وحكمة الأديان: أن ما لله يبقى وما لغيره يفنى!

هلم بنا عزيزي القارئ، نتعرف على شيء من خصوصيات هذه السيدة العلوية الموسوية، ولئن لم نستطع الدخول في كثير من التفاصيل ـ لانشغال المؤرخين بألقاب السلطان وتعداد أصناف موائده وأسماء حريمه وجواريه، وأنغام مغنييه وقُصّافه وعُزّافه ـ لكن التفاصيل ليست هي الأهم، وإنما الحكمة الباقية لو كانوا يعلمون.

---

(١) قصيدة قالها الشاعر العربي محمد المجذوب، منها:

أين القصور أبا يزيد ولهوها	والصافنات ومجدها والسؤدد
أين الدهاء نحرت عزته على	أعتاب دنيا سحرها لا ينفد
هذا مصيرك لو بصرت ببؤسه	لأسال مدمعك المصير الأسود
كتل من الترب المهين ببقعة	سكر الذباب بها فراح يعربد
قم وارمق النجف الشريف بنظرة	يرتد طرفك وهو باك ارمد
تلك العظام أعز ربك قدرها	فتكاد لولا خوف ربك تعبد

بين سنة ١٧٣هـ و١٨٣هـ وهو تاريخ شهادة أبيها الكاظم عليه السلام، اختلفت روايات المؤرخين في سنة ولادتها، ولا يترتب على الخلاف الذي لا طريق إلى تأكيد أحد التأريخين فيه إلا بعض الملاحظات التي تقرب أو تبعد من دون أن تكون دليلا قاطعا، مثل أن الإمام الكاظم عليه السلام بقي في سنواته الأخيرة مسجونا، ولا يمكن ـ لو كان مسجونا طول السنة ـ بحسب العادة أن تكون ولادة ابنته في نفس تلك السنة. إلا أن يقال أن سجنه لم يكن مستمرا طول السنة تلك..

بينما يترتب على القول الثاني وهو أن ولادتها كانت في سنة ١٧٣ هـ أي قبل ذلك بعشر سنوات، أن لا يبتلى بمحذور كون أبيها في السجن، فهو وإن سجن لعدة سنوات إلا أنها لم تكن متتابعة قطعا، ولم يؤخذ إلى بغداد إلا في أواخر حياته عليه السلام.. وتكون بناء على هذا القول تحت رعاية أبيها مدة عشر سنوات وهي فترة كافية لأمثالها لأخذ العلم على يديه فيكون ما نقله في كتاب (كريمهء أهل بيت) عن كتاب ابن العرندس الحلي: لا غبار عليها من هذه الجهة، فإنه قد نقل أن جماعة من شيعة أهل البيت قد قصدوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان لديهم مسائل للإمام الكاظم، وبعد الزيارة ذهبوا إلى بيت الإمام سائلين عنه وخرجت إليهم فتاة صغيرة السن ـ كانت هي فاطمة ـ وأخذت أسئلتهم مخبرة إياهم أنه ليس في البيت، ثم كتبت أجوبة المسائل تلك، وعادوا في يوم آخر واستلموا الأجوبة من غير أن يروا الإمام، لكنهم وفي أثناء طريقهم التقوا ب الإمام وعرفوه، فحكوا له ما جرى وأن فتاة قد أخذت الأسئلة وأعطتهم إياها مع أجوبتها في اليوم الثاني، فنظر الإمام في الأجوبة ولما انتهى من قراءتها، قال: فداها أبوها، فداها أبوها، فداها أبوها.

وعلى التقديرين فإن من المؤكد أن جُلّ تربيتها كانت على يد أخيها علي الرضا عليه السلام ومن هنا نفهم سر العلاقة الخاصة التي كانت بينها وبينه، ومقدار حبه لها، واحترامها له.

ولهذا فقد كان أول ما عمله الإمام الرضا عليه السلام حين أجبر على قبول ولاية

العهد أن يستقدم أخته إلى جانبه، بل ومعها عددا من اخوته وخلص أصحابه..

ولعل من المناسب الإشارة هنا إلى العلاقة غير الصافية التي كانت بين المأمون العباسي وبين الإمام الرضا عليه السلام والتي يكشفها جمع المأمون لأصحاب المقالات وأرباب المذاهب لغرض الانتصار على الإمام فقد نقلوا أن المأمون قد استجمع هؤلاء وأرسل إلى الإمام عليه السلام: إنه اجتمع إلي أصحاب المقالات وأهل الأديان والمتكلمون من جميع الملل فرأيك في البكور علينا إن أحببت كلامهم وإن كرهت ذلك فلا تتجشم وإن أحببت أن نصير إليك خف ذلك علينا فقال أبو الحسن عليه السلام أبلغه السلام وقل له قد علمت ما أردت وأنا صائر إليك بكرة إن شاء الله قال الحسن بن محمد النوفلي فلما مضى ياسر التفت إلينا ثم قال لي: يا نوفلي أنت عراقي ورقة العراقي غير غليظة فما عندك في جمع ابن عمك علينا أهل الشرك وأصحاب المقالات؟

فقلت جعلت فداك: يريد الامتحان ويحب أن يعرف ما عندك ولقد بنى على أساس غير وثيق البنيان وبئس والله ما بنى!

فقال لي: وما بناؤه في هذا الباب؟

قلت إن أصحاب الكلام والبدع خلاف العلماء وذلك أن العالم لا ينكر غير المنكر وأصحاب المقالات والمتكلمون وأهل الشرك أصحاب إنكار ومباهتة إن احتججت عليهم بأن الله واحد قالوا صحح وحدانيته وإن قلت إن محمدا رسول الله قالوا أثبت رسالته ثم يباهتون الرجل وهو يبطل عليهم بحجته ويغالطونه حتى يترك قوله فاحذرهم جعلت فداك!

فتبسم عليه السلام ثم قال: يا نوفلي أ فتخاف أن يقطعوني على حجتي!

قلت لا والله ما خفت عليك قط وإني لأرجو أن يظفرك الله بهم إن شاء الله!

فقال لي يا نوفلي أ تحب أن تعلم متى يندم المأمون؟

قلت: نعم.

قال: إذا سمع احتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم وعلى أهل الزبور بزبورهم وعلى الصابئين بعبرانيتهم وعلى الهرابذة بفارسيتهم وعلى أهل الروم بروميتهم وعلى أصحاب المقالات بلغاتهم فإذا قطعت كل صنف ودحضت حجته وترك مقالته ورجع إلى قولي علم المأمون أن الموضع الذي هو بسبيله ليس بمستحق له فعند ذلك تكون الندامة منه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. إلى آخر ما ذكره في البحار والعيون من تفاصيل المناظرة وكيف ندم فيها المأمون في آخر الأمر لما ظهر من فضل الإمام عليه السلام..

ويذكر تاريخ أهل البيت صورا مختلفة عن العلاقة غير المستقرة بين الإمام وبين المأمون. في هذه الظروف أرسل الإمام الرضا عليه السلام خلف أخته فاطمة لتأتي إليه في طوس، وخرجت مع عدد من إخوانها وأبنائهم وغلمانهم قاصدين الوصول إلى خراسان، وهنا يذكر المؤرخون أنها مرضت وسألت عن مقدار المسافة بينها وبين بلدة قم ـ التي يبدو أنها كانت على موعد معها فقد نقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه تحدث عنها وأنه ستدفن فيها امرأة من أولادي تسمى فاطمة بنت موسى.. كما نقله في البحار.. فأخبرت أن المسافة ليست بالكثيرة فأمرت بأن تحمل إليها وهناك قضت نحبها.

بينما ذكر بعض المؤرخين أنهم لما وصلوا إلى بلدة ساوة، تمت مهاجمتهم من قبل أهلها والفئة المتنفذة فيها وكانوا مشهورين بالعداوة لأهل البيت عليهم السلام، وحوصرت القافلة التي كانت فيها فاطمة المعصومة، فقتل منهم جمع وشرد الباقون حتى أن أخا الإمام الرضا وأخاها هارون قد هاجموه وهو يتناول الطعام فقتلوه.[1]

---

(١) / حياة الإمام موسى بن جعفر للقرشي.

وإذا كان الثاني صحيحا وهو لا تأباه الظروف التي كانت سائدة آنئذ، فقد نقل أيضا أن عددا آخر من إخوة الرضا وبني عمومته خاضوا معركة حامية الوطيس مع جنود المأمون العباسي في منطقة شيراز.

وسواء كان هذا أو ذاك فإنها لم تبق إلا أياما معدودة حتى فارقت الدنيا.

المشاهد والمراكز العلمية:

كان من سنة الحياة أن يحيا ذكر فاطمة بنت موسى بن جعفر، وأن يعمر ما حولها، وإن لم تنفق في سبيل ذلك شيئا، وأن يهلك ذكر أهل الدنيا والمال والقوة، فتحول ذلك القبر إلى مهوى للأفئدة، ومجتمعا لرجال العلم وطالبي الفضل، ورواد المعرفة.

وها أنت ترى وضع مدينة قم المقدسة التي مالت إليها فاطمة، عندما وصلت إلى بلدة ساوة، واستقبلها حينئذ أشعريو قم، الثائرون العرب اليمانيون المعارضون للنظام الأموي والمهاجرون إلى قم منذ ذلك الوقت. فقد تحولت إلى أحد أهم الحواضر العلمية في العالم الإسلامي اليوم، وأصبح قبرها ومشهدها موطنا للعلماء، وقبلة للمتعلمين والدارسين.

وهذا ينبهنا على الدور الذي تقوم به مشاهد المعصومين وأبنائهم الصالحين من دور في الأمة فهذه الصفوة حياتها خير وهداية، وبعد مماتها يتحول مدفنها إلى واحة يتفيأ ظلالها أهل الصلاح والعلم والفضيلة، وإذا كان أهل الدنيا يتحلقون حول المال ومراكز الشهوة، فإن أهل الآخرة، وحملة العلم يجدون في هذه المراقد (جنات عدن التي وعد المتقون أكلها دائم وظلها).. ولقد كانت تلك الأضرحة وما حولها (جامعة) لما تفرق من العلم، و(حوزة) لما انفرط من عقده.

الغريب أننا في هذا الزمان، نجد اللاهثين وراء أهل الثروة و(القصور)

والذين لا يخرجون في أمرهم عن (القصور) بل التقصير والمستأكلين من أموال أهل الدنيا، تراهم ـ ويا لسخرية القدر ـ يعيبون أهل القبور والمتحلقين حول الأضرحة والمشاهد، يستلهمون منها قيم الخير والفضيلة وذكرى الآخرة والقيامة!! وسلام الله على الرسول الذي قال (كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا).. أرأيت كيف يعيب أهلُ الدنيا والعابدون للقوة والسلطة أهلَ الإيمان والمتعظين بالقبور والمقابر، ومستمطري الرحمات على القدوات الصالحات..

يعاب شيعة أهل البيت بأنهم (قبوريون)! شنشنة نعرفها من اخزم.. أترى (القصوريين) الذين اتخذوا الدين تجارة كيف يعيبون شيعة أهل البيت بما هو فخرهم..

سلام على المعصومة بنت موسى بن جعفر، و«يا فاطمة اشفعي لي في الجنة فإن لك عند الله شأناً من الشأن».

٢- نجمة (تكتم) المريسية
والدة الإمام الرضا عليه السلام

كانت موجودة سنة ١٧٣هـ.

❁ ❁ ❁ ❁

تتعدد مواقف الناس تجاه حالات الاختصاص والاصطفاء الإلهي للأشخاص:

ـ فقسم منهم ينكر أمر الاصطفاء والاختصاص الإلهي رأسا، ويرى أن عالم الدنيا إنما هو عالم يسير ضمن المعادلات المرئية الواضحة، بينما قضية الاصطفاء والعناية الخاصة أمر يرتبط بالغيب، ولا مجال له في هذه الدنيا المبنية على الحضور والشهود!

ـ وقسم آخر لا يستبعد أمر الاصطفاء والعناية الإلهي (رأسا) ، وإنما يرى أن مصاديقه غير متوفرة الآن، أو أن من يتحدث عنه على أنه قد أحيط برعاية إلهية ليس مصداقا لها..

وأنه لو كان سيتم ذلك فإن هناك أشخاصا أحق بذلك الاصطفاء والاعتناء، ويملكون المقاييس التي تؤهلهم لذلك.

ـ وقسم ثالث يرى أن ما خفي عنه من العلم أكثر مما ظهر له، وأنه من الممكن أن يكون من الجزء المخفي عنه ما هو محل الحديث، خصوصا أن الله

سبحانه وتعالى قد أخفى أولياءه بين عباده الذين لا تتوجه إليهم الأنظار ولكنهم مع ذلك هم أولياؤه ولذا فهم ﴿**لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[1].

وقد واجه الأنبياء والمرسلون والأئمة المعصومون هذه الفئات الثلاث في حياتهم، فمن الأولى وجدنا كيف أن القرآن الكريم قد ناقش القرشيين الذين رفضوا أن يكون محمد بن عبد الله ﷺ رسولا مبعوثا من قبل الله سبحانه، كيف ولو كان ينبغي أن يبعث أحد أو أن يصطفى شخص فإن هناك من هو عظيم في القريتين وهو الذي ينبغي أن يكون صاحب هذا المقام.. فتحدث القرآن واصفا مقالتهم ومفندا أقوالهم ﴿**وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۞ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[2].

وفي موضع آخر تراه يتحدث عن البواعث النفسية التي تدفع هؤلاء لمثل تلك المواقف فيرجعها إلى حالات من الحسد وضيق الصدر، فيقول: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إبراهيم الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً**﴾[3]. ولعل بعض هؤلاء (لهم العذر الظاهري) فيما يقومون به، فإنهم يقيسون الآخرين على مقياس أنفسهم، وإذا فعلوا ذلك لا يجدون في أنفسهم ميزة حقيقية ترفعهم على غيرهم، فهم الخاضعون للشهوات ويعرفون ذلك من أنفسهم، وهم الزاحفون على ركبهم في الخلوات، وهم الذين لا يمتنعون لو رأوا محرما مستورا!! فكيف يختصهم الله ـ العالم بكل شيء ـ كيف يختصهم برعايته وعنايته؟

وإذا نقلوا هذا المنظار ورأوا به غيرهم، لم يجدوا سببا لرعاية الله

---

(١) يونس:٦٢

(٢) الزخرف:٣١-٣٢.

(٣) النساء:٥٤.

واختصاصه أولئك النفر..

هؤلاء هم عالمون من جهة وجاهلون من أخرى، فهم من جهة عالمون بما هم عليه من السوء، والأخلاق غير المرضية، ولكنهم جاهلون بغيرهم، فهم لا يعرفون صفاء نفوس غيرهم، وحسن أعمالهم، وطيبة أخلاق الآخرين.. ولذلك يحق لهم أن يتعجبوا كثيرا في أنه كيف يتم اختيار هذا الشخص للنبوة وذاك للإمامة، والثالث لكرامة الله.. وهكذا.

لكنهم لو عرفوا سر ذلك لزال تعجبهم، فإن ما يرون من غيرهم ليس إلا المظهر، وليس سوى القشرة الخارجية.. وإن ما يحمله هؤلاء المتعجبون من ميزات لو أدركوا أنها لا تساوي عند الله شيئا، لسعوا ربما لما هو مرضي عند الله.. فإن اعتمادهم على الجذور العائلية فقط وعلى الأنساب ، أو على الجمال البدني بمجرده أو على القوة العضلية فقط.. ليس بالضرورة أن يكون ميزة في المقياس الإلهي الذي على أساسه يتقدم العباد.

ولقد سبق أن ذكرنا الموقف الذي كان من عبد الملك بن مروان عندما سمع أن الإمام السجاد قد تزوج جارية (أو مولاة) له.. فكان أن أرسل إلى الإمام رسالة يعاتبه على تلك الخطوة ضمن عقلية المقاييس غير الإلهية. كما كان للإمام نفسه موقف مع بعض أصحابه ممن كان متأثرا بتلك الأفكار الباطلة[1].

(١) وسائل الشيعة - الحر العاملي ج ٤١ ص ٥٠: وعنه (كتاب الحسين بن سعيد (الزهد)، عن علي بن رئاب، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن علي بن الحسين عليهما السلام رأى امرأة في بعض مشاهد مكة فأعجبته فخطبها إلى نفسه وتزوجها فكانت عنده، وكان له صديق من الأنصار فاغتم لذلك وسأل عنها فاخبر أنها من بني شيبان في بيت عال من قومها، فأقبل على علي بن الحسين عليهما السلام فقال: ما زال تزويجك هذه المرأة في نفسي، وقلت: تزوج علي بن الحسين امرأة مجهولة، ويقوله الناس أيضا، فلم أزل أسأل عنها حتى عرفتها ووجدتها في بيت قومها شيبانية، فقال له علي بن الحسين عليهما السلام: قد كنت أحسبك أحسن رأيا مما أرى.. أن الله أتى بالإسلام فرفع به الخسيسة، وأتم به الناقصة وكرم به من اللوم فلا لوم على مسلم.

هذه المقدمة ينبغي أن نتأمل فيها ونحن نحاول الحديث عن (سكن) أو (تكتم) أو (نجمة) وهي أسامٍ مختلفة لوالدة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، امرأة تُصنف بحكم المقاييس الظاهرية الخادعة بأنها جارية تُباع وتشترى، ولكن بحسب المقاييس الخفية التي على أساسها يتفاضل الناس عند خالقهم كانت شيئا آخر ولهذا كانت الوعاء الذي قرّ فيه (المولود المبارك) علي بن موسى الرضا عليه السلام.

فقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله بسنده[1] عن هشام بن أحمر قال أبو الحسن الأول (الكاظم) عليه السلام: هل علمت أحداً من أهل المغرب قدم؟

قلت: لا!

فقال عليه السلام: بلى قد قدم رجل أحمر فانطلق بنا فركب وركبنا معه حتى انتهينا إلى الرجل فإذا رجل من أهل المغرب معه رقيق..

فقال له: اعرض علينا فعرض علينا تسع جوار كل ذلك يقول أبو الحسن عليه السلام: لا حاجه لي فيها ثم قال له: اعرض علينا قال ما عندي شيء!

فقال له: بلى اعرض علينا!

قال: لا والله ما عندي إلا جارية مريضة!

فقال له: ما عليك أن تعرضها؟ فأبى عليه ثم انصرف ثم إنه أرسلني من الغد إليه فقال لي: قل له كم غايتك فيها؟ فإذا قال: كذا وكذا. فقل: قد أخذتها فأتيته فقال: ما أريد أن أنقصها من كذا!

فقلت: قد أخذتها وهو لك.

---

(١) عيون أخبار الرضا / ج ٢ الصدوق قال حدثنا أبي رضي الله عنه قال: حدثنا سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن يعقوب بن اسحق عن أبي زكريا الواسطي هشام بن أحمر قال.

فقال: هي لك ولكن من الرجل الذي كان معك بالأمس فقلت رجل من بني هاشم فقال: أي بني هاشم؟

فقلت له: من نقبائهم!

فقال: أريد أكثر منه!

فقلت: ما عندي اكثر من هذا! فقال: أخبرك عن الوصيفة إني اشتريتها من أقصى بلاد المغرب فلقيتني امرأة من أهل الكتاب فقالت: ما هذه الوصيفة معك؟ فقلت: اشتريتها لنفسي!

فقالت: ما ينبغي أن تكون هذه الوصيفة عند مثلك! إن هذه الجارية ينبغي أن تكون عند خير أهل الأرض فلا تلبث عنده إلا قليلا حتى تلد منه غلاما يدين(١) له شرق الأرض وغربها!

قال: فأتيته بها فلم تلبث عنده قليلا حتى ولدت له عليا عليه السلام(٢).

صارت هذه المرأة الصالحة بهذه الطريقة في بيت الإمام الصادق في أول أمرها حيث يظهر من بعض الروايات أن (نجمة، تكتم) قد قدمت لبيت الإمام الصادق عليه السلام وقد كان موجودا على قيد الحياة، بل قد أخبر عن

---

(١) في رواية الكافي: ما يولد بشرق الأرض ولا غربها مثله.

(٢) هناك رواية أخرى يستفاد منها أن والدة الإمام الكاظم حميدة المصفاة هي التي اشترتها ثم أهدتها إلى ابنها الكاظم عليه السلام وأنها كانت من أفضل النساء في عقلها ودينها، وإعظامها لمولاتها حميدة المصفاة، حتى إنها ما جلست بين يديها منذ ملكتها إجلالا لها. فقالت لابنها موسى عليه السلام ـ بعدما رأت رسول الله في المنام يأمرها بأن تهبها لابنها موسى ـ: يا بني، إن تكتم جارية ما رأيت جارية قط أفضل منها، ولست أشك أن الله تعالى سيطهر نسلها إن كان لها نسل، وقد وهبتها لك فاستوص بها خيرا.. ويمكن الجمع بينهما ـ مع تمامية الروايتين ـ بأن الشراء كان في الأصل للوالدة، وأن الذي ذهب كان مرسلا من قبل الإمام الكاظم عليه السلام حيث لم يكن من الطبيعي أن تذهب والدة الإمام لشراء الجارية والتعرض للسوق، مع وجود ابنها، وأنه اشتراها لها، ثم لما رأت ذلك الكمال والفضل وهبتها ابنها الكاظم.. والله العالم.

أنها سوف تكون أم الإمام الرضا، وهذا يشير أيضا نحو إشارة إلى منزلتها، ففي خبر ينقله بسنده عن سلمة بن محرز قال: قلت لأبي عبد الله (الصادق) عليه السلام: إن رجلاً من العجلية[1] قال لي كم عسى يبقى لكم هذا الشيخ إنما هو سنة أو سنتين حتى يهلك ثم تصيرون ليس لكم أحد تنظرون إليه!

فقال أبو عبد الله عليه السلام: ألا قلت له: هذا موسى بن جعفر عليه السلام قد أدرك ما يدرك الرجال وقد اشترينا له جارية تباح له فكأنك إن شاء الله وقد ولد له فقيه خلف!!.

ثم عاشت في كنف الإمام الكاظم عليه السلام زوجة[2] وشريكة حياة وأمّاً للإمام علي الرضا عليه السلام وحينئذ سماها بـ (الطاهرة) ويظهر من الرواية السابقة أنها كانت أولى من اقترن بها، وكان باكورة ذلك وجود الإمام الرضا عليه السلام خصوصا مع الروايات الأخرى التي ورد فيها النص على الإمام الرضا من الكاظم باعتباره أكبر ولده [3].

ويشير إلى توجهها العبادي والروحي، وعلاقتها بالله سبحانه أنها وهي الأم التي تمتلك مخروناً هائلاً من الحنان والعطف على ابنها، أنها طلبت الاستعانة بمرضعة بعد ولادة الإمام الرضا عليه السلام لتساعدها في إرضاعه[4]،

---

(١) فرقتان تنتمي إحداهما إلى المغيرة بن سعيد العجلي، والثانية لأبي منصور العجلي، وهما من الفرق المنحرفة عن أهل البيت في بداية الأمر، وتطور بهما الأمر إلى الانحراف عن الدين رأسا.

(٢) عندما نتحدث عن زوجات الأئمة من الجواري، فإنما نتحدث هنا خارج لغة الاصطلاح الفقهي الذي يجعل الزواج (بعقد ومهر) قسيما ومقابلا للنكاح بملك اليمين.. وذلك لما يتطلبه وضع الكتاب الذي يخاطب لغة الشباب والشابات في المتن.

(٣) الشيخ الصدوق في العيون بسند معتبر عن الحسين بن المختار: خرجت إلينا ألواح من أبي إبراهيم موسى عليه السلام وهو في الحبس فإذا فيها مكتوب: عهدي إلى أكبر ولدي.

(٤) في عيون أخبار الرضا.. قال: وكان الرضا عليه السلام يرتضع كثيرا، وكان تام الخلق. فقالت: أعينوني بمرضعة، فقيل لها: أنقص الدر؟ فقالت: لا أكذب، والله ما نقص، ولكن علي ورد من صلاتي وتسبيحي، وقد نقص منذ ولدت.

لكيلا يتأثر وردها وتنقص عبادتها، ولعل هذا لا يكون مفهوما لدى الكثير ولكنه الارتباط بالله الخالق العظيم، والالتذاذ بعبادته ومناجاته، وهو الذي أوصل هذه المرأة لأن تكون وعاء الإمامة.

كما أنها كانت والدة للسيدة فاطمة بنت موسى بن جعفر المعروفة بالمعصومة[1]، التي سنأتي على ترجمة لها، ومن خلال هذا نستطيع الاطمئنان بأنها كانت موجودة في سنة ١٧٣ هـ، وهي سنة ولادة فاطمة (المعصومة) كما في بعض المصادر، وإن كانت بعض المصادر الأخرى ترى أنها ولدت في فترة متأخرة عن هذا التاريخ، وتؤرخ ولادتها بسنة ١٨٣ هـ كما سيأتي..

وعلى أي تقدير، فلا شك أنها وهي في بيوت الإمامة تعرضت إلى كثير من المعاناة الناتجة على أثر مواقف السلطة العباسية تجاه أهل البيت، وخصوصا تجاه زوجها الإمام الكاظم عليه السلام، فقد شهد تلك الفترة التي عاشتها تصعيدا سياسيا خطيرا من قبل الحكومة العباسية تجاه أهل البيت، ونحن وإن كنا لا نعرف تاريخ وفاتها ولا كم بقيت مع الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حيث لم يذكر اسمها تحديدا في وصية الإمام وإنما ذكر أن ابنه علي الرضا هو الوصي (في ماله وأهله وأولاده الأصاغر وأمهات أولاده) وإن كنا نستقرب بالنظر إلى كونها أما لفاطمة المعصومة التي ولدت في السنوات الأخيرة قبل شهادة أبيها الكاظم عليه السلام، نستقرب بقاءها إلى حين شهادته، ولكن لا شك أنها اصطلت بنار تلك الظروف التي أحاطت به وأدت إلى سجنه مرات متعددة، إلى أن انتهت حياته المباركة شهيدا مسموما..

---

(١) لا يخفى أن عقيدتنا في موضوع العصمة أنها لا تصح إلا لأربعة عشر معصوما هم سيد الخلق محمد وابنته الصديقة الطاهرة والأئمة الاثنا عشر علي والحسنان، والتسعة أبناء الحسين عليهم سلام الله جميعا، فالعصمة الضرورية الاصطلاحية هي لهؤلاء كما هي لرسل الله عليهم السلام. وتلقيبها بذلك إما لورود هذا اللقب في إحدى الروايات كما نقل ذلك صاحب كتاب (رياحين الشريعة) وإما لبيان منزلتها العالية، وأن لها مرتبة من مراتب العصمة (غير الضرورية المصطلحة)..



٣- أم سلمة زوجة
علي بن عبيد الله بن الحسين

أسرة الجنة:

تتفاوت مواقف الأقربين من أقرانهم عندما يحصلون على علو ومنزلة، ولا سيما إذا كانت تلك المنزلة إلهية وغيبية.

ويظهر أنها هذه المواقف تتسم بشيء من القوة والشدة سواء كانت في جهة السلب أو الإيجاب فالمؤمن بوجود تلك المنزلة في القريب يكون قوي الموقف وشديد الإخلاص في الدفاع عن صاحبها.. والكافر بها يكون شديد العناد والمواجهة معه، ولو تأملنا في سيرة الأنبياء والأوصياء، لوجدنا هذه الحقيقة واضحة.

فأبو لهب الذي ذكره القرآن الكريم باللعن والتثريب ومعه حمالة الحطب، كان من أشد المعارضين لدعوة رسول الله ﷺ وأنزل الله في ذلك قرآنا يتلى ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ۞ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ**﴾[1]. بينما كان لسان حال البعض الآخر ممن لا يمتون بصلة نسب للنبي هو: ﴿..**أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ**

(١) سورة المسد

كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[١] أو قول عتبة بن ربيعة «يا معشر قريش إن محمدا له إلّ وذمة وهو ابن عمكم فخلوه والعرب فإن يكن صادقا فأنتم أعلى به عينا وإن يكن كاذبا كفتكم ذؤبان العرب أمره»[٢].

بينما من يعرف الحق، ويؤمن به يكن في نصرة قريبه (النبي، أو الوصي) في أعلى درجات الفداء والإيثار، وهنا نذكر أبا طالب[٣] عم النبي ﷺ الذي أعطى من نفسه وأبنائه في نصرة النبي ﷺ ورسالته بلا حدود. وهكذا يُذكر بكل إكبار دور حمزة بن عبد المطلب وجعفر ابن أبي طالب، وعلي أخيه عليهم السلام.

وربما يتصور أن الأمر يدخل في ضمن العصبية القبلية، والدفاع عن القرابة والنسب، كما هو المشاهَد في كل مكان، وبالنسبة إلى جميع الأزمان، والأفراد، حيث تتنادى الأقارب لنصر من يتقرب إليها، وينسب لها.

لكن الأمر لا يبدو كذلك في الدعوات الدينية، ولا سيما في دعوة الإسلام التي جاءت بثقافة مختلفة في هذا الصعيد، فجعلت أولى الناس بالنبي ليس أقاربه، وإنما الذين يتبعونه **﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[٤]، مقررة أنه لا نسب ولا أهلية بين المؤمن والكافر، كما أوضحت ذلك في قصة نبي الله نوح **﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾**[٥] ولذا فإنك **﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ**

---

(١) غافر:٢٨

(٢) بحار الأنوار ١٩/ ٢٢٤

(٣) للتفصيل يراجع كتاب رجال حول أهل البيت عليهم السلام، القسم الخاص بالحديث عن أبي طالب.

(٤) آل عمران:٦٨.

(٥) هود:٤٦.

وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وأهل البيت المعصومون عليهم السلام عايشوا الحالتين، فقد وجدوا من بين أقاربهم، وأنسابهم من يعاديهم عداء يقصر عنه كل عداء، كما نلاحظ ذلك في حالة العباسيين، فـ:

قد شردوهم بين مقتول ومأ   سور ومنحور بسيف عناد

وفي الطرف الآخر وجدنا من يعرف حقهم فيعاملهم بأعلى درجات الاحترام والتبجيل، ويفسر الإمام الرضا عليه السلام هذا الأمر بـ« إن ولد علي وفاطمة عليهما السلام، إذا عرفهم الله هذا الأمر لم يكونوا كالناس». وقد رأينا كيف كان علي بن جعفر الصادق عليه السلام يحترم محمد بن علي الجواد عليهما السلام، إلى حد أنه كان يسوي له نعله قبل قيامه، ويأخذ بركابه، مع أن الإمام الجواد في تلك الفترة كان في سن بعض أحفاد علي بن جعفر، الذي هو عم أب الإمام الجواد (عم الرضا).

وأمامنا نموذج من تلك الفئة من ولد علي وفاطمة الذين عرفهم الله أمر الإمامة، فلم يكونوا كسائر الناس في محبتهم وولائهم بل تجاوز تلك الحدود.. نموذج أم سلمة وزوجها علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين السبط عليه السلام.

والزوج علي بن عبيد الله كان من أهل الفضل والزهد بل قيل إنه كان أعبد أهل زمانه وأزهدهم، وكان هو وزوجته أم سلمة بنت عبد الله بن

---

(١) المجادلة:٢٢

الحسين بن على يقال لهما: الزوج الصالح[1]، وكان علي بن عبيدالله مستجاب الدعوة، واختص بالإمام موسى بن جعفر وابنه علي الرضا عليهما السلام، وله كتاب في الحج يرويه كله عن الإمام الكاظم، وذكر أبو نصر وابن عنبة ان محمد بن إبراهيم طباطبا القائم بالكوفة كان قد أوصى إليه، فان لم يقبل فلأحد ابنيه محمد وعبيدالله، فلم يقبل وصيته ولا أذن لابنيه في الخروج.

وقد روي أن الإمام الرضا عليه السلام قد شهد لعلي وزوجته وابنيه بالجنة، وهي منزلة ـ لعمري ـ عظيمة بلا شك. ففي الرواية التي نقلها الشيخ الكشي في رجاله، ذكر لهم هذه المنزلة، وأشار إلى شدة علاقتهم بالإمام واحترامهم له، قال:

- قرأت في كتاب محمد بن الحسن بن بندار بخطه، حدثني محمد ابن يحيى العطار، قال: حدثني أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن سليمان بن جعفر، قال: قال لي علي بن عبيدالله بن الحسين بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام: أشتهي أن أدخل على أبي الحسن الرضا عليه السلام أسلم عليه، قلت: فما يمنعك من ذلك؟ قال: الإجلال والهيبة له وأتقي عليه.

قال: فاعتل أبو الحسن عليه السلام علة خفيفة وقد عاده الناس، فلقيت علي بن عبيدالله، فقلت: قد جاءك ما تريد، قد اعتل أبو الحسن عليه السلام علة خفيفة وقد عاده الناس، فان أردت الدخول عليه فاليوم.

قال: فجاء إلى أبي الحسن عليه السلام عائدا فلقيه أبو الحسن عليه السلام بكل ما يحب من التكرمة والتعظيم، ففرح بذلك علي بن عبيدالله فرحا شديدا. ثم

(١) قد مر في ترجمة سابقة أيضا أن زينب بنت عبد الله بن الحسن وزوجها علي بن الحسن المثلث كانا يسميان بالزوج الصالح. وقد ذكر ابن داود في رجاله أن علي بن عبيد الله كان يسميه الإمام الرضا عليه السلام بالزوج الصالح. فراجع.

مرض علي بن عبيدالله، فعاده أبو الحسن عليه السلام وأنا معه، فجلس حتى خرج من كان في البيت، فلما خرجنا أخبرتني مولاة لنا أن أم سلمة امرأة علي بن عبيدالله كانت من وراء الستر تنظر إليه، فلما خرج: خرجت وانكبت على الموضع الذي كان أبو الحسن عليه السلام فيه جالسا تقبله وتتمسح به.

قال سليمان: ثم دخلت على علي بن عبيدالله، فأخبرني بما فعلت أم سلمة، فخبرت به أبا الحسن عليه السلام، فقال: يا سليمان إن علي بن عبيدالله وامرأته وولده من أهل الجنة، يا سليمان إن ولد علي وفاطمة عليهما السلام إذا عرفهم الله هذا الأمر لم يكونوا كالناس.[1]

ثم إن السيد الخوئي رحمه الله قد علق على الرواية بأن: رواية الكشي وإن كانت ضعيفة بجهالة محمد بن الحسن بن بندار إلا أن رواية محمد بن يعقوب[2] صحيحة، وفيها دلالة على مدح علي بن عبيد الله وجلالته[3].. فهو يرى أن محمد بن الحسن بن بندار مجهول، ولأجل ذلك تكون الرواية التي رويت عنه ضعيفة..

لكنه في الجزء السادس عشر من المعجم ذكر خلاف ذلك في ترجمته فقال في صفحة ٢٢٢ ما نصه: محمد بن الحسن بن بندار: القمي: روى عن علي بن إبراهيم بن هاشم، وروى الكشي، عن كتابه، ذكره في حكم النبيذ، بعد ترجمة شعيب مولى علي بن الحسين. وفي ترجمة هشام بن إبراهيم العباسي. وروى عن الحسن بن أحمد المالكي، ذكره في ترجمة محمد بن فرات، عن كتابه، وكذا في ترجمة عبد الله بن طاووس. وروى عن محمد بن يحيى

(١) اختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٨٥٦

(٢) محمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن سليمان بن جعفر، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول.. إن علي بن عبيد الله وامرأته وبنيه من أهل الجنة..

(٣) معجم رجال الحديث ج ١٣ ص ٩٤

العطار، رواه الكشي عن كتابه، في ترجمة محمد ابن إسماعيل بن بزيع. وكذلك في ترجمة علي بن عبيد الله بن الحسين. وروى عن الحسين بن محمد بن عامر، وروى عنه الكشي عن كتابه، في ترجمة خيران الخادم.

أقول: استظهر الوحيد، اتحاده مع محمد بن الحسن القمي الآتي، الذي روى عنه التلعكبري إجازة، وما استظهره في محله، فإن هذا في طبقة الكليني قدس سره. ويروي عن مشايخه كما عرفت، وروى التعلكبري عن الكليني في عدة موارد، وعلى ذلك فهو ثقة، كما يأتي.

فهو مجهول عنده في الجزء الثالث عشر، وثقة في السادس عشر!!

٤- حكيمة بنت الإمام موسى بن جعفر

يتفاوت الناس في تفاعلهم مع القضايا الغيبية كالكرامات.

فقسم من الناس يكذبها بالكامل ولا يعتقد بها.

وقسم آخر يؤخذ بها، ويغلو في صاحبها، فيعتقد فيه صفات الإله.

وثالث يصدق بها، ويؤمن ولكن يضعها في إطارها الصحيح، عندما يزداد إيمانا بالله الذي أكرم صاحب الكرامة، وأعطاه من فضله، وسخر له بعض ما خلق.

واتخاذ الموقف الصحيح وهو الثالث، هو الذي يزيد الذين اهتدوا هدى، فلا تكذيب بما أنعم الله على أوليائه، ولا غلو في أولئك الأولياء حتى يخرجوا من العبودية.

ويصعب هذا الموقف إلا على من أوتي من المعرفة شيئا كثيرا، فإن تزاوج الكرامة والمعاناة في شخص واحد، أمر يصعب فهمه وإدراكه. فكيف يمكن أن يفهم إنسان أن أهل البيت عليهم السلام قد كانوا على مستوى من المنزلة عند الله بحيث تجري على أيديهم الكرامات، ومع ذلك كانوا يتعرضون للأذى من قبل الحاكمين وطغاة العصر؟

كيف يستطيع هؤلاء الاتصال بعالم الغيب، ويكون لهم من القدرة ـ

بإذن الله ـ ما يتحكمون فيه بما حولهم، ومع ذلك يكونون محكومين بإرادة الصغار من الرجال، والتافهين من الحاكمين؟

ولو ترقى الملاحظ لسأل نفس السؤال في حق رسول الله ﷺ وأنه كيف كان مطاردا من قبل ملأ مكة، ومضروبا بالأحجار من سفهاء ثقيف، بينما كان بإمكانه أن يدعو الله عليهم فيجعل (عاليها سافلها)؟ كيف أن تلك الذات المقدسة التي ينشق لها القمر، ويأتي طائعا ثابت الشجر، تؤذى في النفس وفي الأهل؟

يحتاج الإنسان إلى قدرة عقلية كبيرة لكي يتفهم اجتماع هذين المعنيين في مورد واحد!!

وحكيمة بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم، واحدة من نساء أهل البيت عليهم السلام عاصرت فترة أبيها وما جرى عليه من أذى، واضطهاد، وسجن، ثم كانت مع أخيها الإمام علي بن موسى، وكانت ترى منه الكرامات والألطاف الإلهية، فتزداد يقينا وإيمانا بالباري الذي حبا هذه الأسرة واجتباها بلطفه وكرامته.. وترى أنه كلما زادت المعاناة في سبيل الله، والصبر في جنبه، ارتفعت المنزلة، وعظمت النعمة.

فهاهي في ولادة ابن أخيها محمد بن علي الجواد ترى العجب، الذي لا يكاد يطيقه غير المؤمنين، فإنها تنقل أنها قد حضرت ولادة ابن أخيها، كما ذكر ابن حمزة الطوسي في كتابه الثاقب في المناقب[١] عن علي بن عبيدة، عنها: لما حضرت ولادة الخيزران أدخلني أبو الحسن الرضا عليه السلام وإياها بيتا، وأغلق علينا الباب والقابلة معنا. فلما كان في جوف الليل انطفأ المصباح فاغتممت لذلك، فما كان بأسرع أن بدر أبو جعفر عليه السلام فأضاء البيت نورا فقلت لامه: قد أغناك الله عن المصباح..

---

(١) ص ٥٠٤.

فلما أن أصبحنا جاء الرضا عليه السلام فوضعه في المهد، وقال لي: الزمي مهده. قالت: فلما كان اليوم الثالث رفع بصره إلى السماء ثم لمح يمينا وشمالا، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. فقمت رعدة فزعة، فأتيت الرضا عليه السلام فقلت له: رأيت عجبا! فقال: وما الذي رأيت؟ فقلت: هذا الصبي فعل الساعة كذا وكذا! قالت: فتبسم الرضا عليه السلام وقال: ما ترين من عجائبه أكثر[1].

(١) الملاحظ أن الإمام محمد بن علي الجواد، حصل له كرامات تتجاوز أمر السن والعمر في أكثر من مورد، منها ما هو مذكور في المتن، ومنها ما هو معروف من تصديه للإمامة وهو حدث السن، حيث أن التصدي للإمامة يعني وضع المتصدي نفسه في محل الامتحان والتحدي، وبالفعل قد خاض الإمام ذلك البحر، وحاولوا إحراجه بكثير من الأسئلة، التي لا يعرفها ـ في ذلك السن ـ غير من أيده الله بعلمه، في مواضع متعددة.. وللتفصيل يراجع موسوعة الإمام الجواد للحسيني القزويني وآخرين.



٥- كلثوم بنت سليم
راوية عن الرضا عليه السلام

الواقفة[١] لم يقتصر وجودهم على زمان الإمام الكاظم عليه السلام.. بل هم موجودون ـ بدرجة أو بأخرى ـ في كثير من المجتمعات والطوائف!

فإن الزعيم والقائد العظيم عندما تتمكن شخصيته من أبناء مجتمعه أو طائفته، تشعرهم بالأمن والقوة، ويتصورون ـ أو يحبون ـ أن يبقى خالدا

(١) الواقفة، وهم الذين وقفوا على الإمام الكاظم عليه السلام كما هو المعروف من هذا اللفظ حيثما يطلق، وربما يقال لهم: الممطورة، أي الكلاب المبتلة من المطر، ووجه الإطلاق ظاهر. وإنما وقفوا على الكاظم عليه السلام بزعم أنه القائم المنتظر إما بدعوى حياته وغيبته أو موته وبعثه مع تضليل من بعده بدعوى الإمامة، أو باعتقاد أنهم خلفاؤه وقضاته إلى زمان ظهوره، وقد جزم المولى الوحيد وغيره بأن إطلاق الواقفي في الرجال ينصرف إلى من وقف على الكاظم عليه السلام ولا يحمل مع الإطلاق إلا عليه، نعم، مع القرينة يحمل على من قامت عليه ولعل من جملة القرائن عدم دركه للكاظم عليه السلام وموته قبله أو في زمانه عليه السلام مثل سماعة بن مهران وعلي بن حيان ويحيى بن القاسم. وكان بدء الواقفة - كما في مختار الكشي - إنه اجتمع ثلاثون ألف دينار عند الأشاعثة زكاة أموالهم فحملوها إلى وكيلين لموسى عليه السلام بالكوفة: حيان السراج وآخر كان معه حين ما كان موسى عليه السلام ببغداد في الحبس. فمات عليه السلام والمال عندهما، فلما بلغ الخبر إليهما أنكرا موته، وأذاعا في الشيعة أنه لا يموت لأنه القائم المهدي - إلى آخر ما قال. دراسات في علم الدراية- علي أكبر غفاري ص ١٤١.

معهم!! وهم مع علمهم بأن ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾[1] إلا أنهم يتعلقون بالأمل، ويتشبثون بالحلم في بقائه واستمراره.

لا يوقظهم إلا واقع الموت الذي كتبه الله على جميع خلقه.. ولكن بعضهم يبقون حالمين بأنه لا يمكن أن يكون قد وقع على فلان العظيم، ما وقع على غيره!

وما يذكره التاريخ من الصدمة التي حلت على المسلمين بوفاة رسول الله، والحيرة التي تملكتهم، مع أنهم يقرؤون في كتابهم الحق ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾[2].. يرجع في حال بعضهم إلى هذه الفكرة..

وهكذا الحال فيما بعد، وفي العصور الحاضرة حيث تبقى الجموع المتأثرة بالقائد السابق الذي توفي، في حالة ذهول وأحيانا في حالة أسر للماضي، واعتقال من قبل الذكريات!

ولتحديد أثر هذه الحالة فقد أقر الإسلام مجموعة من الوسائل تنتهي إلى تخفيف هذه الحالة وإلغاء الجوانب السلبية فيها.. فمن تلك الوسائل: التأكيد على حقيقة الموت بالنسبة للأنبياء والرسل وهم أشرف الخلق، فما ظنك بمن هو دونهم: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ**﴾[3]، واستعراض حالات الأنبياء السابقين في موتهم ﴿**فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ**﴾[4].

ومن تلك الوسائل: الأحكام المترتبة على الموت، من اعتداد الزوجة

---

(١)الرحمن:٢٦.

(٢) الزمر:٣٠

(٣) الأنبياء:٣٤

(٤) سبأ:١٤.

وحدادها، وإمكان زواجها بعد ذلك، ومن تقسيم الأموال بين الورثة.

ومن تلك الوسائل: الإعلان الاجتماعي عن موت الراحل، مثل التشييع، والمشاركة في الدفن، واستقبال المعزين والمواسين..

هذه كلها وغيرها تحسم أمر الوفاة، وتنهي الحلم، ليتبدل بيقظة ومواجهة صريحة للواقع، واستعداد للقيام بمتطلباته.

والغرض من ذلك هو أن لا تتوقف دورة الحياة، وعجلة التقدم، وأن يتم الارتباط بالمبادئ والقيم، حتى وإن كان الشخص أعظم ممثل لها، وأفضل من يجسدها.. لكن يبقى أن عظمته كانت نابعة من كونه متفاعلا مع تلك المبادئ ومطبقا لتلك القيم، وهي باقية، وإن كان مطبقها فانيا وذاهبا **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾**[١]

غير أنه يحدث أن تستغل فئة من الانتهازيين تلك الحالة، لكي تعمق فكرة أن القائد لم يمت وأنه لا يموت، وإنما هو موجود، وله أبواب معينة، وبالطبع لن تكون سوى تلك الفئة الانتهازية.

وهذا ما حصل في أيام الإمام الكاظم عليه السلام حيث ادعى عدد من وكلائه وكان عندهم الأموال، أن موسى بن جعفر عليه السلام لم يمت، وإنما غاب واختفى، وأن على الناس أن يستمروا على ارتباطهم بأولئك الوكلاء.. واستطاع أولئك أن يستثمروا الحالة المذكورة، وأن ينشئوا مذهبا منحرفا عرف فيما بعد باسم (الواقفية).

بينما الواعون والعارفون يتجاوزون محنة الافتقاد إلى التفكير للوضع الجديد بدقة وهمة، حيث يكون ذلك الوضع بحاجة أكبر للاهتمام والقائد الجديد فيه

---

(١) آل عمران:١٤٤.

أحوج إلى النصرة والالتفاف إلى يتمكن أمره، ويستحكم خطه في المجتمع.

وقد كان الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في مثل ذلك الظرف، فبمقدار ما كانت دعوة الواقفية وارتباطاتهم تأخذ مدى في نفوس بعض الأتباع كان على الطرف الآخر أناس آمنوا بالإمام علي بن موسى، واتبعوه كما اتبعوا أباه الإمام الكاظم، حيث أنهم في جهة الإمامة وحدة واحدة.

ومن أولئك الناس امرأة عارفة واعية، هي كلثوم بنت سليم.. التي ذكرها الرجاليون باعتبارها من أصحاب الإمام الرضا، وقد روت عنه كتابا، ورواه عنها محمد بن إسماعيل بن بزيع. قال عنها الشيخ النجاشي في رجاله[1]:

كلثوم بنت سليم روت عن الرضا عليه السلام كتابا، أخبرنا علي بن أحمد قال: حدثنا محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسن، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع عنها بالكتاب.

وقد اشتبه الأمر ـ كما أوضحه كثير من العلماء ـ على ابن داود الحلي عندما ذكرها، بعنوان: كلثوم بن سليم (كش)[2] وقف على الرضا عليه السلام.

والاشتباه حصل في الاسم، فهي امرأة وليست رجلا، كما أنه لم يعهد من أحد القول بوقفها على الإمام الرضا عليه السلام بل لم يعهد مذهب وقف على الإمام الرضا وإنما كان الكلام في الواقفية الذين وقفوا على والده موسى بن جعفر الكاظم ولم يقبلوا إمامة علي بن موسى الرضا. وذكروا أيضا أنه لم يذكرها الكشي في رجاله كما أشار إليه ابن داود.

وذكر كتابها المحقق الطهراني في كتابه الذريعة[3] تحت عنوان: كتاب

(١) رجال النجاشي ص ٣١٩

(٢) رمز لكون الاسم مذكورا في رجال الكشي.

(٣) ج ٦ / ٣٥٩.

الحديث لكلثم بنت سليم، روت عن الرضا، وروى عنها محمد بن إسماعيل ابن بزيع كما في النجاشي.

والراوي عنها هو محمد بن إسماعيل بن بزيع[1] وهو من الثقات

(١) ذكره آية الله الخوئي في معجم رجال الحديث ج ١٦ ص ١٠٣: فقال - محمد بن إسماعيل بن بزيع: قال النجاشي: «محمد بن إسماعيل بن بزيع: أبو جعفر: مولى المنصور أبي جعفر. وولد بزيع بيت، منهم حمزة بن بزيع، كان من صالحي هذه الطائفة وثقاتهم، كثير العمل، له كتب، منها: كتاب ثواب الحج، وكتاب الحج. أخبرنا أحمد بن علي بن نوح، قال: حدثنا ابن سفيان، قال: حدثنا أحمد ابن إدريس، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عنه، بكتبه. قال محمد بن عمر الكشي: كان محمد بن إسماعيل بن بزيع من رجال أبي الحسن موسى عليه السلام، وأدرك أبا جعفر الثاني عليه السلام. وقال حمدويه عن أشياخه: إن محمد بن إسماعيل بن بزيع، وأحمد بن حمزة، كانا في عداد الوزراء، وكان علي بن النعمان وصى بكتبه لمحمد بن إسماعيل. وقال أبو العباس بن سعيد في تأريخه: إن محمد بن إسماعيل بن بزيع سمع منصور بن يونس، وحماد بن عيسى، ويونس بن عبد الرحمان، وهذه الطبقة كلها، وقال: سألت عنه علي بن الحسن، فقال: ثقة، ثقة عين. وقال محمد بن يحيى العطار: اخبرنا محمد بن أحمد بن يحيى، قال: كنت بفيد، فقال لي محمد بن علي بن بلال: مر بنا إلى قبر محمد بن إسماعيل بن بزيع لنزوره، فلما أتيناه، جلس عند رأسه مستقبل القبلة والقبر أمامه، ثم قال: أخبرني صاحب هذا القبر - يعني محمد بن إسماعيل - أنه سمع أبا جعفر عليه السلام يقول: «من زار قبر أخيه ووضع يده على قبره وقرأ (إنا أنزلناه في ليلة القدر) سبع مرات أمن من الفزع الأكبر». قال أبو عمرو، عن نصر بن الصباح: أنه أدرك أبا الحسن الأول، وروى عن ابن بكير. وحكى بعض أصحابنا عن ابن الوليد، قال: وفي رواية محمد بن إسماعيل بن بزيع، قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «إن لله تعالى بأبواب الظالمين من نور الله له البرهان، ومكن له في البلاد، ليدفع بهم عن أوليائه، ويصلح الله به أمور المسلمين، إليهم ملجأ المؤمن من الضر، وإليهم يفزع ذو الحاجة من شيعتنا، وبهم يؤمن الله روعة المؤمن في دار الظلمة، أولئك المؤمنون حقا، أولئك أمناء الله في أرضه، أولئك نور في رعيتهم يوم القيامة، ويزهر نورهم لأهل السماوات كما تزهر الكواكب الدرية لأهل الأرض، أولئك من نورهم يوم القيامة تضيء منهم القيامة، خلقوا والله للجنة، وخلقت الجنة لهم، فهنيئا لهم، ما على أحدكم أن لو شاء لنال هذا كله»، قال: قلت: بماذا؟ جعلني الله فداك، =

الأعلام، لكن الغريب أنه لم تذكر الكتب الحديثية سواء في الفقه أو في العقائد أي رواية له عن كلثوم بنت سليم، مع أنه يفترض أنه راوي كتابها. كما لم يذكر الرجاليون بتبع ذلك كونه ممن روى تلك المرأة في تعدادهم لمن روى عنهم محمد بن إسماعيل بن بزيع، كما يظهر بمراجعة الهامش..

وعلى أي حال، فإن تلقي هذه المرأة الحديث من الإمام الرضا عليه السلام ينبئ عن مستوى اهتمامها، فإنا نجد أن نتاج الإنسان هو من جنس اهتمامه، فبينما تهتم بعض النساء، ببعض المساحيق والألوان، وشراء الثياب والزينة، تهتم هذه المرأة بتلقي الحديث من الإمام المعصوم عليه السلام. ثم يكون دورها أن تنشره بين من يشتري هذه السلعة القيمة مثل محمد بن إسماعيل ونظرائه.

= قال: «يكون معهم فيسرنا بإدخال السرور على المؤمنين من شيعتنا، فكن منهم يا محمد». أخبرنا ولدي رحمه الله، قال: أخبرنا محمد بن علي بن الحسين، قال: حدثنا محمد بن علي ما جيلويه، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن معبد، عن الحسين بن خالد الصيرفي، قال: كنا عند الرضا عليه السلام ونحن جماعة فذكر محمد بن إسماعيل بن بزيع، فقال عليه السلام: وددت أن فيكم مثله.

ثم ذكر: طبقته في الحديث فقال: وقع بعنوان محمد بن إسماعيل بن بزيع في إسناد كثير من الروايات تبلغ مائتين وتسعة وعشرين موردا. روى عن أبي الحسن، وأبي الحسن الرضا، وأبي جعفر، وأبي جعفر الثاني، عليهم السلام، وعن أبي إسماعيل السراج، وإبراهيم بن مهزم، وثعلبة بن ميمون، وجعفر بن بشير، وجعفر بن محمد بن حكيم، وحماد بن عيسى، وحمزة بن بزيع، وحمزة بن بزيع عمه، وحنان، وحنان بن سدير، وصالح بن عقبة، وصفوان بن يحيى، وظريف بن ناصح، وعبد الله بن عثمان، وعبد الله بن الفضل النوفلي، وعلي ابن النعمان، وغياث بن إبراهيم، والفضل بن كثير، ومحمد بن زيد، ومحمد بن سنان، ومحمد بن عذافر، ومحمد بن عذافر الصيرفي، ومحمد بن الفضيل، ومنذر ابن جيفر، ومنصور بزرج، ومنصور بن بزرج، ومنصور بن حازم، ومنصور بن يونس، ومنصور بن يونس بزرج، وهشام بن سالم، ويحيى بن مساور، والخيبري وعمه...

في رحاب الإمام الجواد عليه السلام



موجز عن حياة
الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام

أبو جعفر (الثاني)١٩٥-٢٢٥هـ:

ولد الإمام الجواد عليه السلام عام ١٩٥ هـ، وتوفي عام ٢٢٥ وعمره ثلاثون عاما ومدة إمامته اثنان وعشرون عاما.

كان مجيء (المولود المبارك) كما عبر عنه أبوه الإمام الرضا عليه السلام، قاطعاً لموجة من التساؤل بل التشكيك عند بعض الشيعة إذ أن الإمام الرضا لم يولد له الجواد إلا في السنوات الأخيرة من عمره، وكان هذا الأمر يبعث على التساؤل انه من سيكون الإمام بعد الرضا؟! وقد حمل الواقفية لواء التشكيك في إمامة الرضا وأنه لم يولد له ولد، ولا تجتمع الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين.. فكانت ولادة الإمام الجواد، ضربة لمحاولات التشكيك تلك.

تولى الإمامة وعمره ثمان سنوات.. وكان طبيعيا أن يثير ذلك التساؤل والاستغراب لدى الكثيرين، إلاّ أن ذلك كان يرفعه الإمام الرضا عليه السلام بقوله للسائلين: إن عيسى ابن مريم قام بالحجة والنبوة وهو طفل، مع أنه صاحب شريعة مستأنفة والإمام الجواد وصي لشريعة قائمة.. وأن الإمامة لو كانت من شؤون البشر في تعيين الإمام لكان الاستغراب في محله، إذ أن

شخصاً في مثل هذا السن لم تتح له فرصة التعلم والتفقه والتدريب، فكيف يكون إماماً؟! لكن لما كانت الإمامة شأنا إلهياً، وعلم الإمام لم يكن بالتعلم المتعارف لا في مقداره ولا في كيفيته. فإن هذا الاستغراب يرتفع من أساسه، وقد جرب الأصحاب المنافسون والأعداء مقدار علمهم إلى جنب علم الإمام الجواد وهو في سن الثامنة من العمر فوجدوا أنفسهم غرقى في بحر علمه الطامي، وحاول العباسيون إحراجه بمسائل صعبة يعدها قاضي القضاة يحيى بن أكثم، فوجد نفسه في حضرة الإمام الجواد تلميذاً صغيراً لا حول له ولا طول.

زوجه المأمون ابنته أم الفضل، ربما لكي يدرأ عن نفسه تهمة قتل الرضا عليه السلام كما يحتمل بعض المؤرخين وبقي في المدينة ينشر العلم والمعارف ا لإلهية..

بعد وفاة المأمون سنة ٢١٨هـ، وكان المأمون يحاول أن يظهر بمظهر من يود أهل البيت ولعب في ذلك دورا معقداً خفي على الكثير من المؤرخين، ومن وراء ذلك المظهر كان يدعم سلطانه ولو جره إلى قتل أئمة أهل البيت.. بعد وفاته ومجيء المعتصم العباسي، وكان هذا لا يخفي كراهيته لأهل البيت وأتباعهم فاستدعى الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد، واتفق مع زوجته أم الفضل بنت المأمون، وكانت تحقد على الإمام الجواد عليه السلام لتفضيله أم الإمام الهادي عليها، لكي تسمه وفعلاً فقد تم للمعتصم ما أراد، وسم الإمام الجواد عليه السلام في عام ٢٢٥ هـ، وتوفي ببغداد ودفن فيها.

١- سمانة المغربية
أم الإمام الهادي عليه السلام

❁ ❁ ❁ ❁

«أمي عارفة بحقي، وهي من أهل الجنة، ما يقربها شيطان مريد، ولا ينالها كيد جبار عنيد، وهي مكلوءة بعين الله التي لا تنام، ولا تتخلف عن أمهات الصديقين والصالحين»

الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام

❁ ❁ ❁ ❁

ثمة ملاحظة تستوقف المتأمل في حياة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وهي علاقة أمهاتهم بهم.

ولمعرفة طبيعة تلك العلاقة، ينبغي أن نلقي بنظرة على العلاقة الحاصلة بين الأمهات وأبنائهم في غير ذلك الصنف المقدس.

فما أن تلد الأم وليدها حتى تحيطه بتيار غامر من العطف والحنان والمحبة، يكبر مع كل يوم يكبر فيه ويزداد مع نموه، ولا تهدأ.. غاية الأمر أنه يتحول، فبينما يكون الغالب عليه هو المحبة مع الشفقة والخوف مع الدفاع عنه وهو صغير، فإن حالة الخوف عليه تتراجع نسبيا كلما كبر ونمى، وأصبح قادرا على الاعتماد على نفسه، ولكن العطف والمحبة، يبقيان ولا تؤثر فيهما

عوامل الزمان الممتد.

هذا العطف والشفقة، وحاسة الدفاع عن الوليد، يتحول في أحيان غير قليلة إلى شعور بالعلو من الوالدين على الولد، بحيث يريان نفسيهما أفهم وأعرف بمصلحته وأخبر بالحياة.. لا سيما وهما لا تزال ترتسم في ذهنيهما صورة الطفل وهو رضيع أو وهو يحبو.. إلى آخر الصور التي رافقت طفولته..

ولهذا وجدنا أن من المصلحين، والشخصيات يحصلون على تقدير وإيمان المجتمع بهم، لكنهم في داخل أسرهم، وبين والديهم قد لا يجدان إلا الصورة القديمة المرتسمة في الذهن، صور الطفل الذي يحتاج إلى الدفاع عنه، وينبغي توجيهه لمصلحته، وإخباره عن مواضع الصواب والخطأ!!

وربما كان هذا سببا في بعض الحالات إلى تنازع بين الوالدين، من جهة وبين الولد الذي أصبح ذا حكمة ومعرفة أو شخصية اجتماعية مميزة، وهو ما يعبر عنه بعض علماء الاجتماع في بعض صوره بصراع الأجيال.

لكننا عندما نأتي إلى أمهات الصديقين من الأنبياء والأوصياء، نجد الأمر مختلفا، فهذه ﴿**مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**﴾[1]., قد ضربت أروع مثل في هذا الجانب.. امرأة يتحدث القرآن عن تجربتها مرارا لكي تكون قدوة لمن يقرأ كتاب الله، ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۞ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۞ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۞ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا ۞ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۞ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ**

(١) التحريم ١٢.

﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[1].

امرأة على خط النار مع المجتمع اليهودي الفاسد، الذي كانت الجريمة فيه منتشرة، والزنا متفشيا، ولكنها في ظل ذلك الوضع، وهي بلا زوج مما يجعلها والحال تلك علكة اللائكين، لكنها قبلت كلام ابنها، وأوصلته إلى مسامع قومها ﴿إِنِّي عَبْدُ الله آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾. وأشارت إليه بالنبوة. هنا يلاحظ المتأمل أن الأم التي هي في الحالات العادية، تفترض نفسها في موقع العلو، والأكثر معرفة بالحياة، وتفترض بالتالي أن يتبعها ابنها لا سيما في تلك الفترة الأولى من حياته. إلا أنها ﴿صَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ ودعت الآخرين إلى التصديق به. وإيمانها به يعني أن تكون تابعة له، ولا تصدر إلا عن أمره. وهو أمر ليس بالسهل حقا.

فإنه إذا كانت (حمامة الحي لا تطرب) كما هو المعروف فما ظنك بحمامة البيت؟

ولقد وجدنا في تاريخ الأنبياء، والأئمة كيف أن قسما من الأقارب لا يؤمنون بالنبي أو لا يسلمون للإمام، لا لشيء إلا لأنه كان معهم صغيرا، وقد لعب كما يلعبون، وعاش طفولته كما عاشوا طفولتهم، فلماذا يكون (نبيا) عليهم؟ ولماذا عليهم أن يتبعوه؟ وهذا الذي أصابهم في المقتل!

نعم لو تجاوزوا هذه العقبة بمعرفة كافية (بحق النبي أو الإمام) فإنهم حينها يكونون من أفضل التابعين لهم ومن أحسن المؤمنين بهم[2].

---

(١) مريم ١٦- ٢١.

(٢) في أصول الكافي: عن العدة عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن سليمان ابن جعفر قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: إن علي بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وامرأته وبنيه من أهل الجنة.. ثم قال: من عرف هذا الأمر من ولد علي وفاطمة لم يكن كالناس.

ومن هنا ندرك أهمية الكلمة التي قالها الإمام علي بن محمد الهادي عاشر أئمة أهل البيت عليهم السلام في حق أمه الفاضلة النجيبة، والتي تبرز جانبا من قداسة عنصرها: «أمي عارفة بحقي وهي من أهل الجنة، ما يقربها شيطان مريد ولا ينالها كيد جبار عنيد وهي مكلوءة بعين الله التي لا تنام ولا تتخلف عن أمهات الصديقين والصالحين»[1]

ولا شك أن للحالة المعنوية العالية التي تتميز بها أم المعصوم عليه السلام، أثرا مهما في هذا الجانب، فنحن نعتقد أن كون امرأة أما لمعصوم يكشف بنحو حتمي عن وجود شيء عظيـم من الخلق والإيمان واستعدادت التكامل في نفس تلك المرأة. ذلك أنه ليس كل واحدة من النساء مؤهلة لتكون ذلك الوعاء الذي سيحتضن قلبا يتنزل عليه الذكر، ويحيط بأسرار الرسالة والإمامة، فإن تأثير الأم في نفس وليدها مما لا يكاد ينكره غير المكابر. وبالرغم من وجود فكرة أن الأمهات مستودعات[2] ولا أثر لهن في تكوين الطفل وإنما الآباء هم المؤثرون، إلا أنه هذه الفكرة ثبت علميا بطلانها فإنهم يذكرون في علم الوراثة أن الصفات التي يرثها الطفل هي مجموع صفات أبيه وأمه، بل (آبائه وأمهاته) وثبت دينيا أيضا بما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من

---

(١) موسوعة الإمام الجواد ١/ ٤١

(٢) قد يقال أن هذا البيت: «وإنما أمهات الناس أوعية مستودعات وللأبناء آباء» قد ورد في الديوان المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام، ولو صح أن هذا البيت هو للإمام عليه السلام فقطعا ليس المعنى المذكور في المتن مرادا له صلوات الله عليه، كيف وهو الذي أثر عنه الكثير من الحديث في أثر الوراثة بل يظهر من ممارسته الشخصية وقصة طلبه من عقيل أن يخطب له امرأة ولدتها الفحول من العرب، مشهورة، بل حتى أثر الإرضاع فهو يقول: لا تسترضعوا الحمقاء فان اللبن يغلب الطباع، وكذا كيف يكون مقصوده ذلك وهو يقرأ القرآن القائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣)، حيث جعل القرآن الناس مخلوقينَ من ثنائي الذكر والأنثى. ويقرأ قوله تعالى: ﴿..بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾.

أحاديث كثيرة تأثير الوراثة وأنه «تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن» بل حتى أن «اللبن ليعدي» ونهى عن استرضاع الحمقاء، ومنع من التزوج بالكافرة. وهكذا كون المعصوم في حجر تلك المرأة فترة طفولته، يقتضي أن تكون في أعلى درجات التهذيب النفسي لكيلا تنتقل الصفات السلبية لو كانت إلى الطفل فترة تلقيه. ولذا نجد أنه بالرغم من تعدد نساء المعصومين عليهم السلام، كانت أم المعصوم ذات حالة استثنائية، وبالرغم من وجود الدواعي الظاهرية لتكون غيرها، إلا أن مشيئة الله تقتضي خلاف ذلك، فهذا المأمون قد زوج الإمام الرضا عليا عليه السلام ابنته، وزوج الإمام الجواد أيضا أم الفضل، وكانت الظروف الظاهرية تقتضي أن ينجب أحدهما من إحداهما إلا أن ذلك لم يحصل. وحصل أن جاء الإمام الهادي عليه السلام ممن كانت عارفة بحقه، وممن هي من أهل الجنة، وذلك أنه لم يكن ليقربها شيطان مريد، لأنها مكلوءة ومحفوظة بعين الله التي لا تنام، وخلاصة الأمر أنها لا تتخلف عن أمهات الصديقين.

إن التاريخ لينقل لنا الكثير من المشاكل التي كانت موجودة عند بعض زوجات المعصومين، من مثال الغيرة والتحاسد، بل أحيانا التشكيك، لكن لم ينقل لنا أن واحدة من هذه الزوجات كانت أما لمعصوم من المعصومين، فقد نقل أن أم الفضل كانت تتآمر على الإمام الجواد غيرة منها على أم الإمام سمانة التي كان النسل الإمامي المعصوم فيها، بينما هي التي يفترض أنها ابنة خليفة (هو المأمون) لم ترزق بشيء سوى سوء العاقبة بتآمرها على زوجها. حتى لقد روي أنها كانت أحد أطراف قضية سم الإمام الجواد عليه السلام كما هو المشهور.

هذه جهة نعتقد أنها تؤثر في تصديق أم المعصوم بما عليه المعصوم من قرب إلهي، وما لديه من ميزات تفرضها عليه مسؤوليته الربانية. وهي جهة الحالة المعنوية العالية التي تتمتع بها، والتي كانت سببا أيضا لتتشرف بكونها وعاء طيبا يحمل خليفة الله في أرضه وحجته على عباده.

والجهة الثانية: ما كانت أمهات المعصومين عليهم السلام، يرينه من ألطاف الإله سبحانه على أزواجهم المعصومين، وما كن يشاهدنه من كراماتهم، فإذا أوصى المعصوم السابق للمعصوم اللاحق وأشار إليه بالإمامة، ونص عليه كن المبادرات إلى التصديق بذلك والإيمان به.

فإن الامتحان الحقيقي للقادة هو في بيوتهم، حيث لا يوجد الرقيب، وهناك يعرف ما إذا كان القائد يتحدث أمام الناس عن القيم والأخلاق الفاضلة، والإيمان العظيم، بينما هو يمارس أضدادها في منزله.. أو أنه منسجم مع دعواته الخارجية بأفعاله الداخلية، ولعل هذا يفسر لنا سر سؤال بعض الناس من عائشة زوجة الرسول ﷺ عن خلقه فقالت: كان خلقه القرآن.

إن الدرس الأعظم الذي ينبغي أن يستوعبه المؤمنون هو أن المعادلة الإلهية في التقديم والتأخير خاضعة لقانون واقعي صارم. خلافا للمعادلات السائدة في الدنيا، فإن من الممكن في الدنيا أن يتقدم بالتزوير والتدليس والقوة من حقه التأخير، ويؤخر من حقه التقديم بالإرهاب والاضطهاد، وهذا التاريخ بين يديك مكتوب والحاضر بين عينيك مشهود يبرهنان لك على صدق هذه المقولة.

لكن ذلك لا يحصل في المعادلة الإلهية، فلا يتقدم شخص في الآخرة إلا وهو مقدم، ولا يأتي أول الخلق رسول الله ﷺليطرق باب الجنة إلا لكونه أول الخلق وأفضلهم إيمانا واستجابة. بل حتى في الدنيا ـ ضمن المعادلة الإلهية ـ لا يمكن أن يكون شخص نبيا إلا وهو مستكمل للخصال اللازم توفرها في الأنبياء، وكذا الحال بالنسبة للأئمة[1].

(١) في بحار الأنوار ٨٢ ص ٥٢: أن رسول الله ﷺ قال: يا فاطمة أما علمت أنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإنه حتم الفناء على جميع خلقه، وأن الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختارني منهم وجعلني نبيا واطلع إلى الأرض اطلاعة ثانية، =

وربما يكون هذا المعنى هو الذي أشار إليه أحد سفراء الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف وهو الحسين بن روح في حق فاطمة الزهراء عليها السلام عندما سئل عن سر تقديمها بحيث كانت أم الأئمة وقد ورد فيها ما ورد مع أن لرسول الله بنات أخريات؟ فقال: لفضل إخلاص عرفه الله في نيتها[(١)].

ولذا فإن كون امرأة جارية أو من المغرب، هو بمنطق المعادلات

= فاختار منها زوجك، فأوحى الله إلى أن أزوجك إياه، وأن أتخذه وليا ووزيرا، وأن أجعله خليفتي في أمتي، فأبوك خير أنبياء الله ورسله، وبعلك خير الأوصياء، وأنت أول من يلحق بي من أهلي: ثم اطلع إلى الأرض إطلاعة ثالثة فاختارك وولدك وأنت سيدة نساء أهل الجنة، وابناك حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبناء بعلك أوصيائي إلى يوم القيامة، كلهم هادون مهديون، والأوصياء بعدي أخي علي ثم حسن وحسين ثم تسعة من ولد الحسين في درجتي وليس في الجنة درجة أقرب إلى الله عز وجل من درجتي، ودرجة أوصيائي، وأبى إبراهيم. أما تعلمين يا بنية أن من كرامة الله عز وجل إياك أن زوجك خير أمتي، وخير أهل بيتي: أقدمهم سلما وأعظمهم حلما وأكثرهم علما، فاستبشرت فاطمة عليها السلام وفرحت بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) مناقب آل أبي طالب ٣ ص ١٠٥: سأل أحدهم الحسين بن روح رضي الله عنه فقال: كم بنات رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: أربع، فقال: أيتهن افضل؟ فقال: يا فاطمة، قال: ولم صارت افضل وكانت أصغرهن سنا واقلهن صحبة لرسول الله؟ قال: لخصلتين خصها الله بهما، أنها ورثت رسول الله ونسل رسول الله منها، ولم يخصها بذلك إلا بفضل إخلاص عرفه من نيتها..

لا يخفى أن الحديث يمكن أن يثير ملاحظات منها أنه يثبت أن باقي البنات هن بنات رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا الحديث مما يعتبر دليلا على تلك الفكرة، إلا أن يناقش بأن الحسين بن روح أجاب السائل تنزلا، لإثبات أصل المطلب من غير نظر إلى إقراره للسائل على فكرته في كون تلكم البنات بنات نسبيات للرسول، كما يثير سؤالا آخر وهو أنه هل كان فضل إخلاص النية هو العامل الوحيد الذي تميزت به الزهراء سلام الله عليها؟ وجوابه أنه لم يفرض أنه العامل الوحيد، ولعل الحسين أجاب السائل على مستوى تعقله دون أن يتعرض إلى كل الجوانب التي ربما كان بعضها أعلى من مستوى إدراكه. والله العالم.

البشرية الخاطئ في أغلبه، عامل من عوامل التأخير، ولكن ضمن المعادلة الإلهية التي تغوص في الأعماق فتقدم مَن ذاتُه طيبة، ومَن معرفته كاملة، وطاعته للحق تامة. وحينئذ تكون سمانة في منطق المعادلة الإلهية أما للمعصوم، وهي من أهل الجنة، وهي في ظل الحراسة الإلهية وفي حصن الخالق بعيدة عن مكائد الشياطين ووساوسهم.

٢- زينب بنت الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام

بانية المشهد في قم.

❁ ❁ ❁ ❁

جرت سيرة العقلاء في تاريخ البشر على تخليد عظمائهم، وكبارهم.. لما يحمل ذلك التعظيم من دعوة الأخلاف واللاحقين، إلى تمثل سيرة أسلافهم والاقتداء بمناهجهم.

إن تعظيم أهل الخير والدين رسالة مستمرة لمن يأتي من بعدهم إلى أن من يريد الخلود والبقاء في ذاكرة التاريخ، وفي وعي الناس عليه أن يسلك طريق الله ويستمسك بعروته الوثقى.

بل وجدنا في تشريعات الأديان، ما يؤدي إلى هذا التعظيم، ويؤكد عليه ويعطيه بعدا دينيا مقدسا، فترى في دين الإسلام: استحباب التسمية بأسماء النبي المصطفى صلى الله عليه وآله، والهداة الطيبين[1]، وتأكد استحباب الصلاة على

(١) منها: ما عن أبي جعفر عليه السلام، قال لابن صغير: ما اسمك؟ قال: محمد. قال: بم تكنى؟ قال: بعلي. فقال أبو جعفر عليه السلام: لقد احتظرت من الشيطان احتظاراً شديداً، إن الشيطان إذا سمع مناديا ينادي «يا محمد» أو «يا علي» ذاب كما يذوب الرصاص، حتى إذا سمع مناديا ينادي باسم عدو من أعدائنا اهتز واختال.

ومنها ما عن سليمان الجعفري قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: لا يدخل الفقر بيتا فيه اسم محمد أو أحمد أو علي أو الحسن أو الحسين أو جعفر أو طالب أو عبد الله أو =

محمد وآله الطاهرين.. هذا إضافة إلى لزوم الاتباع والاقتداء بهم.

ولا يختلف الحال في هذه المسألة بين كونهم على قيد الحياة، أو أنهم في رحاب الله تعالى، بعدما كانوا أفضل من الشهداء الذين هم ﴿**أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[1] بل كانت مواضع دفنهم أماكن تستمطر فيها رحمة الله وبركاته، ويرجى فيها خيره لمن دعاه، فإن الله سبحانه وإن كان كما وصف نفسه ﴿**قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾[2]. وتستوي المسافات بالنسبة إليه قريبها وبعيدها.. إلا أنه سبحانه جعل بعض الأزمنة كليلة القدر ويوم الجمعة وشهر رمضان وسواها، وبعض البلاد كمكة والمدينة وكربلاء، وبعض الأماكن كالمسجد الحرام، ومسجد النبي، وقبور الأنبياء والأئمة، جعل في كل تلك خصائص تجعل الدعاء أقرب للاستجابة من سائر الأماكن.

وقد فهم المسلمون في أدوار تاريخهم المختلفة هذه الحقيقة فكان قبر النبي صلى الله عليه وآله والمعصومين من آله، والأولياء، أماكن يقصدها من يريد استلهام روح الفضيلة ممن لم يعاصر صاحب القبر.. وحرصوا على عمارتها معنى ومبنى، فكانوا يذهبون إليها، ويجددون بناءها[3].

= فاطمة من النساء.

وما عن ابن القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: ولد لي غلام، فماذا أسميه؟ قال: بأحب الأسماء إلي: حمزة.

(١) آل عمران: ١٧٠.

(٢) البقرة: ١٨٦.

(٣) ذكر غير واحد من فقهاء الجمهور أن الوقف على عمارة قبور الأنبياء والعلماء والصالحين جائز وصحيح. راجع إعانة الطالبين ٣ / ١٩٥، وفتح المعين ٣.. وأما روايات أهل البيت عليهم السلام فكثيرة في هذا الباب منها ما ذكره في الوسائل ج ١٤ ص ٣٨٣: أن النبي صلى الله عليه وآله قال لأمير المؤمنين عليه السلام: والله لتقتلن بأرض العراق وتدفن بها، قلت: يا رسول الله ما لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدها؟ قال لي: يا أبا الحسن إن الله =

نعم خرج على هذه السيرة العامة للمسلمين، فئة ممن اعتبروا أنفسهم أصحاب توحيد الله بينما اعتبروا باقي المسلمين السابقين واللاحقين متمرغين في الشرك، وخائضين في أوحاله.. فاعتبروا البناء على القبور شركا[1]، والصلاة قربها إثما، مع أنهم يلاحظون قبر النبي ﷺ منذ أن دفن

= جعل قبرك وقبور ولدك بقاعا من بقاع الجنة وعرصة من عرصاتها، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن إليكم، وتحتمل المذلة والأذى فيكم فيعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتها تقربا منهم إلى الله، ومودة منهم لرسوله، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي، والواردون حوضي، وهم زواري غدا في الجنة، يا علي من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس... إلى آخر الحديث.

(١) بعد كتابة هذه الأسطر رأيت كلاما مفيدا للمحقق السيد مرتضى العسكري دامت بركاته، يرتبط بهذا الموضوع، وكنت بين الإقدام والإحجام في نقله بكامله، مع أنه مختصر من معالم المدرستين، ورأيت أخيرا أن نقله ـ وإن طال ـ مناسب، فهلم معي لقراءته، قال حفظه الله: الخلاف حول البناء على قبور الأنبياء عليهم السلام واتخاذها محلاً للعبادة: استدل قسم من المسلمين على تحريم البناء على القبور بروايات أهمها ما يأتي:

١ ـ عن علي قال: كان رسول الله ﷺ في جنازة، فقال:أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثناً إلا كسره، ولا قبراً إلا سواه، ولا صورة إلا لطخها؟ فقال (رجل):أنا يا رسول الله، فانطلق فهاب أهل المدينة، فرجع. فقال علي:أنا أنطلق يا رسول الله. قال:فانطلق. فانطلق، ثم رجع، فقال:يا رسول الله، لم أدع بها وثناً إلا كسرته، ولا قبراً إلا سويته، ولا صورة إلا لطختها.

وقد تكرر ورود هذا الحديث في كتب الحديث واكتفينا بإيراد أتم لفظ منه.

علة الحديث:

أولاً: سنذكر في ما يأتي أن رسول الله ﷺ زار قبر أمه، وبكى وأبكى من حوله. وكانت أمه قد توفيت في السنة السادسة من عمره الشريف بالمدينة المنورة، وعلى هذا فقد زار الرسول قبر أمه بعد نيف وأربعين سنة، حين هاجر إلى المدينة المنورة، وأن أثر قبر أمه عند ذاك كان ماثلاً للعيان، وإلا لما عرف قبرها. وإذا كان الحكم الإسلامي هو تسوية القبور فلم لم يأمر النبي ﷺ بهدم قبر أمه عند ذاك؟

ثانياً: إن أهل المدينة بعد أن أسلم بعضهم أرسل لهم الرسول ﷺ بادئ ذي بدء مصعب بن عمير، يعلم من أسلم منهم ما ورد من الإسلام يوم ذاك. ولما وفدوا إلى =

= الحج، حضر المسلمون منهم العقبة وبايعوا رسول الله ﷺ سراً، ولم ينتشر الإسلام بينهم، إلى أن هاجر الرسول ﷺ إليهم، وتبعه الإمام علي عليه السلام بعد ثلاث أو أكثر وقصة وروده المدينة بعد ذلك مشهورة.

وتدرج الرسول ﷺ في بسط حكمه على المدينة بعد أن عاهد يهود قريظة وبني النضير وبني قينقاع، ودخل أهل المدينة كلهم في الإسلام متدرجاً. فمتى كان إرسال النبي ﷺ الإمام علياً عليه السلام من تشييع جنازة إلى المدينة ليهدم الأصنام ويسوي القبور ويلطخ الصور، كالحاكم الذي لا راد لأمره؟ أضف إليه أن محتوى الخبر أن المرسل الأول ذهب، وهم في تشييع الجنازة، ورجع خائباً، ثم أرسل النبي ﷺ الإمام علياً عليه السلام بعده وهم لا يزالون في تشييع الجنازة. فكيف يتم ذلك**!**؟

ثالثاً: وفي بقية الحديث أن الإمام علياً عليه السلام قال لأبي الهياج الأسدي: أبعثك فيما بعثني رسول الله ﷺ أمرني أن أسوي كل قبر وأطمس كل صنم.

ولا يكون إرسال الإمام أبا الهياج الأسدي في أمر إلا في عصر خلافته، وعليه يتجه هذا السؤال: متى كان إرسال الإمام أبا الهياج الأسدي؟ أفي عصر خلافته وبعد الفتوحات الإسلامية وبعد زمن الخلفاء الثلاثة أم قبله؟ وإلى أي بلد بعث الإمام علي أبا الهياج لتهديم القبور وطمس الأصنام؟

وأخيراً في كلا الخبرين أمر من الرسول ﷺ والإمام علي عليه السلام ـ إن صح الخبران ـ بتهديم قبور المشركين في بلد الشرك، فكيف يدل ذلك على انتشار هذا الحكم إلى قبور المسلمين ووجوب تهديمها؟

ب ـ رووا عن النبي ﷺ أنه قال: اللهم لا تجعل قبري وثناً، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

وفي الرواية الثانية شخص الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال:قاتل الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

علة الحديث:

إن بني إسرائيل بعد أن ساروا من مصر وعبروا البحر وجازوا التيه. وبلغوا فلسطين، أصبح لهم بيت عبادة وهو (بيت المقدس) ولم يكن لهم بيت عبادة غيره. وفي عصر سليمان أصبح لسليمان الملك النبي بلاط يسمى هيكل سليمان. فأين كانت قبور أنبيائهم التي اتخذوها مساجد؟ وكان بيت المقدس وبلده تحت أنظار المسلمين والعرب قبل عصر رسول الله ﷺ، وأما ما بقي من قبور أنبيائهم مثل قبر الخليل وموسى بن عمران، فإنا لم نر ولم نسمع ولم يكتب أحد أن اليهود اتخذوهما وثناً. وعلى فرض أن قبراً اتخذ وثناً، فإنه لا يصدق على احترام القبر وزيارة القبر، فإن اتخاذه وثناً يعني أن =

= يستقبل القبر كما تستقبل الكعبة في الصلوات. فأين هذا من ذاك؟
ليس مورد الشك في كل ما ذكرناه، وما سنذكره بعد هذا، أحاديث رسول الله ﷺ ـ معاذ الله ـ وإنما البحث يجري حول رواة الأحاديث الذين لم يعصمهم الله من الخطأ والسهو والنسيان. كان ما ذكرناه أمثلة من أدلة من رأي البناء على القبور مخالفاً للشريعة الإسلامية. وفي ما يأتي أدلة من رأى ذلك موافقاً لها.
أدلة من رأى جواز اتخاذ مقابر الأنبياء محلاً للعبادة:
يستدل من يرى صحة اتخاذ مقابر الأنبياء محلاً للعبادة بأن الطائفين حول الكعبة يطوفون حول حجر إسماعيل عليه السلام ويتمسحون بجداره، وفيه قبر إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر، كما أجمع عليه علماء الأمة الإسلامية:
فقد ورد في سيرة ابن هشام (ت: ٢١٨هـ) وتاريخ الطبري (ت: ٣١٠هـ) وابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) وابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) واللفظ لابن هشام: ودفن ـ إسماعيل ـ في الحجر مع أمه هاجر. وفي لفظ ابن الأثير: وأوصى إسماعيل أن يدفن عند قبر أمه في الحجر.
كان هذا ما ورد في كتب مدرسة الخلفاء، وورد في كتب حديث مدرسة أهل البيت كالآتي:
ورد في الكافي للكليني: (ت: ٣٢٩هـ) وكتاب من لا يحضره الفقيه وعلل الشرائع للصدوق (ت: ٣٨١هـ) والوافي للفيض (ت: ١٠٨٩هـ) والبحار للمجلسي (ت: ١١١١هـ) واللفظ للأول: وفيه ـ أي في الحجر ـ قبر هاجر وقبر إسماعيل.
وفيها أيضاً: وفيه ـ أي في الحجر ـ قبور أنبياء.
ويستدلون على صحة البناء على القبر، إضافة إلى ما سبق، بأن قبور رسول الله ﷺ والخليفتين أبي بكر وعمر في بناء مسقف منذ أن توفوا إلى يومنا الحاضر.
ويستدلون أيضاً بقوله تعالى:
﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ البقرة/ ١٢٥. وقوله تعالى في ما أخبر عن قصة أصحاب الكهف: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ الكهف/ ٢١.
إن الوهابيين يسمون المسلمين الذين يزورون قبور الأنبياء والصحابة والأئمة بالقبوريين. ومن الأحرى، مع ما ذكرنا، أن يسموا خاتم الأنبياء ﷺ وأصحابه والأنبياء من قبلهم الذين طافوا حول حجر إسماعيل عليه السلام بالقبوريين، لما في حجر إسماعيل من قبر هاجر وإسماعيل عليه السلام وولده وكذلك أنبياء من قبلهم!!
هكذا كان اختلاف الأحاديث في بناء القبور، أو بالأحرى اختلاف فهم الأحاديث، منشأ هذا الخلاف.. انتهى كلام المحقق العسكري.

صلوات الله عليه فيه، مثابة للمذنبين، وموئلا للطالبين لرحمة الله، ولم يزل يوما بعد يوم يزداد عمرانه تحت سمع ونظر العلماء والفقهاء من الطوائف الإسلامية والمذاهب المتعددة.

واشتهر أتباع أهل البيت عليهم السلام بحرصهم على عمارة قبور أولياء الله والأئمة الهادين في كل عصر ومصر. ورأوا من فوائدها ومنافعها عيانا ووجدانا ما صدّق الأخبار الواردة في هذا الشأن، من بركات تلك البقاع المستمرة، حيث أصبحت معالم للهدى، ومنائر للعلم والتقى، وهذه حوزاتهم العلمية التي حفت بقبور أهل البيت واستدارت عليها كما يستدير الشعاع على مصدر النور. وتلك مدنهم الدينية التي جاورت تلك القبور، فإذا بتلك القبور (الميتة) تعطي الحياة، وإذا بتلك المواضع (المندرسة) تنتج الحضارة والعمران.

وليس هذا شيئا حادثا، بل وجدناه من قديم الأيام، فهذه السيدة زينب[1] بنت الإمام الجواد عليه السلام، تلتفت إلى هذا المعنى، فتقوم ببناء قبة على قبر عمة أبيها السيدة فاطمة بنت موسى بن جعفر (المعروفة بالسيدة المعصومة) في بلدة قم. بعد أن كانت عليه سقيفة..

وكانت تلك السقيفة قد أنشأها موسى بن خزرج بن سعد الأشعري وهو من زعماء قم في تلك الفترة، فإن فاطمة بنت الإمام الكاظم عليه السلام لما وصلت إلى بلدة ساوة دنت منها الوفاة[2]، سألت عما بقي بينها وبين بلدة قم، وأمرت بأن يعجل في الذهاب إليها، فلما وصلت إلى قم لم تلبث إلا يسيرا حتى توفيت، ودفنت هناك، وجعل على قبرها سقيفة[3]، وبقي الحال

---

(١) ذكر أن الإمام الجواد عليه السلام كان له من البنات: خديجة وحكيمة وأم كلثوم، (في أكثر المصادر أم كلثوم وفي بعضها زينب) ولعل اسمها زينب وكنيتها أم كلثوم.

(٢) أشرنا في ترجمة حياتها إلى بعض ما يرتبط بهذا الجانب.

(٣) نفترض أن ذلك لأجل مجيء بعض الزوار أثناء النهار، ووجود السقيفة وهي أشبه بالمجلس المسقوف بالسعف، يسهل أمر الزيارة، ويمنع حرارة الشمس والمطر.

هكذا إلى أن قامت زينب ببناء قبة عليها.

ومعنى بناء القبة أنه لا بد أن يكون قد تم تجديد البناء بشكل كامل، فإن نظام بناء القبب، يختلف عن السقائف، ولذا لا بد أن يؤسس من جديد.

إن قيام السيدة زينب بنت الإمام الجواد عليه السلام ببناء قبر السيدة المعصومة، وتشييده وإنشاء قبة عليه، فيه دلالات كثيرة.

ـ منها ما يرتبط بنفس العمل وهو تشييد قبر ولي من أولياء الله، وما يمثله ذلك من اهتمام وعناية بهؤلاء.

ـ ومنها ما يرتبط بالفوائد المتوخاة والمترقبة من عمارة هذه المشاهد، وقد رأينا كيف كانت تلك المشاهد تصنع المدن حولها، وتصبغها بطابع الإيمان والعلم ولنا في النجف وكربلاء وخراسان وقم، وغيرها أمثلة واضحة.

ـ ومنها ما يرتبط بالعامل وهو السيدة زينب، فإن هذه المرأة الصالحة لم تتخذ موقفا سلبيا من العمل الصالح، مع أنه بحسب رأي البعض، يرتبط بالرجال أكثر من ارتباطه بالنساء.. لكنها رأت أنها أولى بعمل الخير من الغير. وفي هذا درس للنساء أن لا يرين الرجال أولى بفعل الخير منهن، فإذا كان زعيم البلد موسى بن خزرج قد اكتفى بسقيفة (وجزاه الله خيرا) فإن زينب هذه قد تجاوزت الأمر إلى أن بنت عليها قبة ومشهدا..

الطريف في الأمر، وكأن الله سبحانه يريد أن يعلم الناس أن فعل الخير يعود إلى صاحبه قبل كل أحد.. الطريف أن زينب بنت الإمام الجواد عليه السلام هي نفسها عندما توفيت دفنت في نفس هذا المكان[1] الذي عمرته لعمة أبيها!!

(١) موسوعة الإمام الجواد عليه السلام، السيد الحسيني القزويني، ج ١ ص ٥١



٣- فاطمة بنت الإمام الرضا عليه السلام

ذهب بعض الكتاب إلى أن الإمام الرضا عليه السلام لم يخلف سوى ابنه محمد الجواد عليهما السلام، وقد تأيد لرأيه بما (ذكره الشيخ المفيد في الإرشاد، وابن شهرآشوب في المناقب، والطبرسي في إعلام الورى، والطبري في الدلائل وغيرهم، وهو أن الرضا عليه السلام مضى ولم يترك ولدا إلا ابنه الإمام بعده أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام[1].

إلا أن الصواب هو القول المقابل لهذا، وهو أنه خلف عددا من الأولاد ـ تختلف الأقوال في عددهم ـ من بينهم ابنته فاطمة[2]. فقد نقل صاحب موسوعة الإمام الجواد عليه السلام نصوصا متعددة تشير بنحو لا يقبل الشك أن أولاد الإمام الرضا عليه السلام وإخوة الجواد كانوا متعددين وأن من بينهم بنتا، اختلف المؤرخون في اسمها، فتارة هم يذكرون ـ وهو الأكثر ـ أن اسمها فاطمة، وأخرى يتحدثون عن حكيمة، وثالثة يذكرون عائشة.

ونحن إذا استبعدنا الاسم الثالث لقرائن متعددة، منها أنه لم يكن اسما شائعا بل ولا نادرا بين بنات الأئمة، وربما يكون ذلك لأجل الإيحاءات الخاصة لصاحبة الاسم، أو لجهة أننا لا نجد أي خبر أو أثر عن صاحبة هذا

(١) الشاكري الحاج حسين: في الإمام علي بن موسى الرضا ص٢٤

(٢) هذا لا يتنافى مع ما سبق ذكره في ترجمة الإمام الجواد فإن تأخر ولادة الإمام ـ كولد تكون فيه الإمامة ـ لا يلازم عدم وجود بنات للإمام الرضا قبله.

الاسم في حياة الإمام الرضا عليه السلام.

يبقى الأمر دائرا بين الاسمين الآخرين، هذا بناء على وجود بنت واحدة، وأما بناء على وجود بنتين كما هو ليس بالبعيد، فلا مشكلة. وقد يقال بأن الشخصية واحدة ولكن الاسم متعدد، وهذا احتمال جيد لولا أن الروايات التي تنقل عن فاطمة تختلف عن ما نقل عن حكيمة. والظاهر أن اسم حكيمة إما هو مصحف فاطمة بنت الرضا، أو خلط بينها وبين حكيمة بنت محمد بن علي (الرضا)، فإن ما يوجد عن حكيمة هو رواية واحدة نقلها القطب الراوندي في كتابه الخرائج والجرائح، مرسلة عن محمد بن إبراهيم الجعفري، تحكي عن معجزة من معاجز الإمام الجواد عليه السلام، ثم نقلها عنه من تأخر عنه.. ومع تمامية الرواية يحتمل قويا أن تكون عن حكيمة بنت الجواد عليه السلام.

ويبقى اسم فاطمة وهو الذي نعتقده، بناء على أنه كان للرضا عليه السلام بنت واحدة، تزوجها محمد بن جعفر بن القاسم الجعفري ـ نسبة إلى جعفر بن أبي طالب ـ وهو ابن أخ داود بن القاسم المعروف بأبي هاشم الجعفري، من أصحاب الرضا والجواد والهادي والعسكري عليهم السلام. وقد روي عن فاطمة روايات متعددة وبأسانيد مختلفة، في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وبعض فضائله.. ولكن لنتعرض قليلا لما ذكره بعض المؤرخين وأرباب السير حول أولاد الإمام كما نقل ذلك السيد الحسيني القزويني، فقد نقل عن:

ـ الأربلي رحمه الله: قال محمد بن طلحة: وأما أولاده [أي الرضا عليه السلام] فكانوا ستة: خمسة ذكور، وبنت واحدة. وأسماء أولاده: محمد القانع عليه السلام، الحسن، جعفر، إبراهيم، الحسين، عائشة.

وقال عبد العزيز بن الأخضر: له من الولد: خمسة رجال، وابنة واحدة، هم: محمد الأمام عليه السلام، وأبو محمد الحسن، وجعفر، وإبراهيم، والحسين، وعائشة.

وقال ابن الخشاب: ولد له خمس بنين وابنة واحدة، أسماء بنيه: محمد الأمام أبو جعفر الثاني عليه السلام، أبو محمد الحسن، وجعفر، وإبراهيم، والحسن، وعائشة فقط.

ـ الشيخ الصدوق رحمه الله:... أبو الحسن بكر بن محمد بن إبراهيم بن زياد بن موسى بن مالك الأشج العصري، قال: حدثتنا فاطمة بنت علي بن موسى عليهما السلام، قالت: سمعت أبي عليا يحدث عن أبيه.... والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

ـ العلامة المجلسي رحمه الله: كتاب المسلسلات:... عن بكر بن أحنف قال: حدثتنا فاطمة بنت علي بن موسى الرضا عليهما السلام قالت: حدثتني فاطمة، وزينب، وأم كلثوم بنات موسى بن جعفر عليهما السلام:... والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

ـ ابن الصباغ: قال ابن الخشاب في كتابه مواليد أهل البيت عليهم السلام: ولد للرضا عليه السلام: خمس بنين وابنة واحدة، أسماء أولاده: محمد القانع، والحسن، وجعفر، وإبراهيم، والحسين، والبنت: عائشة رضوان الله عليهم أجمعين

ـ فخر الرازي: أبو الحسن علي الرضا عليه السلام وله من الأبناء: خمسة وبنت واحدة. أما البنون: فأبو جعفر محمد التقي الأمام عليه السلام، والحسن، وعلي، قبره بمرو، والحسين وموسى. والبنت هي: فاطمة عليها السلام

ـ القندوزي الحنفي: أولاده [أي الرضا عليه السلام] خمسة وبنت واحدة، أجلهم وأكملهم محمد التقي الجواد عليه السلام. وولده [أي الرضا عليه السلام]: محمد الجواد عليه السلام، وموسى[١].

ثم لا يخفى أن المصدر المذكور قد ذكر أيضا عددا من النصوص فيها

(١) القزويني، السيد الحسيني، موسوعة الإمام الجواد، ج ١ ص ٥٢:

أنه لم يخلف سوى محمد الجواد عليه السلام وهي بملاحظة هذه النصوص الأخرى المثبتة لا يمكن أن يؤخذ بها، إضافة إلى آثار هؤلاء الأبناء الوجودية وهي روايتهم عن آبائهم، ورواية الرواة عنهم..

فمن ذلك روايتها لحديث الغدير والمنزلة، وهو ما نقله في خلاصة عبقات الأنوار من: رواية محمد بن عبد الله ابن المحب المقدسي.. قال ابن الجزري: " وألطف طريق وقع لهذا الحديث وأغربه: ما حدثنا به شيخنا خاتمة الحفاظ، أبو بكر محمد بن عبد الله بن المحب المقدسي مشافهة، أخبرتنا الشيخة أم محمد زينب ابنة أحمد بن عبد الرحيم المقدسية... حدثتنا فاطمة بنت علي بن موسى الرضا، حدثتني فاطمة وزينب وأم كلثوم بنات موسى بن جعفر، قلن: حدثتنا فاطمة بنت جعفر بن محمد الصادق، حدثتني فاطمة بنت محمد بن علي، حدثتني فاطمة بنت علي بن الحسين، حدثتني فاطمة وسكينة ابنتا الحسين بن علي، عن أم كلثوم بنت فاطمة بنت النبي عليه السلام، عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها. قالت: أنسيتم قول رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم من كنت مولاه فعلي مولاه، وقوله صلى الله عليه وآله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام؟

هكذا أخرجه الحافظ الكبير أبو موسى المديني في كتابه المسلسل بالأسماء وقال: هذا الحديث مسلسل من وجه، وهو أن كل واحدة من الفواطم تروي عن عمة لها، فهو رواية خمس بنات أخ كل واحدة منهن عن عمتها[1].

ومنه ما نقله في البحار[2] عن كتاب المسلسلات، في فضائل شيعة أمير المؤمنين عليه السلام: - كتاب المسلسلات: حدثنا محمد بن علي بن الحسين قال: حدثني أحمد بن زياد بن جعفر قال: حدثني أبو القاسم جعفر بن محمد العلوي العريضي قال: قال أبو عبد الله أحمد بن محمد بن خليل: قال: أخبرني علي بن

(١) النقوي، السيد حامد، ج ٧ ص ١٨٨

(٢) العلامة المجلسي في البحار ج ٥٦ ص ٧٦ عن عيون أخبار الرضا.

محمد بن جعفر الأهوازي قال: حدثني بكر بن أحنف قال: حدثتنا فاطمة بنت علي بن موسى الرضا عليه السلام قالت: حدثتني فاطمة وزينب وأم كلثوم بنات موسى بن جعفر عليهما السلام قلن حدثتنا فاطمة بنت جعفر بن محمد عليهما السلام قالت: حدثتني فاطمة بنت محمد بن علي عليهما السلام قالت: حدثتني فاطمة بنت علي بن الحسين عليهما السلام قالت: حدثتني فاطمة وسكينة ابنتا الحسين بن علي عليهما السلام عن أم كلثوم بنت علي عليه السلام عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لما اسري بي إلى السماء دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من درة بيضاء مجوفة، وعليها باب مكلل بالدر والياقوت، وعلى الباب ستر فرفعت رأسي فإذا مكتوب على الباب « لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي القوم » وإذا مكتوب على الستر بخ بخ من مثل شيعة علي؟ فدخلته فإذا أنا بقصر من عقيق أحمر مجوف، وعليه باب من فضة مكلل بالزبرجد الأخضر، وإذا على الباب ستر، فرفعت رأسي فإذا مكتوب على الباب « محمد رسول الله علي وصي المصطفى » وإذا على الستر مكتوب: « بشِّر شيعة علي بطيب المولد ».

كما أنه روى عنها في العيون أخبارا في الفضائل الأخلاقية: منها ما جاء في السيطرة على الغضب، وآثار حسن الخلق، وعدم جواز ترويع المسلم:

فعن الصدوق عن محمد بن أحمد بن الحسين، عن علي بن محمد بن عنبسة، عن بكر بن أحمد بن محمد، عن فاطمة بنت الرضا، عن أبيها، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه وعمه زيد، عن أبيهما علي بن الحسين، عن أبيه وعمه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن حسن خلقه بلغه الله درجة الصائم القائم[1].

وفي حديث آخر نقله في العيون أيضاً قال: حدثنا محمد بن أحمد بن يوسف البغدادي، قال: حدثنا علي بن محمد عيينة قال: حدثني أبو الحسن بكر بن أحمد محمد بن إبراهيم بن زياد بن موسى بن مالك الأشج العصري، قال:

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٨٦ ص ٣٨٨

حدثتنا فاطمة بنت علي بن موسى الرضا عليهما السلام، قالت: سمعت أبي عليا يحدث، عن أبيه، عن جعفر محمد، عن أبيه وعمه زيد، عن أبيهما علي بن الحسين عن أبيه وعمه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال لا يحل لمسلم أن يروع مسلما[١].

ويعلق صاحب كتاب (ألف حديث في المؤمن) على الحديث قائلا: السند من حيث اشتماله على فاطمة بنت علي بن موسى الرضا عليه وعلى آبائه آلاف التحية والثناء، مهم ويظهر منه حضور النساء في (المجاميع العلمية) في ذاك الزمان وفى هذا المجال راجع الرسالة التي كتبتها في سالف الزمان تحت عنوان (النساء في أصول كتبنا الرجالية) لإثبات هذا الموضوع.

نخلص من هذا إلى عدة نقاط:

الأولى: أن ما ذكره بعض المؤرخين ومنهم أعيان من الطائفة، كالشيخ المفيد رضوان الله عليه من أن الإمام الرضا لم يخلف سوى الجواد عليه السلام، لا يساعد عليه الدليل. والصحيح أنه خلف أولادا متعددين، ومنهم بنت هي فاطمة والتي تم الحديث عنها في هذه الأسطر.

الثانية: أن ما ذكره البعض من أسماء أخرى (كعائشة وحكيمة) وأنهن بنات للرضا عليه السلام لم نجد له دليلا واضحا.

الثالثة: أن فاطمة بنت الإمام عليه السلام كانت راوية سواء في أصول العقائد كالإمامة أو في الفضائل الأخلاقية، وكانت بعض رواياتها تتميز من حيث السند كما هو في المسلسلات، وقد تقدمت، وأنها كانت تحدث وتنشر ذلك، وتحضر المجامع العلمية، وتروي للرجال أيضا أو يسمعون منها.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج ١ ص ٧٥

٤- سبيكة أم الإمام الجواد عليه السلام

«... خيرة الإماء النوبية الطيبة الفم المنتجبة الرحم».

❁ ❁ ❁ ❁

قد لا نستطيع أن نفهم بدقة ـ ونحن في هذا العصر ـ الحالة التي كانت سائدة في العصور الإسلامية الأولى، في القرنين الأول والثاني، وذلك أن الدعوات العنصرية، والتفضيلية لشعب على آخر، ولجنس على جنس ثان قد أصبحت من القبح ما يتبرأ معه أكثر الناس منها، حتى من يمارسها فعلا، يستحي من إظهارها قولا. وذلك لتأثير دعوات الأنبياء من جهة، ولوصول البشر إلى مقدار من التعقل عرف معه أن تفضيل جنس على آخر، لا أساس له ولا يمكن الدفاع عنه أو تبريره!

ولهذا نقول إنه لا يمكننا أن نفهم بدقةٍ تلك الحالة الموجودة في مجتمع المسلمين حيث يفترض أن من أصول الدين الإيمان بتساوي البشر أمام الله في التكليف والمسؤولية، وتعادلهم من حيث الخلقة الإنسانية، وأنه جعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا، ووضع بينهم موازين في التفاضل هي التقوى[١] والعلم[٢]

(١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣)

(٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي المَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة:١١).

والعمل الصالح[1].

وقد يمكن أن يتصور حالات التميز والشعور بالأفضلية، بين المسلمين الأوائل حيث كانوا في بداية عهدهم بالإسلام، ولم يتخلصوا ـ بعد ـ من الآثار الجاهلية في الفكر والأخلاق، وربما كان يغتفر ذلك، فإن تغيير النفوس، والعادات، وإعادة صقل الشخصية، ليس أمراً هينا، ولا يتم بسرعة..

ولكن الأمر غير المفهوم هو وجود تلك الحالات بقوة، وتركزها بعمق، في الفترات المتأخرة من حياة المسلمين أي بعد مرور قرنين من الزمان، حيث يفترض أنه قد تبدلت الأجيال المتأثرة بالحالة الجاهلية السابقة، وجاءت أجيال جديدة، نشأت في ظل الثقافة الإسلامية، وضمن إطار الدول المسلمة، كيف بدأت تمارس مفردات التمييز العنصري، والعرقي بأسوأ حالاته!! ولم يكن ذلك محصورا فيمن يطلق عليهم العامة، بل كان موجودا في العلماء (!!)، والطبقة التي يفترض أنها طليعة المجتمع الإسلامي معرفة، ووعيا!

ولنأخذ نزرا مما نقله التاريخ كشاهد على تلك الحالة:

فقد ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد بعض حالات التمييز بين العرب والموالي، فقال:

قدَّم نافعُ بن جُبير بن مطْعِم[2] رجلاً من أهل الموالي يُصلِّي به فقالوا له

(١) ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧)

(٢) ترجمه الزركلي في الأعلام فقال: نافع بن جبير بن عدى بن نوفل (.. - ٩٩هـ=.. - ٧١٧ م)، من قريش: من كبار الرواة للحديث. تابعي. ثقة. من أهل المدينة. كان فصيحا، عظيم النخوة، جهير المنطق، يفخم كلامه، وفيه تيه. وكان ممن يؤخذ عنه ويفتى بفتواه.

في ذلك فقال: إنّما أردتُ أن أتواضع لله بالصَّلاة خلفَه[1]!.

وكان نافعُ بن جُبير هذا إذا مَرَّت به جِنازة قال: من هذا فإذا قالوا: قُرشي قال: واقَوْماه! وإذا قالوا: عربيّ قال: وابلدَتاه! وإذا قالوا: مَوْلى قال: هو مالُ الله يَأخذ ما شاء ويَدَع ما شاء!

قال: وكانوا يَقُولون: لا يَقْطع الصلاةَ إلا ثلاثة: حِمار أو كَلب أو مَوْلى.

وكانوا لا يَكْنُونهم بالكُنَى ولا يَدْعُونهم إلا بالأسماء والألْقاب ولا يَمْشون في الصَّف معهم ولا يُقَدِّمونهم في المَوْكب وإن حَضَروا طَعاماً قاموا على رؤوسهم وإن أطْعموا المولَى لسنّه وفَضله وعِلْمه أَجْلسوه في طَرَف الخِوَان لئلا يَخفى على الناظر أنه ليس من العَرب ولا يدعونهم يُصلّون على الجَنائز إذا حَضر أحد من العرب وإن كان الذي يَحْضر غَرِيراً.

وكان الخاطب لا يَخطب المرأَةَ منهم إلى أَبيها ولا إلى أخيها وإنما يَخْطبها إلى مَواليها فإن رَضيَ زُوِّج وإلا رُدَّ فإنْ زَوّج الأب والأخ بغير رَأي مَواليه فُسخ النّكاح وإن كان قد دَخل بها وكان سِفاحاً غيرَ نِكاح.

وقال زِياد: دعا مُعاوِية الأَحْنف بن قَيْس وسَمُرة بن جُنْدب فقال: إنِّي رأيتُ هذه الحَمْراء قد كَثُرت وأَراها قد طعنت على السَّلف وكأني أنظر إلى وَثْبة منهم على العَرب والسُّلطان فقد رأيتُ أن أقتل شَطْراً وأدع شَطْراً لإقامة السُّوق وعِمَارة الطريق فما تَرَوْن فقال الأحنف: أَرى أنَّ نَفْسي لا تَطِيب يُقْتل أَخِي لأمي وخالي وَمَوْلاي! وقد شارَكْناهم وشاركونا في النّسب فظننتُ أنِّي قد قُتلتُ عنهم وأطرق.

---

(١) في التعديل والجرح ذكر أنه قدم رجلا شيخا من بني عبد الدار فلما فرغ من الصلاة قال: أتدري لم قدمتك؟ قال: لشرفي وسني!! قال: لا ولكني أردت أن أتواضع لله بك!!

فقال سَمُرة بن جُنْدب: أجعلها إلي أيها الأمير فأنا أتولّى ذلك منهم وأبْلُغ إلى ما تريد منه.

فقال: قوموا حتى أنْظر في هذا الأمر.

قال الأحْنف: فَقُمْنا عنه وأنا خائفٌ وأتيت أهْلي حَزِيناً.

فلما كان بالغَداة أرسل إليَّ فعلمتُ أنه أخذ برَأيي وتَركَ رَأي سَمُرة.

وإذا تركت هذه النماذج في العصر الأموي وجئت إلى العصر العباسي فإنك تلحظ هذه الروح والممارسة باقية، ولا أدل على هذه العقلية مما جرى مع سوار بن عبد الله بن قدامة قاضي البصرة وأميرها لأبي جعفر المنصور – فقد جاءه أعرابي من بني العنبر فقال: (إن أبي مات وتركني وأخا لي – وخط خطين في الأرض – ثم قال: وهجينا – (يعني: أخٌ أمّهُ غير عربية) وخط خطا ناحية – فكيف نقسم المال؟ فقال سوار: أها هنا وارث غيركم؟ قال: لا، قال: المال بينكم أثلاثا (يعني ثلاثة أقسام)، فقال: لا أحسبك فهمت عني؟ أنه تركني وأخي وهجينا لنا، فقال سوار: المال بينكم أثلاثا، قال: فقال الأعرابي: يأخذ الهجين كما آخذ وكما يأخذ أخي! قال: أجل! فغضب الأعرابي. قال: ثم أقبل على سوار فقال: تعلم والله أنك قليل الخالات بالدهناء[1]..

وقد قلنا في ترجمات سابقة، أن مما صنعه أئمة أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال هو أنهم سعوا عبر وسائل مختلفة، لدمج هذه الفئات، وتذويب تلك الفروقات، والسعي لإحلال الثقافة القرآنية الصحيحة، التي لا تمييز فيها ولا تفضيل إلا بالتقوى والعلم والعمل الصالح..

بل كانت القضية ضمن الإطار الغيبي كما نعتقد في اختيارات أمهات الأئمة المعصومين، فإن الأم كما هو ثابت ليست مجرد وعاء، وإنما تؤثر بنسبة

(١) المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل ج ٢ ص ٤٨

أو بأخرى في نفس وجسم جنينها.

ومن تلك الأمهات الفاضلات المنتخبات لرعاية الإمامة: السيدة المكرمة سبيكة: أم الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام.

وقد ورد في حديث إنها من بيت مارية القبطية[1]، أم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله. كما ورد ذكر لها باعتبار أنها «خيرة الإماء النوبية الطيبة الفم المنتجبة الرحم»[2] في حديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقيل إن: اسمها درة، وإنها كانت مريسية أو مرسية[3]. ويظهر أن بين هذه الأقوال نوع اختلاف، وذلك لأن كونها من النوبة يعني أنها من محيط جنوب مصر الحالية، أو شمال السودان، وهذا يخالف كونها مرسية حيث أن مرسية منطقة في حوالي مراكش، أو الأندلس.

كما أن كونها نوبية يخالف بظاهره كونها قبطية، وجهة ذلك أن المعروف عن النوبة سمرة اللون بخلاف الأقباط حيث المعروف عنهم بياض اللون[4].

---

(١) في الكافي ١/ ٣١٥ باب النص على علي بن موسى الرضا، في خبر يزيد بن سليط، عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: يا يزيد فإذا مررت بهذا الموضع ولقيته وستلقاه، فبشره أنه سيولد له غلام أمين مأمون مبارك وسيعلمك أنك لقيتني، فأخبره عند ذلك أن الجارية التي يكون منها هذا الغلام جارية من أهل بيت مارية جارية رسول الله أم إبراهيم، فإن قدرت أن تبلغها مني السلام فافعل ذلك..

(٢) المصدر ١/ ٣٢٢ في خبر ينقله عن علي بن جعفر، عما جرى بين الامام الرضا عليه السلام وبين إخوته بشأن الإمام الجواد عليه السلام.

(٣) في معجم البلدان – الحموي ج ٥ ص ١١٨: **المريسة**: بفتح أوله، وتخفيف الراء، وياء ساكنة، وسين مهملة: جزيرة في بلاد النوبة كبيرة يجلب منها الرقيق. **مريسة**: بالفتح ثم الكسر والتشديد، وياء ساكنة، وسين مهملة: قرية بمصر وولاية من ناحية الصعيد. وقد ذكر اسم مرسية باعتبارها من بلاد الأندلس.

(٤) ذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٣٤: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعجب بمارية القبطية وكانت بيضاء جعدة جميلة

وإذا استبعدنا (مرسية) التي هي من بلاد الأندلس من الاحتمالات، حيث لم ترد في النصوص، مثلما وردت أنها مريسية. فيبقى الأمر دائرا بين كونها من أهل مصر (الأقباط) بقرينة ما ورد في الرواية أنها من أهل جارية مارية القبطية. وبين كونها من النوبة، بحسب ما ورد في الحديث عن النبي ﷺ: في ذكره للإمام الجواد عليه السلام ابنها، ابن خيرة الإماء النوبية الطيبة الفم المنتجبة الرحم[1].

وإذا لم يثبت أن الجيل الذي كان يعيش في هذه المنطقة، منطقة مارية القبطية أنهم كانوا من بيض الألوان، وإنما كانوا فئات وقبائل متنوعة العنصر واللون.. فالأمر سهل ويمكن الجمع بين الروايات المذكورة.

وأما لو كان غير ذلك، وأن المنطقة المذكورة كانت تحتضن القبائل بيضاء اللون، بينما المعروف عن النوبة سمرة الألوان، فيبقى التخالف بين الروايات.

وآنئذ فإننا نرجح الروايات القائلة بأن السيدة سبيكة كانت من النوبة.. ويشير إلى ذلك ما ورد في أن الإمام الجواد عليه السلام كان أسمر اللون[2].

وعلى أي حال فإن مما يبرز عظيم شأنها، هو أنها وقعت محلا للثناء عليها من قبل اثنين من المعصومين، رسول الله حيث مدحها بكونها خيرة الإماء وبأنه منجبة الرحم، وطيبة الفم.. ونحن نعتقد أن في تلك الكلمات معانيَ عالية، فإن معنى كونها منجبة (أو منتجبة) مع أنها كما يظهر لم تلد غير

---

(١) ذكر الملا صالح المازندراني في كتابه شرح أصول الكافي أن المراد من الكلمة المذكورة هو صاحب العصر والزمان، محمد بن الحسن العسكري عجل الله فرجه.. مع أنه لا يساعد على ذلك سياق الحديث ولا حال الإمام الحجة، فلم تكن أمه نوبية كما سيأتي.

(٢) في مطلع الحديث المذكور أن أخوة الإمام الرضا عليه السلام اعترضوا عليه في شأن الإمام الجواد أنه ما كان فينا أحد حائل اللون، وفي رواية أخرى أيضا ما يفيد كونه أسمر اللون. بل في البحار نقلا عن المناقب أنه كان عليه السلام شديد الأدمة.

الإمام الجواد عليه السلام فيه معنى كبير.. وهكذا في قوله (طيبة الفم) فإنه وإن كان الظاهر من ذلك هو الطيب والنظافة عن الروائح غير الحسنة، إلا أن الجهة المعنوية من كونها نظيفة الكلام، وبعيدة عن الفحش، وما يشين.. هي الأقرب للاعتبار، وذلك أن الطيب بالمعنى الأول مشترك بين الكثير، وليس فيه ميزة كالميزة الموجودة في نظافة الفم بالمعنى الثاني، المعنوي والأخلاقي.

وهكذا ما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام من سلامه عليه وإبلاغ الراوي أن يوصل إليها سلام الإمام إن لقيها، وسيلقاها كما أخبره عليه السلام، فإن فيه لفتة اهتمام وعناية واضحة ببيان جلالة شأنها وعلو قدرها.

إن تفدية النبي ابنها الجواد عليه السلام بأبيه صلى الله عليه وآله، ووصفها من قبله بأنها خيرة الإماء، وسلام الإمام الكاظم عليها، لهو منهج في كيفية تعامل المعصومين مع من يطلق عليهم آخرون بأنهم (مال الله يأخذ ما يشاء ويدع ما يشاء) أو رغبة بعضهم في بقاء (الموالي) وغير العرب لكنس الطرقات، وصبغ الثياب!!



٥- زينب بنت محمد بن يحيى

يتحدث الرجاليون عن أن هناك عددا غير قليل من الأصول والكتب[١]

(١) المعروف في ألسنة العلماء بل كتبهم أن الأصول الأربعمائة جمعت في عهد مولانا الصادق عليه السلام كما عن بعض، وفي عهد الصادقين عليهما السلام كما عن آخر، أو في عهد الصادق والكاظم عليهما السلام كما ذكره الطبرسي في إعلام الورى، حيث قال: «روى عن الصادق عليه السلام من مشهوري أهل العلم أربعة آلاف إنسان، وصنف من جواباته في المسائل أربعمائة كتاب معروفة تسمى الأصول رواها أصحابه وأصحاب ابنه موسى عليهما السلام. لكن حكى الوحيد في فوائد التعليقة عن ابن شهر آشوب أنه في معالمه نقل عن المفيد – رحمه الله – أن الإمامية صنفوا من عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى زمان العسكري عليه السلام أربعمائة كتاب تسمى الأصول. دراسات في علم الدراية– علي أكبر غفاري ص ١٥٨ .

وقال الشهيد الثاني – في شرح دراية الحديث –: قد كان استقر أمر المتقدمين على أربعمائة مصنف لأربعمائة مصنف، سموها (أصولا) فكان عليها اعتمادهم ثم تداعت الحال إلى ذهاب معظم تلك الأصول ولخصها جماعة في كتب خاصة تقريبا على المتناول، وأحسن ما جمع منها (الكافي) و(التهذيب) و(الاستبصار) و(من لا يحضره الفقيه). انتهى

وقد بقي شيء كثير من هذه الأصول الأربعمائة، فكان شيء كثير منها محفوظا عند (الشيخ الحر العاملي)، وبعضها عند (العلامة المجلسي) وبعضها عند (العلامة النوري)، وفقد مع ذلك كثير منها.

وقد قيل في الفرق بين الأصل والكتاب آراء كثيرة، منها أن الأمر عائد للترتيب، فالكتاب مصنف على أساس ترتيب الروايات بحسب المواضيع، بينما الأصل دونت فيه الروايات من غير ذلك الترتيب، وقيل إن الأصول هي التي أخذت من المعصوم عليه السلام مشافهة ودونت من غير واسطة راو، وغيرها أخذ منها، فهي أصل باعتبار أن غيرها أخذ منها.

الحديثية قد تلفت، واندثرت على أثر المعاناة العظيمة التي عاشها شيعة أهل البيت عليهم السلام في أدوار تاريخهم، ولعل ما يتحدثون عنه يعتبر أمرا طبيعيا وهو وفق القاعدة!! فإذا كان الشيعي في تلك الفترات لا يأمن على وجوده، ولا ينجو إلا بحشاشة نفسه، فمن الطبيعي أن يكون أمر الحفاظ على الكتاب والعلم، في الدرجة التالية..

ونحن نقرأ في ترجمات العديد، أن لهم صحبة ولهم رواية عن الإمام، ولكننا عندما نبحث في مختلف الكتب الحديثية الموجودة اليوم، والمنتشرة بفضل وسائل الطباعة المتطورة، لا نجد لهم حديثا واحدا، ولا جزء رواية!!

وها لا تفسير له غير ما ذكرنا من ضياع تلك الأصول والكتب، واندثارها.. وهذا لعمري مما يعقد مهمة من يبحث عن ترجمة لهذه الأسماء، فإنه قد يمكن دراسة ترجمة شخصية من الشخصيات من خلال التطلع في ما كتبه المؤرخون عن فترات حياة تلك الشخصية وأدوارها المتميزة.. أو في الحالة الأخرى يمكن استنطاق بعض النصوص التي ورد فيها ذكر لتلك الشخصية، أو من خلال نقلها للروايات..

وبالنسبة للشخصيات التي نتحدث عنها يبدو أن إمكانية الاعتماد على النهج الأول غير ممكنة، وذلك لأن المؤرخين قد دأبوا ـ غالبا ـ على الحديث عن القضايا السياسية، والأمور ذات الصوت والجلبة!! ولم يتعرضوا من قريب أو بعيد للحديث عن الشخصيات التي كان لها دور في الجانب العلمي أو الاجتماعي إلا بمقدار ما يتصل بالجوانب السياسية..

ولو أراد شخص أن يقرب وضع المؤرخين بمثال، فإنه سيجد الصحفيين المعاصرين مثالا مناسبا، فكم ترى في المجتمع من شخصيات فكرية، وتشاهد من حركة ثقافية وغيرها، لكنك لا ترى صدى لهذه الوجودات في الصحافة اليومية إلا بمقدار النزر اليسير.. فهذا الطريق، إذن، مغلق.

والطريق الثاني وهو دراسة تلك الشخصيات من خلال وجودها العلمي، والروائي، حيث يمكن معرفة شيء من شخصية الراوي من خلال رواياته، وما ذكره الرجاليون عنه في هذه الجهة.. أيضا لا ينفعنا في بعض هذه الترجمات، حيث لا تجد تلك الروايات التي يفترض أن الشخصية المذكورة قد روتها عن المعصوم مباشرة أو بصورة غير مباشرة..

وأمامنا مثال من هذا النوع، زينب بنت محمد بن يحيى، فقد ذكرها من الرجاليين الشيخ الطوسي رحمه الله في كتابه: رجال الطوسي، وبين أنها من أصحاب الإمام الجواد عليه السلام. كما ذكرها العلامة الأردبيلي[1] في جامع الرواة[2] في قسم النساء اللائي لهن رواية عن المعصوم عليه السلام. وأشار إلى أن لها صحبة أو رواية عن الإمام الجواد عليه السلام، ولم يشر إلى روايتها.

وقد بحثت ما وسعني البحث عن اسم لها في الروايات، في ما توفر لي من المجاميع الحديثية المشهورة منها وغيرها، باستخدام الحاسب الآلي، فلم أجد رواية تذكرها لا من قريب ولا بعيد.

---

(١) من تلامذة العلامة المجلسي، استفاد من العلامة المذكور، وله كتاب (جامع الرواة) والذي هو مع قلة أجزائه، إلا أنه (جمع فأوعى).

(٢) ٢ / ٤٥٧



في رحاب الإمام الهادي عليه السلام



موجز عن حياة
الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام

أبو الحسن (الثالث)٢١٢- ١ ٢٥هـ:

ولد الإمام علي الهادي عليه السلام عام ٢١٢ هـ وتوفي عام ٢٥٤ وتولى الإمامة بعد شهادة أبيه وعمره حوالي الثلاثة عشر عاماً، ومدة إمامته أربعة وعشرون عاماً.

كان ملوك عصره من العباسيين (وهم المعتصم، والواثق، والمتوكل، والمنتصر، والمعتز) من أشد الحكام تعصباً ضد منهج أهل البيت وأتباعهم، فالمعتصم سبق أن تآمر لاغتيال والد الإمام الهادي عليه السلام، الإمام الجواد عليه السلام والمتوكل هو صاحب الصيت السيّئ في منع زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، ومعاقبة الزوار بالسجن والتعذيب وهو الذي أمر (بحراثة) قبر الإمام الحسين. وباستثناء المنتصر الذي كان يميل إلى أهل البيت ولم يبق في الحكم إلاّ فترة قصيرة (أقل من سنة) فإن الصبغة العامة التي لونت حكم هؤلاء الخلفاء كانت عداوة أهل البيت عليهم السلام.

عاش الإمام الهادي عليه السلام قرابة العشرين عاماً بعد والده في المدينة المنورة، ممثلاً دور أجداده الطيبين في نشر الفضيلة والحفاظ على الشريعة، وكانت المدينة تنتظر هذه الفرصة بفارغ الصبر فالتفت حول الإمام الهادي

عليه السلام مستنطقة إياه عن علم النبوة، ومستلهمة منه أسرار الإمامة، مما دعا أحد عملاء الحكم العباسي أن يكتب للخليفة: «إن كان لك بالمدينة حاجة فأخرج منها علي بن محمد»، وبالفعل فقد استدعي الإمام إلى سامراء مركز الخلافة، حيث يكون تحت المراقبة والنظر.

فيما كان الحكام سادرين في أهوائهم، كانت حركات الانحراف الفكري تنشأ وتنشط في الأمة، وكان من أبرزها حركات الغلو، ولأن الإمام هو حافظ شريعة جده فقد تصدى لفكر الغلو، ولأشخاص الغلاة. على الأصعدة الثلاثة الفكري، والاجتماعي، ووصلت المسألة إلى حد القيام باغتيال زعماء الفكر المغالي.

كان المتوكل- الذي يسمونه (محيي السنة)!! يطلب من الجلاوزة إحضاره، وأحياناً في نصف الليل، وبينما الإمام يصلي نوافله الليلية يرى الجلاوزة قد تسلقوا عليه الجدار، لكي يبحثوا عن (الأسلحة والأموال) كما يزعمون، ويحضرون الإمام من مصلاه إلى مجلس المتوكل حيث مائدة الخمر، ويطلب منه المتوكل الشرب فيأبى ويلقي عليه شعر وعظ، وتذكير بالموت.

لم يكن الخلفاء العباسيون ينظرون بعين الارتياح لوجود الأئمة عليهم السلام إذ أن الخلفاء وإن كانوا أمراء الأجسام إلاّ أن الأئمة كانوا حكام القلوب، لذلك كان الخلفاء يسعون دائماً لاغتيال الأئمة، ولعلك بهذا تجد السبب في أن الأئمة في هذه الفترات كانوا يقضون نحبهم وهم في عز الشباب.. وهكذا قضى الإمام الهادي وعمره اثنان وأربعون سنة.. ودفن في سامراء.

١- سليل أم الإمام العسكري عليه السلام

مرة ثانية وثالثة تستوقفنا ظاهرة كون أمهات الأئمة عليهم السلام من الجواري أو من يطلق عليهن (أمهات الأولاد)..

وينبغي قبل ذلك أن نشير إلى صورة ذهنية خاطئة، تتبادر إلى ذهن البعض خطأ وهي أن كلمة الجواري أو الإماء تستدعي معنى النساء الزنجيات أو الممتهنات بالخدمة أو ذوي المرتبة الاجتماعية الهابطة.. خصوصا مع امتلاء كتب التراث القصصي في المجتمع العربي بهذه الصور، أو بصور المغنيات من الجواري، واللاتي أعددن للذة الجنسية..

هذه الصور نعتقد أنها صور خاطئة ولا تعكس حقيقة الأمر، بل ربما تستبطن مقدارا عظيما من التعالي والكبرياء العربي، الذي يرى أن العرب هم الأفضل وأن من سواهم لا يصلون إلى مستواهم.. وهو نفسه الأمر الذي جعل المجتمع العربي يتأخر في كثير من المجالات العلمية، لأجل هذه النظرة المتعالية.. حتى في علوم اللغة العربية وجدنا فحولها هم من غير العرب!!

لو نظرنا نظرة فاحصة، لوجدنا أن هؤلاء الجواري واللاتي كن يصبحن كذلك على أثر سبيهن في الحروب، فيهن طائفة عظيمة من ذوي الأحساب والأنساب في مجتمعاتهم، بل إن هؤلاء هم الأكثر تعرضا للسبي، بسبب كونهن عوائل القادة العسكريين أو السياسيين، فعندما تدور الدائرة

على الجيش، ويقتل الرجال والزعماء، تتحول النساء بصورة طبيعية إلى أسيرات، وجوار بالتالي، ويصبحن من سهم بعض المسلمين المقاتلين، أو يجدن طريقهن إلى السوق للبيع!

ولهذا فإن النظرة الدونية إلى كل جارية قد بيعت، هي نظرة استعلائية جاهلة ولا تعبر عن واقع.

وإن الخطوة التي أقدم عليها أئمة أهل البيت عليهم السلام في استنجابهم أولادهم الأئمة من (أمهات الأولاد) والجواري، لها أهداف متعددة.

فمنها: لزوم إدماج فئة (الموالي) غير العرب، في المجتمع العربي الإسلامي، وكانت الجواري تشكل جزءا غير قليل من مجتمع الموالي (غير العرب).

فمن الثابت عند المحللين الاجتماعيين أن وجود فئة «منعزلة» في مجتمع، وتُعامل فيه باستعلاء، يجعلها بؤرة للنقمة والتمرد، قابلة للتفجر في أقرب مناسبة، وهذا ما نراه أيام حركة (صاحب الزنج) الذي استغوى الأرقاء والموالي والطبقات المهمشة والمهشمة، وما أن أعلن عصيانه وتمرده حتى تبعه الآلاف ونقضوا النظام الاجتماعي في البصرة وما والاها. وسبوا النساء العربيات[١] حتى لقد كانت المرأة القرشية تباع بحسب ضخامة ساقها كما نقل بعض المؤلفين.

ومن ذلك: ما ذكره بعضهم من الآثار الصحية الناتجة عن تزاوج الأعراق البعيدة، حيث يرث المولود بين عرقين خلاصة صفات القوة لهما،

(١) عمدة الطالب- ابن عنبة ص ٢٩٢: وكان (صاحب الزنج) قاسي القلب ذميم الأفعال وحسبه من ذلك تمكن الزنج من دماء المسلمين ونسائهم وأموالهم: ويحكى أن امرأة علوية أسرها زنجي وكان يسيء إليها فعارضته ذات يوم واشتكت إليه ما يفعل بها الزنجي فقال لها: أطيعي مولاك!!. وقد قيل انه كان خارجي المذهب يرى تكفير من ليس على رأيهم من أهل القبلة.

بخلاف التزاوج بين الأقارب حيث ينتج الضعف البدني[1]، وتتكرس الأمراض الوراثية.

وإذا علمنا أن تلك النساء (الجواري) كن من مجتمعات أخرى، وفي الغالب كن من فئات اجتماعية متميزة كان يكن أقارب القادة العسكريين أو السياسيين فإنه يجتمع إضافة إلى العامل الصحي، العامل النفسي في تكوين المولود.

ومنها: ما يذكر من أن التزاوج بين الشعوب، يساهم في الانتصار على العداوات التي تخلقها الحروب[2] والصراعات السياسية، وهو أمر ملحوظ.

ومنها غير ذلك من الأهداف والغايات التي تتنوع في مساحتها وتأثيرها، على مستوى المجتمع الإسلامي تارة، وعلى مستوى الطفل الذي سوف يتخلق في رحم تلك المرأة ثانيا.

ولهذه الأسباب وغيرها كان أن نكح[3] الإمام الهادي عليه السلام سُليل، وروي أنه قد أثنى عليها وبيّن فضلها فقال: سليل[4] مسلولة من الآفات

---

(١) يشير إليه بعض ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «اغتربوا حتى لا تضووا» أي لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويا، وقد أكد العلم الحديث على هذه الجهات.. ومن الملحوظ في مجتمعنا (القطيف) انتشار مرض السكلسل، وأهم أسباب ذلك هو التزاوج بين الأقارب والمصابين به.

(٢) يرى بعض الباحثين أن من عوامل إقبال الإيرانيين على مذهب أهل البيت عليهم السلام أن الإمام والدة زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام هي من بنات كسرى الملك الفارسي، وقد جلبت أسيرة إلى المدينة فكانت من نصيب الإمام الحسين عليه السلام.. وهذه الفكرة تؤيد ما هو مذكور في المتن. وإن كان يمكن النقاش في حجم هذا العامل.

(٣) قال البعض من الفقهاء أن النكاح ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الدائم، والمنقطع، وملك اليمين. ورأى بعضهم أن الزوجية تضاد ملك اليمين وتختلف آثاره عن آثارها، والخلاف ـ فيما نحن فيه ـ لفظي.

(٤) لسان العرب – ابن منظور ج ١١ ص ٣٣٩:يقال للإنسان أيضا أول ما تضعه أمه سليل. والسليل والسليلة: المهر والمهرة، وقيل: السليل المهر يولد في غير ماسكة ولا سلى.

والأرجاس والأنجاس[1].. وذكر أنها من العارفات الصالحات، وولدت الإمام الحسن العسكري في شهر ربيع الأول سنة ٢٣٠هـ.

وقد ذكر[2] آية الله السيد الشيرازي قدس سره قولا عن الإمام الهادي عليه السلام أنه قال: «سليل سلت من كل آفة وعاهة، ومن كل رجس ونجاسة، ثم قال: لا تلبثين حتى يعطيك الله عز وجل حجته على خلقه الذي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا».. ولم يذكر مصدر تلك الكلمات، ولم أعثر أنا على مصدرها. وهي تتحد مع الفقرة السابقة المنقولة أيضا عنه «سليل مسلولة من الآفات والأرجاس والأنجاس»..

لكن الفقرة الثانية بناء على صدورها، يمكن استفادة أمور:

منها: أن السيدة سليل والدة الإمام العسكري قد بقيت إلى ولادة الإمام الحجة عجل الله فرجه وأن عمرها كان في ذلك الوقت بحدود الخمسة وأربعين عاما تقريبا إذا فرضنا أنها كانت في نكاح الإمام الهادي عليه السلام بملك اليمين وعمرها عشرون عاما.

بل يتأكد هذا المعنى من أحاديث أخرى، ففي كمال الدين نقل الشيخ الصدوق رحمه الله ما حاصله أن السيدة سليل والدة الإمام عندما توفيت كانت قد أمرت أن تدفن في دارها، وفي ذلك تأكيد لإرثها مع حفيدها الإمام الحجة عجل الله فرجه من الإمام العسكري (هي زوجته وتنعتق بوفاته، وهو ابنه) وقطع للطريق على مدعي الميراث وهو جعفر المعروف بالكذاب (أخ الإمام العسكري)، فنازع في ذلك ولم يتيسر له الأمر.

ويستفاد منها أيضا: أن السيدة سليل ربما تكون قد رأت حفيدها

---

(١) حياة الإمام الحسن العسكري للعلامة الشيخ باقر شريف القرشي، ناقلا عن أعيان الشيعة لآية الله الأمين.

(٢) في كتابه أمهات المعصومين ص٢٩٦.

الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف، بمقتضى القول السابق: «لا تلبثين حتى يعطيك الله حجته على خلقه الذي يملأ الأرض.. ».

هذا ولكن لم أجد ذكرا لهذه السيدة الفاضلة في تعداد من رأى الحجة المنتظر عجل الله فرجه في الفصل الذي عقده العلامة المجلسي ﵀ في الثاني والخمسين من بحار الأنوار في ذكر من رأى الحجة.. فهل أنه لم يثبت عنده القول السابق أو لسبب آخر؟



٢- كلثم الكرخية

يتحدث الرجاليون عن كلثم الكرخية بنحو من الاختصار، لا أعلم علّته وجهته، إن لم يكن انعدام المعلومات، خصوصا وأنها راوية من رواة الأحاديث، وفي طبقة أصحاب الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام.

فقد ذكرها شيخ الطائفة الطوسي في كتابه (رجال الطوسي) في باب النساء من أصحاب الإمام الهادي، وتحت رقم متسلسل هو (٥٨١٤) وقال روى عنها عبد الرحمن الشعيري وهو أبو عبد الرحمن أحمد بن داود البغدادي ونقل عنه من تأخر عنه هذا المقدار من التعريف..

وقد ذكرها آية الله الخوئي في كتابه (معجم رجال الحديث) [١] فقال ما نصه: «كلثم الكرخية: روى عنها عبد الرحمان الشعيري، وهو أبو عبد الرحمان أحمد بن داود البغدادي، من أصحاب الهادي عليه السلام، رجال الشيخ. وقال البرقي فيمن روى عن أبي الحسن الثالث عليه السلام: كلثم الكرخية، روى عنها أبو عبد الرحمان الشعيري، أبو أحمد بن داود».

أقول: الظاهر أن كلمة (أبو) قبل أحمد من غلط النساخ. وقال ابن داود، فصل الكنى من النساء من القسم الأول: «كلثم الكرخية، روى عنها عبد الرحمان الشعيري، وهو أبو عبد الله أحمد بن داود البغدادي». أقول: لا

(١) ج ٢٤ ص ٢٢٩.

يبعد أن تكون كلمة (أبو عبدالله) محرفة، والصحيح أبو عبد الرحمان.

ولم يذكر لا شيخ الطائفة رضوان الله عليه ولا السيد الخوئي، الروايات التي روتها عن الإمام الهادي عليه السلام، كما أنني بالاستعانة ببرامج البحث في الكتب والموسوعات الحديثية لم أجد مع التتبع، رواية واحدة مروية عنها عن الإمام الهادي..

وكذلك الراوي عنها وهو أحمد بن داود البغدادي أو أبو عبد الرحمن الشعيري، لم أعثر على رواية من طريقه، وعلى أي حال، فإنها كانت قد روت عن الإمام الهادي عليه السلام وروى عنها أحمد بن داود.

وهذا يفتح لنا نافذة على الحالة الاجتماعية التي كانت سائدة بين المؤمنين والمؤمنات في تلك الأزمنة، حيث كان تبادل العلم بين المؤمنين من الرجال والنساء ليس كما هو في عصرنا حيث يتصور البعض أن كل خروج للمرأة هو فتنة، وكل اختلاط هو موبقة، وأن صوت المرأة عورة محرمة.. فإننا نجد أن الكثير من النساء كن محدثات وراويات، وكان من يتلقى منهن تارة يكون رجلا وأخرى امرأة، فلم يكن النظر إلى المرأة بما هي أنثى تشتهى، أو إلى الرجل بما هو (فحل ضراب)!

وصل الحال بمجتمعنا إلى أن عدّ كل ما يرتبط بالمرأة ـ أي امرأة ـ يدخل في خانة الإثارة حتما، فإذا تكلمت كان ذلك الكلام ريبة وشهوة وإثارة.. إلى آخر القائمة.. هذا مع أننا لا نجد في الأدلة الشرعية ـ بغض النظر عن الحالات الاجتماعية والعادات المتوارثة ـ شيئا مما ذكر: فصوت المرأة ليس بعورة محرمة مع أن هذه الفكرة منتشرة ومشهورة بين الناس إلا أنها لا نصيب لها من الصحة.

قد قرر علماؤنا[1] هذا الأمر اعتمادا على جملة من الأدلة، بعدما لم يكن

(١) قال السيد اليزدي رحمه الله في العروة الوثقى: يجوز سلام الأجنبي على الأجنبية وبالعكس على الأقوى إذا لم يكن هناك ريبة أو خوف فتنة، حيث إن صوت المرأة من حيث هو ليس عورة. انتهى.. ولم يعلق على المتن أحد من العلماء مما يعني موافقتهم له. (بالطبع السلام هنا لا يعني المصافحة حتى لا يشتبه الأمر على البعض!).

دليل صالح للقول بأنه عورة إذ لا يوجد خبر عن أهل البيت عليهم السلام بهذا النص ولو كان ضعيفا[1].

---

(١) نعم قد ورد في كلمات بعض الفقهاء المتقدمين(كالمحقق الحلي في الشرائع) عند الاستدلال على أنه لا يجوز للأعمى سماع صوت المرأة لأنه عورة، وعورض هذا الاستدلال عند المتأخرين بأنه لم يقم دليل على التعليل، وأنه حمل على ما لو كان بتغنج ومسببا للإثارة الشهوانية. والعلامة الحلي في مختلف الشيعة في مسألة أذان المرأة للرجال معلقا على قول شيخ الطائفة في المبسوط أنه لو أذنت المرأة للرجال اعتدوا به وأقاموا، قال الوجه المنع لأن صوتها عورة لكنه قطع في التذكرة بأن التحريم مشروط بصورة التلذذ أو خوف الفتنة. والمحقق الكركي في جامع المقاصد في مسألة الأذان أيضا واستدل كالعلامة. لكنه قيده في ج ١٢ بأنه عورة يحرم استماعه مع خوف الفتنة لا بدونه، واستشكل الشهيد الثاني في المسالك في إطلاق الحكم أو شموله لغير صورة التلذذ (لما في ذلك من الحرج والضرر المنفي، ولعدم دليل صالح عليه، وكون صوتها عورة لا يدل على التحريم مطلقا) واستجود اشتراط تحريم الاستماع بالتلذذ أو خوف الفتنة.

وقال المحقق البحراني في الحدائق: المشهور بين الأصحاب تحريم سماع صوت المرأة الأجنبية، مبصرا كان السامع أو أعمى، وإطلاق كلامهم شامل، لما أوجب السماع، التلذذ والفتنة أم لا، ولا يخلو من إشكال، لما علم من الأخبار المتكاثرة، من كلام النساء مع الأئمة عليهم السلام، وسؤالهن عن الأحكام، بل غير ذلك أيضا، وسيما كلام فاطمة عليها السلام مع الصحابة، كسلمان وأبي ذر والمقداد، وخروجها للمطالبة بميراثها في المسجد من أبي بكر، وحضور جملة من الصحابة يومئذ، وإتيانها بتلك الخطبة الطويلة المتفق على نقلها، بروايات الخاصة والعامة، أشهر من أن ينكر، مع أنها معصومة ومن المعلوم أن خروجها إنما يكون بإذن أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا كله، مما يدفع ما ذكروه نعم لا بأس بتخصيص الحكم، بما إذا أوجب التلذذ والفتنة، وعليه يحمل ما أوهم خلاف ما ذكرناه.

وقال صاحب الجواهر بعد أن تعرض إلى ما ذكره المحقق في متن الشرائع، وغيره من العلماء في أن صوتها على الأعمى والمبصر عورة ولا يجوز لهما استماعه وما يمكن أن يكون دليلا على ذلك، قال: لكن ذلك كله مشكل بالسيرة المستمرة في الإعصار والأمصار من العلماء والمتدينين وغيرهم على خلاف ذلك، وبالمتواتر أو المعلوم مما ورد من كلام الزهراء وبناتها عليها وعليهن السلام، ومن مخاطبة النساء للنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام على وجه لا يمكن إحصاؤه ولا تنزيله على الاضطرار لدين أو دنيا، بل قوله =

كذلك فإن سيرة المعصومين عليهم السلام قاضية بأنهم كانوا يستقبلون النساء السائلات عن المسائل الدينية من غير إنكار منهم عليهن ومن غير ضرورة تلجئهن مثلما أشارت إليه رواية أبي بصير قال: كنت جالسا عند أبى عبد الله عليه السلام إذ دخلت علينا أم خالد التي كان قطعها يوسف بن عمر تستأذن عليه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أيسرك أن تسمع كلامها؟ قال: فقلت: نعم، قال: فأذن لها قال: وأجلسني معه على الطنفسة قال: ثم دخلت فتكلمت فإذا هي امرأة بليغة فسألته.. إلى آخر الحديث[1].

= تعالى: ﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ دال على خلاف ذلك أيضا، ولعله لذا وغيره صرح جماعة كالكركي والفاضل في المحكي عن تذكرته وغيرهما ممن تأخر عنه كالمجلسي وغيره بالجواز، بل بملاحظة ذلك يحصل للفقيه القطع بالجواز فضلا عن ملاحظة أحوالهم في ذلك الزمان، من كونهم أهل بادية، وتقام المآتم والأعراس وغيرها فيما بينهم، ولا زالت الرجال منهم مختلطة مع النساء في المعاملات والمخاطبات وغيرها. نعم ينبغي للمتدينة منهن اجتناب إسماع الصوت الذي فيه تهييج للسامع وتحسينه وترقيقه حسبما أومأ إليه الله تعالى شأنه بقوله: ﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ إلى آخره، كما أنه ينبغي للمتدينين ترك سماع صوت الشابة الذي هو مثار الفتنة حسبما أومأ إليه أمير المؤمنين عليه السلام في تعليم الناس فيما رواه عنه الصدوق قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يسلم على النساء ويرددن عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يسلم على النساء ويكره أن يسلم على الشابة منهن، ويقول: أتخوف أن يعجبني صوتها فيدخل علي من الإثم أكثر مما أطلب من الأجر».. إلى آخر ما ذكره. وورد أن «النساء عي وعورة فاستروا عيهن بالسكوت واستروا عوراتهن بالبيوت».

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) ج ٢٠ ص ١٩٧: محمد بن يعقوب، عن الحسين بن محمد، عن معلي بن محمد، عن الوشاء، عن أبان بن عثمان عن أبي بصير قال .. وليس في السند من يتوقف فيه غير المعلى بن محمد (البصري) فالقوم فيه على رأيين: التضعيف لكلام النجاشي فيه أنه (مضطرب الحديث والمذهب) وقبول روايته كما عليه بعض أساتذتنا حيث أن كلام النجاشي ليس سوى وصف لحديثه لا للراوي، وهو مثل ما نقل عن ابن الغضائري: أنه يعرف حديثه وينكر.. وقد فسرت تلك الكلمات بأن أحاديثه ليست على مستوى واحد من المتانة والقوة والانسجام. كما أنه قد ورد اسمه في رجال تفسير علي بن إبراهيم القمي في القسم الأول على القول بتوثيقهم.

فأنت ترى أن الإمام عليه السلام قد استمع إليها، وعرض على أبي بصير الاستماع إلى حديثها..

كما دلت على سماع أصوات النساء من قبل المعصومين عليهم السلام صحيحة ربعي بن عبد الله عن الصادق عليه السلام «كان رسول الله يسلم ـ أي يلقي التحية ـ على النساء ويرددن عليه وكان أمير المؤمنين يسلم على النساء وكان يكره أن يسلم على الشابة منهن ويقول أتخوف أن يعجبني صوتها فيدخل علي أكثر مما طلبت من الأجر»[1]. والرواية ظاهرة في أن الأمر لم يكن نادرا بل كان كثيرا. وأن أمير المؤمنين عليه السلام قد فرض أنه يوجد أجر في إلقاء السلام عليها، لكن مع (إعجاب) الرجل البادئ بالسلام وتلذذه بجوابها قد يدخل عليه أكثر مما طلب من الأجر.. ولا شك أن هذا هو للتعليم وإلفات للسامعين أنه لو لزم من السلام واستماع الجواب تلذذ فإنه ينبغي أن يترك.

فلو اعترض على الاستدلال بما قامت به الصديقة الزهراء عليها السلام من خطبتها في المسجد بمسمع من الحاضرين، أو ما قامت به العقيلة زينب وبنات الحسين في الكوفة والشام بمحضر من الإمام زين العابدين وعدم اعتراضه من الخطابة أمام الناس.. لو اعترض على ذلك بأن ضرورة نصرة الإسلام تبيح ذلك، فإن الروايات المتقدمة، فيها ما يظهر منه صريحا عدم الاضطرار[2].

كما أشار الفقهاء إلى أن الممنوع من صوت النساء هو (الخصوع في القول) وذلك لما يعقبه من (طمع من في قلبه مرض) فليس استماع صوت

---

(١) الكافي ٥/ ٥٣٥: محمد بن يعقوب عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن ربعي.

(٢) هناك روايات أخرى تفيد أنه «لا تبدؤوا النساء بالسلام» و«لا تسلم على المرأة» وقد جمع بينها وبين السابقات في صراحتها بالحمل على الجواز على كراهة، أو أنه لا يسلم عند خوف الفتنة أو التلذذ..

النساء مطلقا غير جائز وإنما حصة منه هي التي فيها خضوع في القول وترقيق وإثارة. [1] وأما مجرد خروج صوت المرأة وهي تلقي المحاضرة، أو تحدث وتروي أو تقرأ العزاء بحيث يسمعها الرجال الأجانب ليس ممنوعا بحد ذاته أو كما يقول العلماء (في نفسه) وإنما لو لزم منه محذور، بأن كان بكيفية مثيرة للشهوات كما قد يكون في الأغاني وأمثالها.

وهذا الذي سبق ينبغي أن يكون مرشدا في التشديد غير المبرر بأدلة شرعية، والذي نراه في مجتمعاتنا.. فكأن الأمر محصورا في أحد طريقين: إما أن تتميع المرأة وتخضع بالقول: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ أو أن تسكت فلا تتحدث.. بينما هناك طريق ثالث هو أن تتحدث وتدرّس وأن تنصح وتبني وأن تروي علما، ولكن كل ذلك في إطار احترام الذات واحترام الآخرين.

كلثم الكرخية[2]، نموذج للمرأة التي تتعلم من الإمام وتعلم غيرها امراة كان المتعلم أو رجلا.

---

(١) من قضايا النهضة الحسينية / ج ٣ للمؤلف.

(٢) قال الحموي في معجم البلدان ج ٤ ص ٤٤٧: الكرخ بالفتح ثم السكون، وخاء معجمة، وما أظنها عربية إنما هي نبطية، وهم يقولون: كرخت الماء وغيره من البقر والغنم إلى موضع كذا جمعته فيه في كل موضع، وكلها بالعراق، وأنا أرتب ما أضفت إليه على حروف المعجم حسب ما فعلناه في مواضع.. ثم تحدث عن كرخ سامراء وكرخ البصرة وكرخ بغداد، وذيل هذا الأخير بقوله: وأهل الكرخ كلهم شيعة إمامية.

٣- فاطمة بنت محمد بن الهيثم

كان الفرح مسيطرا على بيت الإمام علي بن محمد الهادي، لولادة مولود جديد في هذا البيت الذي آلى العباسيون على إفنائه، وقتلهم سماً وسجناً وصبراً. وكان من الطبيعي أن ينقل الخبر إلى والد المولود، فإن ولادة ولد جديد في هذا البيت يعني غالبا وجود عالم يُعتمد عليه، وتشد الركائب إليه..

وسارعت فاطمة بنت محمد بن الهيثم، لتحمل البشارة إلى الإمام عليه السلام ولتأخذ منه هدية البشرى، والخبر الجيد.. لنتركها تتحدث:

كنت في دار أبي الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام في الوقت الذي ولد فيه جعفر فرأيت أهل الدار قد سُروا به، فصرت إلى أبي الحسن عليه السلام فلم أره مسرورا بذلك.

فقلت له: يا سيدي مالي أراك غير مسرور بهذا المولود؟

فقال عليه السلام: يهون عليك أمره، فانه سيضل خلقا كثيرا.

وكان في ذلك الخبر المستقبلي للإمام عليه السلام قراءة مفصلة عن طريقة حياة وممارسات جعفر ابنه الذي عرف فيما بعد باسم (جعفر الكذاب). وحيث أن الموضوع يكتسب أهمية قصوى، من خلال دروسه التربوية، وجهته التاريخية إذ يرى البعض أنه تاب بعد ذلك، وسموه بـ(جعفر

التواب)، سوف نتعرض بنحو من البسط لهذا الموضوع.

وفي البداية نشير إلى أن القرآن الكريم قد تطرق في آيات كثيرة إلى دروس ترتبط بنمط العلاقة بين الوالد والولد، وعموما بين الأقارب، ويتبين من ملاحظتها ما يلي:

١- أن القرابة ليست عاملا حتميا في صلاح أحد، مهما كان المتقرب به، ومهما كانت درجة تلك القرابة.. فقد يكون المتقرب به نبيا ويكون القريب كافرا كما هو الحال في قضية نوح وابنه[١]، وهكذا نوع العلاقة سواء كانت نسبية كما ذكر أو سببية (زواج) كما في امرأة نوح وامرأة لوط[٢].. نعم المتوقع هو أن يصلح هذا القريب وأن يتأثر إيجابيا بطريق من يتقرب به، حيث أن الظروف تكون بالنسبة له أفضل من غيره، ولهذا ربما كان عقابه أكثر[٣] مع الانحراف كما أنه مع الاستجابة يكون له فضل مضاعف.

٢- إنه لا يعيب الصالح (نبيا كان أو إماما أو من عامة الناس) أن يكون ابنه طالحا بل كافرا.. كما أنه لا يضره ـ في ميزان الثواب والعقاب ـ أن يكون أبوه[٤] كذلك، وذلك لأنه ﴿**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ**﴾[٥]. ولهذا نحن لا نحتاج ـ

---

(١) ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود:٤٦)

(٢) ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (التحريم:١٠)

(٣) ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً﴾ (الأحزاب: ٣٠ - ٣١)

(٤) هذا لا ينافي ما يعتقد من كون آباء الأنبياء ـ لا سيما نبينا محمدا ﷺ ـ موحدين.

(٥) الروم:١٩

كما يفعل بعضهم - إلى تجشم عناء الدفاع عن ابن نوح أو أبناء يعقوب في أول أمرهم أو عن جعفر الكذاب، ونثبت لهذا أو ذاك توبة لم تثبت! فلا يضير النبي أو الإمام أن يكون ابنه سيئا! بل ربما كان ذلك من جملة الامتحانات التي يتعرض لها المؤمن فينبغي أن يعرف كيف يتعامل معه ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[1].

٣- إن الموقف تجاه المنحرف القريب ينبغي أن يكون خاضعا للمقاييس الدينية، ولعل إيراد قصص الزوجات المخالفات للأنبياء، والأبناء المنحرفين عن الهدى هو من أجل تشكيل الموقف الصحيح لدى المؤمن لو ابتلي بذلك، فأنت ﴿**لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[2].

وهذه ليست دعوة للحرب في ساحة العائلات، فقد أمر الله في موضع آخر بالمعاشرة الحسنة ﴿**وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[3].

وجعفر المعروف بالكذاب كان نموذجا للانحراف في الأسرة العلوية، وقد تم التحذير منه قبل ولادته، وفي هذا الإخبار مع تحققه دلالة على اتصال أئمة أهل البيت عليهم السلام بالغيب وإخبار الله لهم بذلك، فقد ورد في باب علة

---

(١) التغابن: ١٤.

(٢) المجادلة: ٢٢.

(٣) لقمان: ١٥ .

تسمية الإمام جعفر بن محمد بالصادق عليه السلام أن هناك شخصا آخر سيسمى جعفر وهو الكذاب،: فقد روى الشيخ الصدوق بسنده عن أبي خالد الكابلي أنه سأل الإمام زين العابدين عليه السلام: قلت له: يا سيدي روي لنا عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: أن الأرض لا تخلو من حجة لله عز وجل على عباده، فمن الحجة والإمام بعدك؟ قال: ابني محمد، واسمه في التوراة باقر، يبقر العلم بقرا، هو الحجة والإمام بعدي، ومن بعد محمد ابنه جعفر، واسمه عند أهل السماء الصادق، فقلت له: يا سيدي فكيف صار اسمه الصادق وكلكم صادقون، قال: حدثني أبي، عن أبيه عليهما السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فسموه الصادق، فإن للخامس من ولده ولدا اسمه جعفر يدعي الإمامة اجتراءً على الله وكذبا عليه فهو عند الله جعفر الكذاب المفتري على الله عز وجل، والمدعي لما ليس له بأهل، المخالف على أبيه والحاسد لأخيه، ذلك الذي يروم كشف ستر الله عند غيبة ولي الله عز وجل، ثم بكى علي بن الحسين عليهما السلام بكاء شديدا، ثم قال: كأني بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله، والمغيب في حفظ الله والتوكيل بحرم أبيه جهلا منه بولادته، وحرصا منه على قتله إن ظفر به، طمعا في ميراثه حتى يأخذه بغير حقه. قال أبو خالد: فقلت له: يا ابن رسول الله وإن ذلك لكائن، فقال: إي وربي إن ذلك لمكتوب عندنا في الصحيفة التي فيها ذكر المحن التي تجري علينا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

فأنت ترى أن الرسول قد أخبر عنه كما في الرواية، وأمير المؤمنين وزين العابدين وهذا قبل ولادته بأكثر من مائتي سنة[2].

وكانت فترة شبابه قد اشتهر فيها بالفساد والانحراف، عند من يعرفه

(١) كمال الدين وتمام النعمة ص ٣١٩

(٢) كانت ولادة جعفر حوالي سنة ٢٣٦هـ.

من الناس وإلى ذلك يشير ما ورد في التوقيع المروي عن صاحب الزمان عجل الله فرجه كما ذكره شيخ الطائفة الطوسي بسنده قال:

حدثنا الشيخ الصدوق أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري رحمه الله، أنه جاءه بعض أصحابنا يعلمه أن جعفر بن علي كتب إليه كتابا يعرفه فيه نفسه، ويعلمه أنه القيم بعد أخيه، وأن عنده من علم الحلال والحرام ما يحتاج إليه، وغير ذلك من العلوم كلها. (قال أحمد بن إسحاق) فلما قرأت الكتاب كتبت إلى صاحب الزمان عليه السلام وصيرت كتاب جعفر في درجه، فخرج الجواب إلي في ذلك: «بسم الله الرحمن الرحيم أتاني كتابك أبقاك الله، والكتاب الذي أنفذته درجه وأحاطت معرفتي بجميع ما تضمنه على اختلاف ألفاظه، وتكرر الخطأ فيه... إلى أن قال: وقد ادعى هذا المبطل المفتري على الله الكذب بما ادعاه، فلا أدري بأية حالة هي له رجاء أن يتم دعواه، أبفقه في دين الله؟ فو الله ما يعرف حلالا من حرام ولا يفرق بين خطأ وصواب، أم بعلم؟ فما يعلم حقا من باطل، ولا محكما من متشابه، ولا يعرف حد الصلاة ووقتها. أم بورع؟ فالله شهيد على تركه الصلاة الفرض أربعين يوما، يزعم ذلك لطلب الشعوذة، ولعل خبره قد تأدى إليكم، وهاتيك ظروف مسكره منصوبة، وآثار عصيانه لله عز وجل مشهورة قائمة. أم بآية؟ فليأت بها، أم بحجة. فليقمها، أم بدلالة فليذكرها.. »[1].

وكان رجال السلطة يعرفون منه ذلك أيضا ويستفيدون منه لمصالحهم، ويوصف في مجالسهم بالتهتك والفساد، كما ذكره أحمد بن عبيد الله بن خاقان، في مجلسه، فقد كان يتحدث بالإكبار والإعجاب عن الإمام الحسن العسكري:

فقال له بعض أهل المجلس من الأشعريين: يا أبا بكر فما خبر أخيه جعفر؟

---

(١) الغيبة ٢٧٨.

فقال: ومن جعفر فيسأل عن خبره أو يقرن به، إن جعفرا معلن بالفسق، ماجن، شريب للخمور، وأقل من رأيته من الرجال وأهتكهم لستره، فدمٌ (أي أحمق عيي) خمار، قليل في نفسه، خفيف، والله لقد ورد على السلطان وأصحابه في وقت وفاة الحسن بن علي ما تعجبت منه وما ظننت أنه يكون[١].. ثم ذكر خبر إغارته مع جنود الخليفة على بيت أخيه، ومحاولته القبض على ابن أخيه الإمام المنتظر، وتفتيش جواري أخيه، وتوكيل نساء بمراقبتهن..

بل لقد ورد أنه باع واحدة من الهاشميات على أنها أمة وجارية[٢]!! وذلك بعد أن فرت عدة جواري خوفا منه!!

ثم لم يكتف بذلك بل حاول الاستعانة بالسلطة لجعله إماما!! على الناس، وحيث رأت السلطة أنه لا يمكن ذلك لشهرته السيئة لم تستجب له، فقد حمل جعفر الكذاب إلى الخليفة عشرين ألف دينار لما توفي الحسن بن علي عليهما السلام وقال: يا أمير المؤمنين تجعل لي مرتبة أخي الحسن ومنزلته!.

فقال الخليفة: اعلم أن منزلة أخيك لم تكن بنا إنما كانت بالله عز وجل ونحن كنا نجتهد في حط منزلته والوضع منه، وكان الله عز وجل يأبى إلا أن يزيده كل يوم رفعة لما كان فيه من الصيانة وحسن السمت والعلم والعبادة، فان كنت عند شيعة أخيك بمنزلته فلا حاجة بك إلينا، وإن لم تكن عندهم بمنزلته ولم يكن فيك ما كان في أخيك لم نغن عنك في ذلك شيئا[٣].

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة- الشيخ الصدوق ص ٤٢

(٢) شرح أصول الكافي - المولى محمد صالح المازندراني ج ٧ ص ٣٥٥: - علي بن محمد قال: باع جعفر فيمن باع صبية جعفرية كانت في الدار يربونها، فبعث بعض العلويين وأعلم المشتري خبرها فقال المشتري: قد طابت نفسي بردها وأن لا أرزأ من ثمنها شيئا، فخذها، فذهب العلوي فأعلم أهل الناحية الخبر فبعثوا إلى المشتري بأحد وأربعين دينارا وأمروه بدفعها إلى صاحبها..

(٣) كمال الدين وتمام النعمة- الشيخ الصدوق ص ٤٧٩

ولهذا لا يمكن أن يُصغى إلى ما قيل من توبته، فلا شاهد عليها فضلا عن الدليل وما تمحله بعضهم من أن هناك تصريحا بتوبته قد رواه الكليني في الكافي فهو على ضد التوبة أدل وأصرح.. ولولا خوف الإطالة، وقد طال بنا المقام لبسطنا الكلام، لكن على سبيل الاختصار نقول: أنه ذكر بعضهم أن الإمام الحجة عجل الله فرجه قد صدر منه توقيع جاء فيه:

أما سألت عنه أرشدك الله وثبتك من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمنا، فاعلم أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحد قرابة، ومن أنكرني فليس مني وسبيله سبيل ابن نوح عليه السلام. أما سبيل عمي جعفر وولده فسبيل إخوة يوسف عليه السلام[1].

وقد استفاد بعضهم من ذلك أنه قد غفر له، وأنه قد تاب كما تاب إخوة يوسف وأنه لا تثريب عليه كما لم يكن عليهم تثريب!!

لكن هذا المعنى لا يستفاد أبدا فإن بداية الحديث والقاعدة التي جعلها في المقدمة أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحد قرابة لا تنسجم مع هذا.. وقوله أما سبيل عمي وولده، فهو تفسير لما جرى وأن جعفرا قد حمله الحسد على الإضرار بابن أخيه كما حمل إخوة يوسف.

على أنه في موارد أخرى تم تشبيه جعفر بالنسبة لأبيه الهادي كنسبة ابن نوح لأبيه، وبالنسبة للإمام الحجة بأنه مثل قابيل لهابيل، وأنه لو استطاع أن يقتل الإمام لم يتوقف[2].

ووصفه الإمام زين العابدين عليه السلام بما يوضح نمط العلاقة بينه وبين أبيه وأخيه وابن أخيه عندما قال: «المخالف على أبيه والحاسد لأخيه» وهذه توضح معنى سبيل إخوة يوسف حيث حسدوه وكادوا له.. ويؤيده بعد

(١) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق ص ٤٨٣

(٢) مدينة المعاجز ٨/ ١٣٤

ذلك قوله عليه السلام: « .. حرصا منه على قتله »!! ولا شك أن هذا الحرص كان مستمرا مادام الحجة موجودا وإلى أن مات جعفر في سنة ٢٨١هـ.

وفيصل القول ما نقلته فاطمة بنت الحسن بن الهيثم، عندما رأت الإمام الهادي عليه السلام غير مسرور بولادته مع أن الاستبشار في ذلك الموضع هو الطبيعي، فسألته فلخص لها، أن أمره هين ولا يستحق الفرح والسرور، بل سيضل به خلق كثير ممن لم يعرف سبيل الإمامة!!

٤- فاطمة بنت هارون بن موسى بن الفرات

تميز شيعة أهل البيت عليهم السلام بأنهم قد بدؤوا في تدوين الأحاديث والروايات منذ وقت مبكر، خلافا لغيرهم من الفرق والطوائف الإسلامية الذين امتنعوا عن الكتابة والتدوين بناء على النهي الصادر من الخلافة الرسمية.

بل ذكر بعض المحققين أن الأمر بدأ مع الخليفة الأول حيث كتب خمسمائة حديث عن رسول الله ثم أحرقها، وفعل نفس الفعل الخليفة الثاني عندما بدا له أن يكتب السنة ثم تغير رأيه، وكتب في الأمصار أن من كان عنده شيء منها فليمحه[1]! ثم إنه بلغه أنه قد ظهر في أيدي الناس كتب، فاستنكرها وكرهها، وقال: أيها الناس، إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب، فأحبها إلى الله أعدلها وأقومها، فلا يبقين أحد عنده كتابا إلا أتاني به، فأرى فيه رأيي. قال: فظنوا أنه يريد ينظر فيها ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف، فأتوه بكتبهم، فأحرقها بالنار[2].

ولهذا فقد ترك غالب صحابة النبي صلى الله عليه وآله أمر التدوين والكتابة للحديث النبوي، وانصرفوا عنها، ولعل أول المحاولات الرسمية التي سجلت في تدوين السنة النبوية الشريفة، هي في أيام الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز.

---

(١) تدوين السنة الشريفة السيد محمد رضا الجلالي

(٢) المصدر ص٢٧٤.

في الطرف المقابل كان شيعة أهل البيت وبتوجيه من النبي صلى الله عليه وآله وأئمتهم عليهم السلام يصرون على كتابة الحديث، ويدونونه:

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: قيدوا العلم بالكتاب.

وعنه صلى الله عليه وآله: قيدوا العلم، قيل: وما تقييده؟ قال: كتابته

وأيضا عنه صلى الله عليه وآله: اكتبوا العلم قبل ذهاب العلماء، وإنما ذهاب العلم بموت العلماء.

وعن الإمام الحسن عليه السلام - لما دعا بنيه وبني أخيه -: إنكم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: اكتبوا فإنكم لا تحفظون إلا بالكتاب

وعنه عليه السلام - لأبي بصير -: دخل عليّ أناس من أهل البصرة فسألوني عن أحاديث وكتبوها، فما يمنعكم من الكتاب؟!. أما إنكم لن تحفظوا حتى تكتبوا.

وعنه عليه السلام: القلب يتكل على الكتابة.

كما كان هناك ترغيب وحث على التأليف والكتابة، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم تكون تلك الورقة يوم القيامة سترا فيما بينه وبين النار، وأعطاه الله تبارك وتعالى بكل حرف مكتوب عليها مدينة أوسع من الدنيا سبع مرات.

وعنه صلى الله عليه وآله: من كتب عني علما أو حديثا لم يزل يكتب له الأجر ما بقي ذلك العلم[1]. ونظرا لهذا كان اهتمام شيعة آل البيت عليهم السلام بالتأليف

(١) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، ج ٣ ص ٢٦٦٣

والتصنيف والكتابة، وازداد الأمر في أيام الصادقين عليهما السلام، حيث انبعث تلامذتهما للكتابة والتدوين لكل ما سمعوه منهما من علم ومعرفة.

وقام بعض أولئك المؤلفين بعرض إنتاجهم التأليفي على الأئمة عليهم السلام، الذين أمضوا ما ألفه أولئك وأثنوا على خطواتهم في حفظ العلم والمعرفة.

ومن هؤلاء عبيد الله الحلبي الذي ألف كتابا عده بعض الرجاليين أول كتاب صنفه الشيعة، وعرضه على أبي عبد الله عليه السلام، فصححه وقال – عند قراءته –: «أترى لهؤلاء مثل هذا؟» أي هل يوجد عند غير الشيعة مثله؟ وهو يدل على منزلة الكتاب وصاحبه عند الإمام عليه السلام. وقد كان كتاب الحلبي مشهورا، حتى كان غيره يُعرَّف به، فقد نجد في ترجمة محمد بن عبد الله الصفار في رجال النجاشي أن له نسخة كتاب تشبه كتاب الحلبي؛ مبوبة كبيرة.

ثم تمت رعاية تلك الكتب والأصول، وتناقلها يدا بيد مع رواية اللاحق عن السابق، ومقابلتها مع ما قاله الراوي السابق. واجتمعت تلك الأصول في فترة متأخرة ـ باسم الأصول الأربعمائة ـ في يد المحدثين الكبار أصحاب الموسوعات الحديثية، وكانت قد وصلت إليهم في الغالب بطرق معتبرة، وقام هؤلاء بتنظيمها وتبويبها على أساس المواضيع غالبا، فقلت الحاجة إلى تلك الأصول، وتم التخلي عنها، مع أنها كانت موجودة ـ أو أكثرها ـ إلى وقت متأخر[1]..

---

(١) مما يشير إلى كون كتاب الحلبي مشهورا أيام الشريف المرتضى رحمه الله (المتوفى سنة ٤٣٦هـ) ما ورد في كتابه: رسائل المرتضى ج ١ ص ٢٧٩:

مسألة رابعة عشر (السؤال عن الرجوع إلى الكتب الثلاثة) ما يشكل علينا من الفقه نأخذه من رسالة علي بن موسى بن بابويه القمي، أو من كتاب الشلمغاني، أو من كتاب عبيد الله الحلبي؟ الجواب: الرجوع إلى كتاب ابن بابويه وإلى كتاب الحلبي أولى من الرجوع إلى كتاب الشلمغاني على كل حال. كما أنه قد ذكر صاحب الوسائل رحمه الله أن الصدوق صرح في أكثر من موضع عن أن كتاب عبيد الله بن علي الحلبي كان موجودا عنده.

ومن روى كتاب عبيد الله بن علي الحلبي، المرأة الفاضلة فاطمة بنت هارون بن موسى بن الفرات التي روت الكتاب عن جدها موسى بن الفرات، والذي روى الكتاب بدوره عن محمد بن أبي عمير، وقد ذكر الشيخ الطوسي ذلك في رجاله: في ترجمة فاطمة بنت هارون في باب النساء، وعدها فيمن لم يرو عنهم عليهم السلام.

وهي وإن لم تروِ عنهم مباشرة إلا أنها بروايتها لكتاب الحلبي المذكور دخلت في جملة الرواة الحافظين لتراث الأئمة عليهم السلام.

ومع الأسف أنا لا نجد ترجمة كافية لهذه المرأة الفاضلة إلا أن روايتها للكتاب المذكور عن جدها يبين جانبا من اهتماماتها وتوجهاتها..

جدير بالذكر أن والدها هارون بن موسى بن الفرات كان له مكاتبة مع وكيل صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه، كما كان قد طلب ـ في رسالة للإمام المنتظر الدعاء في فكاك ابني أخيه، وكانا معتقلين لدى أجهزة الدولة. فكتب بأصابعه على ورق ـ من دون أن يكون هناك دواة أو ما يكتب به ـ في ذلك، فجاءه الجواب باسمهما وأنه عليه السلام يدعو لهما!!

٥- أمامة بنت محمد بن علي الجواد عليه السلام

تآخى العناء والغربة مع حياة أهل البيت عليهم السلام منذ أن اختار هؤلاء نصرة دين الله تعالى، ومنذ أن أجاب أمير المؤمنين عليه السلام نداء رسول الله في يوم الدار: أيكم يؤازرني على هذا الأمر؟ فلبى الوصي نداء النبي صلى الله عليه وآله وعندها كان ينبغي أن يدفع ـ وولده ـ ثمن ذلك..

ونقدوا الرسالةَ والشريعة ثمن ذلك، وأعطوا من أنفسهم ما بخل به غيرهم!! ولم يخلُ زمانٌ من صور (الشهادة) على ذلك العطاء السخي.

بعض تلك الصور هي لوحات دماء قانية لونت أراضي المعارك، بدءا من بدر وأحد ومرورا بكربلاء وباخمرى وفخ، وبعضها كان بلون الحديد الذي صدئ على سيقان وأذرع العلويين، ولم تصدأ عزائمهم!!

وتشظت مقابرهم تباعدا وافتراقا، بعدما (شطت بهم غربة النوى)، فتلك (مشاهدهم) شاهدة على حالهم مع الغربة، والغربة معهم! فهاهم:

بعض بطيبة مدفون وبعضهم ... بكربلاء وبعض بالغريين
وأرض طوس وسامرا وقد ضمنت ... بغداد بدرين حلاّ وسط قبرين

وبقدر ما كان ذلك الثمن الباهظ مكلفا ومجهدا، كان نافعا ومفيدا، فقد أنبت هؤلاء في كل أرض وصلوها غراس معرفة وجهاد، وغرسوا في

كل بقعة بذور رسالة ونشاط، حتى ﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[1].

فكان أن صارت قم، تلك القرية البعيدة عن المعرفة والعلم، والتي لا ماؤها يحلو ولا هواؤها، وليس لها من مقومات البلد المهم شيء يذكر.. صارت قبلة الراغبين في العلم والمعرفة، وملقى عصا الترحال لجموع الأشعريين اليمانيين الذين أتعبهم التطواف بحثا عن ما يستقر به النوى..

كانت هجرة ـ بل هجرات أهل البيت عليهم السلام ـ رجالا ونساء، تلك الهجرات القسرية منها ـ وما أكثرها ـ والاختيارية، بوابة فتوح علمية، وانتصارات دعوية ورسالية، وتحولت أماكن من عداء أهل البيت عليهم السلام إلى موالية لهم، وشعوب من منحرفة عنهم إلى منحرفة إليهم!!

إن الغزو ـ كل الغزو ـ ليس في أن تحمل السلاح، وتحتل أرضا حتى إذا غابت عنها سلطة السلاح عادت إلى ما كانت عليه، أو بقيت على ما اعتادت عليه حين تأمن حد السيف.. ولكن الغزو هو في تغيير الثقافات، وتبديل الأنماط السلوكية، وإحلال قيم جديدة في المجتمع يتربى عليها الجيل بالتدريج، حتى يمسي بصبغة جديدة، ويحمل أهدافا متميزة..

لقد كانت مرة من المرات القليلة التي نظر فيها هارون الرشيد إلى الواقع بعين الفاحص الصادق، فقال مبينا هذه الحقيقة: أنا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر![2].. بينما كان أئمة أهل البيت عليهم السلام، أئمة القلوب والضمائر.

وهكذا تحولت بليدة قم، إلى موضع للموالين لأهل البيت عليهم السلام، ومحل لتلقي علوم محمد وآل محمد، وهكذا احتضنت رفات الذين هاجروا

(١) الحج:٥.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢/ ٨٦

إليها وعاشوا فيها حتى صارت (قم المقدسة) «عش آل محمد»!

كان ممن انتقلوا إلى (قم) عدد من أولاد الإمام الجواد عليه السلام، كان منهم زينب بانية المشهد المعصومي، ومجددة عمارته.. وكانت أختها أيضا أمامة.

وثمة أمر يستوقف الناظر للتأمل قليلا، وهو أن الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام والذي لم يرزق بنسل من أم الفضل بنت المأمون مع حرصها وحرص المأمون على ذلك بينما رزق من غيرها الولد والبنات.. وفي هذا مجال عبرة لمعتبر..

الإمام الجواد رزق بعدة من البنات، وكل واحدة من تلكم البنات كانت في مستوى عظيم من الإنتاج والشخصية المتميزة.. فلو تتبعت شخصية السيدة حكيمة ابنته والتي سيأتي الحديث عنها، ورأيت هذه الشخصية الفاضلة علما، والمدبرة للأمور في وقت كانت السلطة العباسية تسعى ـ جهدها ـ لاستئصال الوضع الشيعي.

أو تتبعت حياة بانية المشهد، ومجددته بعدما كاد يندثر أو يضيق بأهله، وقد ذكرنا عنها شيئا مختصرا..

أو هذه المرأة الصالحة التي هاجرت إلى تلك الديار لكي تبدأ فيها مشوار التعليم ونشر الفكر الإمامي. لوجدت من العظمة لوحات قد رسمتها أنامل تلك السيدات الطاهرات، وأن المجد لم يكن (ذكوريا) فقط.

أمامة (أو ميمونة) والأول هو الأكثر، واحدة من نساء أهل البيت الذين اقترنوا مع الغربة، امرأة هاجرت بدينها، ولدينها وختمت حياتها في أرض قم التي صارت بوجود هذه المراقد والقبور (مقدسة).



في رحاب الإمام العسكري عليه السلام

١	نرجس: الوالدة المكرمة للمنقذ الأعظم
٢	حكيمة بنت محمد بن علي الجواد عليهما السلام
٣	أم كلثوم بنت أبي جعفر عثمان بن سعيد العمري
٤	أم علي بن زيد بن علي العلوي
٥	أم أحمد النيسابورية



موجز عن حياة
الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام

أبو محمد ٢٣٢- ٢٦٠هـ:

ولد في ربيع الآخر سنة ٢٣٢ هـ.

تولى الإمامة بعد شهادة والده الإمام علي الهادي عليه السلام في سنة ٢٤٥هـ.

شهد عصره ألوانا من الكبت السياسي والفكري مارسها الحكام العباسيون ضده وضد أتباعه من شيعة أهل البيت عليهم السلام. وبقدر ما كان هؤلاء الحكام قساة في حق المؤمنين كانوا ضعفاء أمام الجنود الأتراك وقادتهم، حيث كان هؤلاء القادة يتصرفون كما يشاءون ويعزلون الخليفة متى يريدون.

كان من حكام عصره المعتز بن المتوكل الذي تنازل له المستعين عن الخلافة، ثم قام بقتل المستعين وتولى الحكم سنة ٢٥٢هـ، وكثرت الاضطرابات في عهده ثم خلع سنة ٢٥٥هـ حيث ضرب بالسهام وكان يلطم أمام الناس، ثم منع من الطعام والشراب حتى هلك..

وأيضا منهم المهتدي بن الواثق بن المعتصم الذي بويع سنة ٢٥٥هـ وخلع سنة ٢٥٦هـ وكان يتهدد أتباع الأئمة بالتصفية، وقتل سنة خلعه على يد الأتراك.

ومنهم المعتمد العباسي الذي بويع له سنة ٢٥٦ وبقي مدة عشرين سنة.

سجن الإمام الحسن العسكري عليه السلام خلال هذه المدة ثلاث مرات في عهود الخلفاء الثلاثة، وكان يهدد بالقتل.

كان للإمام العسكري دور متميز في حركة الأمة يتمثل في إعداده الأمة لمرحلة الغيبة، وهو في ذلك كان عليه أن يمارس دورا ذا زاويتين حادتين: - التمويه على الجهاز الحاكم وإخفاء ولادة الإمام المهدي- (عجل الله فرجه)، وكانت المهمة عسيرة إذ جندت السلطة كل أعوانها لمراقبة ورصد ذلك الإمام المنتظر للقضاء عليه. ومن جهة أخرى كان لا بد من التصريح بولادته، بل إظهاره للمقربين من أتباع الإمام ووكلائه. وكانت هاتان - المهمتان تتعارضان فالأولى تتطلب أقصى درجات الإخفاء والتقية والثانية تقتضي الإظهار.

كذلك قام الإمام العسكري بتهيئة الأرضية اللازمة، لتعامل المؤمنين مع مرحلة الغيبة والاختفاء حيث سيقدر الله للإمام المهدي أن يختفي عن الأنظار، فلذلك اتخذ الإمام العسكري أسلوب الاحتجاب لفترات، واعتمد أسلوب الإرجاع إلى الوكلاء، لكي تعتاد الأمة على هذين الأمرين.

استشهد سنة ٢٦٠ هـ، مسموما وعمره ٢٨ سنة. ودفن في سامراء.

١- نرجس: الوالدة المكرمة للمنقذ الأعظم

يا أبا بصير: (القائم) هو الخامس من ولد ابني موسى، ابن سيدة الإماء

الإمام الصادق عليه السلام

❁ ❁ ❁ ❁

هل يعقل أن يخطط الله نظام الكون لينتهي إلى هذه النهايات البائسة؟

وهل يمكن أن يخلق الله البشر، ومعهم هذه القدرات المتفاوتة ليظلم بعضهم بعضا، ويأكل بعضهم رزق بعض، ويقتل الأقوياء منهم الضعفاء؟

هل يعقل أن يستمر ليل البائسين، فلا ينفلق عن صبح نعيم؟ وأن يتطاول مشوار النفق المظلم، من دون بصيص نور، أو بارقة أمل؟

أم أن هناك أملا إلهيا، ووعدا ربانيا، به يملأ الله الأرض قسطا وعدلا[١]

---

(١) الناظر يلاحظ محورية القسط والعدل في روايات المهدي المنتظر، وجهة ذلك ما نراه من أن السبب الرئيس في الفساد العالمي هو فقدان القسط والعدل، فأنت ترى الفساد السياسي مرجعه إلى الظلم والجور، والفساد الأخلاقي كذلك، بل فساد الأنفس مرجعه إلى ﴿فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الروم:٩) فزوال النعم عن الأمم وبوار الدنيا، ونهاية الحضارات هي بسبب الظلم كما في كتاب الله العزيز ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (النمل:٥٢).. =

كما ملئت ظلما وجورا؟[1]

حتى لو لم يكن لدينا هذا العدد الهائل[2] من الروايات التي تتحدث عن ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه في آخر الزمان، لكان يلزم أن يهدي الفكر السليم إلى لزوم وجوده، وحتمية ظهوره.

بل إن هذه القضية (قضية المصلح المنتظر) مما تتفق عليها الديانات السماوية وإن اختلفت في المصاديق، والتفاصيل. لكن أصل لزوم قيام المصلح العالمي المعَدّ من قبل الله سبحانه، مما لا يختلفون فيه.

غير أن فئة من الذين لم يجدوا برد اليقين أبدا، واصطلوا بحمى الشك

= ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ (الحج:٤٥) ولا غرابة في ذلك فإن «الظلم في الدنيا بوار وفي الآخرة دمار» وهو «يزل القدم ويسلب النعم ويهلك الأمم» كما في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام. ويكفيك أنه «لا أثر بعد عين».

(١) في أحاديث الفريقين مثلما: نقل ابن حبان في صحيحه ١٥/ ٢٣٨: عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي أقنى يملأ الأرض عدلا كما ملئت قبله ظلما يملك سبع سنين..

ونقل الطبراني في المعجم الكبير ج ١ / ١٣٣: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا..

وفي روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام عدد كبير بهذا النص، وأكثرها معتبر السند ـ وإن كانت مع كثرتها وتضافرها لا تحتاج إلى تحقيق سندي ـ مثل موثقة أبي بصير، التي رواها ابن بابويه القمي في كتابه الإمامة والتبصرة بسنده عن أبي بصير عن الصادق جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خلقا وخلقا، تكون له غيبة وحيرة حتى تضل الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يقبل كالشهاب الثاقب، فيملاها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا.

(٢) ذكر بعض المحققين أن الروايات الواردة من طرق السنة حول شؤون المهدي تزيد على أربعمائة حديث، ومن طرق الشيعة تزيد على خمسة آلاف.

والتردد صاروا إلى إنكار بعض تفاصيل هذه القضية، مثل إنكار ميلاده ووجوده، مع أن التاريخ يثبت ذلك، ولا أعلم ماذا يصنعون عندما ينظرون إلى ما روي كثيرا عن الأمور التي رافقت ولادته المباركة، والتي تعمد فيها والده المكرم إظهار أمر الولادة بوسائل مختلفة.. فمنها:

ـ ما روته السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام وقد ذكرت تفاصيل الولادة المباركة، وتقدم نص حديثها في ترجمتها، فليراجع.

ـ ومنها قيام الإمام العسكري عليه السلام نفسه بإخبار عدد من خلص أصحابه، ليكون عندهم ذلك معلوما وليسروا به(١) كما سرّ هو به، ومنها قيامه عليه السلام بالعقيقة لعموم شيعته وقد أكثر من ذلك(٢).

ـ ومنها استقبال الإمام للشيعة المهنئين له بولادة صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف(٣).

ـ كما قام سلام الله عليه، بتشريف بعض الأصحاب بإراءتهم المنقذ الأكبر عندما كان طفلا صغيرا.. منهم: من كان في بيت من الغلمان والخدم

---

(١) في بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٦: عن أحمد بن الحسن بن إسحاق القمي قال: لما ولد الخلف الصالح عليه السلام ورد من مولانا أبي محمد الحسن بن علي، على جدي أحمد بن إسحاق كتاب وإذا فيه مكتوب بخط يده عليه السلام الذي كان يرد به التوقيعات عليه: ولد المولود فليكن عندك مستورا وعن جميع الناس مكتوما فإنا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته والمولى لولايته أحببنا إعلامك ليسرك الله به كما سرنا والسلام.

(٢) وكذلك فيه عن أبي جعفر العمري قال: لما ولد السيد (الحجة) عليه السلام قال أبو محمد عليه السلام: ابعـثوا إلي أبي عمرو، فبعث إليه فصار إليه فقال: اشتر عشرة آلاف رطل خبزا وعشرة آلاف رطل لحما وفرقه أحسبه قال: على بني هاشم وعق عنه بكذا وكذا شاة.

وفيه أيضا عن محمد بن إبراهيم الكوفي أن أبا محمد عليه السلام بعث إلى (بعض) من سماه لي بشاة مذبوحة قال: هذه من عقيقة ابني محمد.

(٣) عن الحسن بن الحسين العلوي أنه قال: دخلت على سيدنا أبي محمد الحسن العسكري بسر من رأى فهنأته بسيدنا صاحب الزمان .

مثل أبي غانم الخادم، ونسيم الخادمة. وأبو عمرو عثمان بن سعيد العمري (وكيل الإمام العسكري وسفير الحجة فيما بعد، والذي وثقه ـ وابنه ـ الرجاليون بتبع توثيق الإمام له «العمري وابنه ثقتان ما أديا فعني يؤديان وما قالا فعني يقولان» حيث أجاب على سؤال أحمد بن إسحاق القمي عندما سأله: هل رأى الخلف من أبي محمد؟ فقال: إي والله[1].

بلى.. كان الظالمون يخططون للقضاء على خط الإمامة ونسل الحسن العسكري عليه السلام وأراد الله ـ ولا راد لإرادته ـ أن يبقى هذا الخط وذلك النسل الطاهر. تماما مثلما قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «.. زعم الظلمة أنهم يقتلونني ليقطعوا هذا النسل فكيف رأوا قدرة الله» وسماه المؤمل.

❁ ❁ ❁ ❁

حظيت سيدة الإماء[2] بعناية تامة كما تنقل قصة وصولها إلى البيت الطاهر، وأنها رأت في منامها رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوها للإسلام، وأنها سوف تكون زوجة لأحد أبنائه، فتعلق قلبها بهذا الدين وبنبيه العظيم، وكانت تنتظر حصول الفرصة لأن تلتحق ببلاد المسلمين حيث أن أصولها رومية، وقد كانت من الأسر المالكة عندهم (من سلالة شمعون الوصي)، فلم يكن هينا أن تهرب مثلا، ولا أن تعلن عن رغبتها تلك لأسرتها، لكن المناسبة تهيأت عندما حصلت حرب بين المسلمين والروم[3]، كانت الغلبة فيها

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي ٢٤٤.

(٢) ورد تلقيبها بذلك في كلمات أمير المؤمنين، والحسن، والصادق والكاظم، والرضا عليهم السلام

(٣) ليس هناك تفاصيل عن هذه المعركة والتي ذكرت في سياق قصتها التي ينقلها العلامة المجلسي رحمه الله في البحار عن كتاب الغيبة للشيخ الطوسي قدس سره.. ولكن نقل ابن كثير في البداية والنهاية ج ١٠ ص ٣٩٠ ما يلي:.. ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين فيها أغزى المنتصر وصيفا التركي الصائفة لقتال الروم، وذلك أن ملك الروم قصد بلاد الشام، فعند ذلك جهز المنتصر وصيفا وجهز معه نفقات وعددا كثيرة، وأمره إذا فرغ من قتال الروم أن يقيم بالثغر أربع سنين، وكتب له إلى محمد بن عبد الله بن طاهر نائب =

للمسلمين، وكان أن سبيت فيها هذه المرأة، فوصلت إلى بغداد وكان البيت العلوي ينتظر قدومها حتى تصبح أم القائد الأعظم.

وينقل لنا شيخ الطائفة الطوسي في كتابه الغيبة[1] كيفية وصول هذه السيدة إلى بيت الإمام عليه السلام فيقول:

قال بشر بن سليمان النخاس وهو من ولد أبي أيوب الأنصاري أحد موالي أبي الحسن وأبي محمد وجارهما بسر من رأى: أتاني كافور الخادم فقال: مولانا أبو الحسن علي بن محمد العسكري يدعوك إليه فأتيته فلما جلست بين يديه قال لي: يا بشر إنك من ولد الأنصار وهذه الموالاة لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف وأنتم ثقاتنا أهل البيت وإني مزكيك ومشرفك بفضيلة تسبق بها الشيعة في الموالاة بسر أطلعك عليه، وأنفذك في ابتياع أمة فكتب كتابا لطيفا بخط رومي ولغة رومية وطبع عليه خاتمه وأخرج شقة صفراء فيها مائتان وعشرون دينارا فقال: خذها وتوجه بها إلى بغداد واحضر معبر الفرات ضحوة يوم كذا فإذا وصلت إلى جانبك زواريق السبايا وترى الجواري فيها ستجد طوايف المبتاعين من وكلاء قواد بني العباس وشرذمة من فتيان العرب فإذا رأيت ذلك فأشرف من البعد على المسمى عمر بن يزيد النخاس عامة نهارك إلى أن تبرز للمبتاعين جارية صفتها كذا وكذا لابسة حريرين صفيقين تمتنع من العرض ولمس المعترض والانقياد لمن يحاول لمسها وتسمع صرخة رومية من وراء ستر رقيق فاعلم أنها تقول: واهتك ستراه فيقول بعض المبتاعين علي ثلاثمائة دينار فقد زادني العفاف فيها رغبة فتقول له بالعربية: لو برزت في زي

= العراق كتابا عظيما فيه آيات كثيرة في التحريض للناس على القتال والترغيب فيه..

فقد تكون هذه المعركة (غزو الصيف) والتي يوافق تاريخها، قريبا من تاريخ ولادة الإمام الحجة عجل الله فرجه، حيث أنها قبل ولادته بسنتين، فلعل هذه الفترة كانت هي الفترة التي قدمت فيها السيدة نرجس إلى بيت الإمام العسكري عليه السلام، وكان أن تزوج بها فولدت له الحجة المنتظر.

(١) صفحة ٢٠٨، ولسنا في مقام نقد الرواية سندا، وإنما ننقلها عن الكتاب وعهدتها عليه.

سليمان بن داود وعلى شبه ملكه ما بدت لي فيك رغبة فأشفق على مالك فيقول النخاس: فما الحيلة ولابد من بيعك فتقول الجارية: وما العجلة ولابد من اختيار مبتاع يسكن قلبي إليه وإلى وفائه وأمانته. فعند ذلك قم إلى عمر بن يزيد النخاس وقل له: إن معك كتابا ملطفة لبعض الأشراف كتبه بلغة رومية وخط رومي ووصف فيه كرمه ووفاءه ونبله وسخاءه تناولها لتتأمل منه أخلاق صاحبه فان مالت إليه ورضيته فأنا وكيله في ابتياعها منك. قال بشر بن سليمان: فامتثلت جميع ما حده لي مولاي أبو الحسن عليه السلام في أمر الجارية فلما نظرت في الكتاب بكت بكاء شديدا وقالت لعمر بن يزيد: بعني من صاحب هذا الكتاب وحلفت بالمحرجة والمغلظة أنه متى امتنع من بيعها منه قتلت نفسها فما زلت أشاحّه في ثمنها حتى استقر الأمر فيه على مقدار ما كان أصحبنيه مولاي عليه السلام من الدنانير فاستوفاه وتسلمت الجارية ضاحكة مستبشرة وانصرفت بها إلى الحجيرة التي كنت آوي إليها ببغداد، فما أخذها القرار حتى أخرجت كتاب مولانا عليه السلام من جيبها وهي تلثمه وتطبقه على جفنها وتضعه على خدها وتمسحه على بدنها..

وهكذا صارت هذه السيدة الجليلة في بيت الإمامة، منذ أيام الإمام الهادي عليه السلام لتحتضنها اليد القديرة في بناء الإنسان، والمربية الحكيمة (حكيمة بنت الجواد عليه السلام) فـ« دخلت، أم المهدي إلى بيت الإمامة.. جارية من نسل شمعون الوصي، شاء لها سعدها، وطيب نفسها أن يكتب لها الله سبحانه هذه المنزلة العالية..

سليل، سوسن، نرجس، ريحانة، مليكة.. وغيرها، أسماء مختلفة لشخصية واحدة هي زوجة الإمام العسكري والتي شاء الله أن تكون وعاء لحجة الله الكبرى، وآيته العظمى صاحب النهضة العالمية الإمام المهدي عجل الله فرجه. تعدد الأسماء يكشف عن حراجة الوضع الذي كان يعيش فيه الإمام ويكشف عن حالة التخفي وراء عناوين متعددة وأسماء مختلفة، من قبل زوجته، أم المهدي عجل الله فرجه، فقد نمي إلى علم السلطة أن

الحسن قد تزوج في عهد أبيه الهادي، من امرأة يتوقع أن تكون أم الموعود المنتظر، وظلوا يراقبون الأمر، إلى أن كبسوا دار الإمام بعد شهادة أبيه الهادي عليه السلام، وفتشت الدار والدور القريبة منها أيضا، وأمروا بتفتيش النساء، ومعرفة أسمائهن، والتعرف على من تكون منهن عليها آثار الحمل.. وكان تعددا الأسماء منجيا عن المراقبة، فإذا طلبوا سليل فليست هنا، وإنما الموجودة هي سوسن، ولو طلبوا ريحانة فالموجودة هي نرجس، وهكذا..

بينما كانت أم المهدي، في عهدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام، والتي كانت قد نهلت من علوم أبيها الجواد ما جعلها تليق بمكانة أستاذة لأم آخر الأوصياء المعصومين، فقد قال الإمام العسكري عليه السلام عندما قرر الزواج من نرجس لعمته حكيمة، أن تأخذها عندها فتعلمها فرائض الإسلام، وعلوم النبوة وثقافة أهل البيت فنادى أحد غلمانه وقال له: يا كافور ادع لي أختي حكيمة فلما دخلت عليه قال عليه السلام لها: هاهيه فاعتنقتها طويلا وسرت بها كثيرا فقال لها مولانا: يا بنت رسول الله أخرجيها إلى منزلك وعلميها الفرائض والسنن فإنها زوجة أبي محمد وأم القائم عليه السلام. وبالفعل فقد بقيت في بيت حكيمة مدة من الزمان حتى لقد عرفت بين الناس بأنها جارية حكيمة، وعلى يد بنت الجواد عليه السلام، أخذت من علوم أهل البيت عليهم السلام الكثير، ولولا أن الدور الذي كان ينتظر السيدة نرجس، كان يتطلب الكتمان والتخفي، لظهر من آثار تلك العلوم والمعارف شيء ليس بالقليل. ولقد برعت التلميذة فيما أخذت، وبلغت من الفضل ما بلغت، إلى الحد الذي نرى فيه السيدة حكيمة عليها السلام فيما بعد تسوي حذاءها، وعندما تعترض نرجس على ذلك تواضعا، تقول لها حكيمة: أنا فداك وجميع العالمين!!..

بلى؛ لا يعرف الفضل إلا أهله)[1].

---

(١) يراجع ترجمة حكيمة بنت محمد بن علي الجواد عليه السلام في هذا الجزء.



٢- حكيمة بنت
محمد بن علي الجواد عليهما السلام

توفيت بعد سنة ٢٦٢ هجرية.

❁ ❁ ❁ ❁

يتعجب الناظر إلى التاريخ حينا، ويمتلئ غضبا حينا آخر، عندما يرى أن المفاصل الأساسية التي اعتمد عليها هيكل الحضارة الإسلامية، وبناء الدين الشامخ، تخلو منها كتب كثير من المؤرخين، ويمرون عليها غير كرام!! فلا يعطونها حقها من الذكر. بينما تمتلئ صفحات كتبهم بقصص السقوط، وتفاهات الحاكمين، ومن في بلاطهم.

ويأتي الجيل الذي يريد الاطلاع على تأريخ أمته، فلا يجد في ذلك التاريخ إلا المخازي، خمريات يزيد شعرا وشربا، وشهويات هارون قولا وفعلا.. (فقد شغف بجارية لأبيه المهدي كان قد دخل بها ـ أي المهدي ـ فامتنعت عليه، وقالت له: لا أصلح لك إن أباك قد طاف بي).. وزاد غرامه بها فأرسل خلف الفقيه أبي يوسف، فقال له: أعندك شيء في هذا؟ فأفتى أبو يوسف بما خالف كتاب الله وسنة نبيه قائلا: يا أمير المؤمنين أوكلما ادّعت أمة شيئا ينبغي أن تصدق؟ لا تصدقها فإنها ليست بمأمونة!! وقد أفتى أبو يوسف بما يوافق هوى هارون وأعرض عما حكم به الإسلام من تصديق النساء على فروجهن!!

وتعلق هواه بجارية فأمر وزيره بحيى أن يدفع ثمنها وكان مائة ألف دينار، فاستكثر يحيى المال واعتذر عن دفعه فغضب الرشيد (!) فأراد يحيى أن يبين له مقدار ما يتحمله بيت المال من هذا الإسراف الذي لا مصلحة فيه ولا منفعة، فجعل المال دراهم، فبلغت مليونا فوضعها في الرواق الذي يمر به الرشيد إذا أراد الوضوء، فلما رأى ذلك استكثره وأدرك إسرافه. وجبي مال عظيم من بقايا خراج الموصل فأمر بصرفه أجمع إلى بعض جواريه فاستعظم الناس ذلك وتحدثوا به، وأصاب أبو العتاهية من ذلك شبه الجنون فقال له خالد بن الأزهر: ما بك يا أبا العتاهية؟ فقال: سبحان الله أيدفع هذا المال الجليل إلى امرأة؟؟

وإذا كان المؤرخون المعاصرون للخلفاء يدافعون عنهم طمعا في دنياهم وأموالهم، فلا أعلم لماذا يدافع مثل ابن خلدون عن هارون قائلا بأنه: لم يكن الرجل بحيث يوقع محرما من أكبر الكبائر عند أهل الملة ولقد كان أولئك القوم كلهم بمنجاة من ارتكاب السرف والترف في ملابسهم وزينتهم وسائر متناولاتهم لما كانوا عليه من خشونة البداوة وسذاجة الدين التي لم يفارقوها..

ولا أعلم هل كان أولئك الحاكمون على السذاجة، أو المؤرخون الذي كتبوا عنهم ـ كابن خلدون ـ زاعمين أنه لم يكن على تلك الحال بل كان يغزو عاما ويحج عاما!!.. نعم لو كانت غزواته كالتي ذكرت أعلاه، فلم تكن كل عام بل ربما كل يوم..

أوردت لك عزيزي القارئ، نموذجا لكي تعرف مقدار الجناية التي ارتكبت بحق تاريخ الأمة الحقيقي، عندما أُبرز تاريخها وكأنه تاريخ البلاط والقصور والخمريات، والشعراء المرتزقة، والفقهاء الطالبين على أبواب السلاطين، بينما كان تاريخها الحقيقي هو تاريخ العلم، ونشر الشريعة، وقصص العفة والفضيلة، تاريخ الجهاد بأكبره وأصغره، تاريخ الإمامة.

❁ ❁ ❁ ❁

والآن عزيزي القارئ.. هلم لنفتح صفحة من أطهر الصفحات، لامرأة نسلت من أطهر البيوت، وقد قامت بدور سيكون مرتبطا به مصير استمرار الإمامة، والولاية. تلك هي حكيمة بنت الإمام محمد بن علي الجواد، أخت الإمام علي الهادي، وعمة الإمام الحسن العسكري عليهم السلام جميعا. ولا بد أن نتعرف قليلا على الدور الذي عاشت فيه هذه السيدة الطاهرة، وهو الذي يبدأ من أيام المتوكل العباسي ثم المنتصر، ثم المستعين ثم المعتز والمهتدي والمعتمد (ما بين ٢٣٢ و ٢٥٦هـ).

ويذكر المؤرخون عن هذه الفترة مواصفات مشتركة، من أهمها الضعف العام الذي استولى على مؤسسة الحكم، ففقدت حتى احترامها الظاهري بين الناس بل بين أعوانها الأتراك الذين اصبحوا فيما بعد سادتها، فكانوا ينصبون ويعزلون كما يشاؤون، إلى الحد الذي تذكر فيه هذه الطرفة التي تحكي عن الحالة آنئذ: لما جلس المعتز على سرير الخلافة قعد خواصه وأحضروا المنجمين وقالوا لهم: انظروا كم يعيش وكم يبقى في الخلافة، وكان بالمجلس بعض الظرفاء، فقال: أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته، فقالوا: فكم تقول أنه يعيش وكم يملك؟ فقال: مهما أراد الأتراك!! فلم يبق في المجلس إلا من ضحك..

والملاحظ أنه في نفس الوقت الذي زاد ضعف الخلفاء امام الأتراك، كانوا يستأسدون على المؤمنين لا سيما على أهل البيت عليهم السلام، وهذه المعادلة يبدو أنها عند الحاكمين تجري كقاعدة، بينما العكس هو الموافق للحكمة، فنرى البعض من الحاكمين عندما يزداد ضعفهم يزداد عنفهم على شعوبهم، فيقمعون كل كلمة، ويحاربون كل تجمع، ويهدمون كل قوة، خوفا ورعبا، بينما لو اتجهوا إلى هذه الشعوب، وأعطوها بعض ما لها من حقوق لزادت قوتهم، ولتغلبوا على ضعفهم، ولانتصروا على عدوهم.

انظر إلى المتوكل فهو في نفس الوقت الذي يتآمر عليه الأتراك ـ وهم

صنائعه ـ حتى انتهى الأمر بهم أن قتلوه، بدلا من أن يتجه إلى إكرام المسلمين من رعيته، ولا سيما أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا به يعلن عليهم الحرب، فيحرث قبر الحسين، ويمنع الناس من زيارته، ويسجن الإمام عليا الهادي عليه السلام، ويتهدده بالقتل بين فترة وأخرى، وبزعم الدفاع عن السنة، فقد حول فتنة خلق القرآن إلى سيف سلطه على كل من عارضه، فوقع الناس بين مطرقة خلق القرآن أيام المأمون والواثق وبين سندان القول بقدمه أيام المتوكل!!

وجاءت أدوار من بعده لتسوء الحالة أكثر ـ باستثناء فترة قصيرة أيام المنتصر ـ، وبحسب ما كان لدى الحكام العباسيين، وغيرهم من علم بأن المهدي الموعود الذي وردت صفاته، وبُشر به من أيام رسول الله، وهو الثاني عشر من الأئمة سيكون من ولد الإمام العسكري، وعلى يده سيكون إزالة الظلم والانحراف، وإقامة حكومة العدل الإلهي بقيادة مهدي آل محمد، فأعلنوا حالة طوارئ قصوى في البلاد، وسعوا جهدهم للقضاء عليه قبل أن يشتد عوده، ففرضوا الإقامة الجبرية على أبيه العسكري عليه السلام، وكان منزله مراقبا طول الوقت، وكان كل تغيير يحصل في الوضع العام على مستوى الحاكم، لا بد أن يفتتح أمره بسجن الإمام عليه السلام، فقد سجن في أيام المستعين العباسي، ثم لما خلعه الأتراك وأمروا بقتله، وأتوا بالزبير بن المتوكل الملقب بالمعتز، وكان هذا كأبيه في نصبه وعدائه لأهل البيت عليهم السلام، كان أول ما افتتح به عهده هو إعادة الإمام إلى السجن بعدما كان قد أفرج عنه، وهلك هذا الثاني (المعتز) في ما قيمته خمسون ألف دينار فقد طلب منه قادته الأتراك هذا المبلغ ليوزعوه على أنصارهم، ولم يكن في خزينة الدولة التي انهارت هذا المبلغ، فخف المعتز إلى أمه المسماة (قبيحة) وطلب منها أن تعينه في ذلك، وكانت تملك ما يقارب من مليون وثمانمائة ألف دينار، مخبأة هذا عدا عن غيرها من الجواهر!

وجاء «ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه» المسمى بالمهتدي،

وعلى سنة أسلافه مضى، وكعاقبة سابقيه انتهى.. وفي عهد التالي له، المعتمد استشهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وكان لا يزال في ريعان شبابه.

في هذا الوضع الحرج، حيث كان الاتصال بين الإمام وبين شيعته ممنوعا، ومنزله مراقبا، والمنتظر ابنه مترقبا، والأمور كلها في حالة استثنائية.. كان من المهم أن تتم ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه، بنحو خاص ينجو فيه من الرقابة، وكان ما يعرض للشيعة من مشاكل ومسائل يحتاجون فيها إلى رأي الإمام عليه السلام، لا بد من وصوله إليهم، من دون اتصال مباشر.

وهنا تجلى الدور الحكيم، للسيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام، فقد مارست دورها كأفضل ما يمكن لأحد أن يمارسه..

حكيمة معلمة لأم المهدي:

في أيام الإمام علي الهادي عليه السلام دخلت، أم المهدي إلى بيت الإمامة.. جارية من نسل شمعون الوصي، شاء لها سعدها، وطيب نفسها أن يكتب لها الله سبحانه هذه المنزلة العالية..

« سليل، سوسن، نرجس، ريحانة، مليكة.. وغيرها، أسماء مختلفة لشخصية واحدة هي زوجة الإمام العسكري والتي شاء الله أن تكون وعاء لحجة الله الكبرى، وآيته العظمى صاحب النهضة العالمية الإمام المهدي عجل الله فرجه. تعدد الأسماء يكشف عن حراجة الوضع الذي كان يعيش فيه الإمام ويكشف عن حالة التخفي وراء عناوين متعددة وأسماء مختلفة، من قبل زوجته، أم المهدي عجل الله فرجه، فقد نمي إلى علم السلطة ان الحسن قد تزوج في عهد أبيه الهادي، من امرأة يتوقع أن تكون أم الموعود المنتظر، وظلوا يراقبون الأمر، إلى أن كبسوا دار الإمام بعد شهادة أبيه الهادي عليه السلام، وفتشت الدار والدور القريبة منها أيضا، وأمروا بتفتيش النساء، ومعرفة أسمائهن، والتعرف على من تكون منهن عليها آثار الحمل.. وكان

تعددا الأسماء منجيا عن المراقبة، فإذا طلبوا سليل فليست هنا، وإنما الموجودة هي سوسن، ولو طلبوا ريحانة فالموجودة هي نرجس، وهكذا..

بينما كانت أم المهدي، في عهدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام، والتي كانت قد نهلت من علوم أبيها الجواد ما جعلها تليق بمكانة أستاذة لأم آخر الأوصياء المعصومين، فقد قال الإمام العسكري عليه السلام عندما قرر الزواج من نرجس لعمته حكيمة، أن تأخذها عندها فتعلمها فرائض الإسلام، وعلوم النبوة وثقافة أهل البيت فنادى أحد غلمانه وقال له: يا كافور ادع لي أختي حكيمة فلما دخلت عليه قال عليه السلام لها: هاهيه فاعتنقتها طويلا وسرت بها كثيرا فقال لها مولانا: يا بنت رسول الله أخرجيها إلى منزلك وعلميها الفرائض والسنن فإنها زوجة أبي محمد وأم القائم عليه السلام. وبالفعل فقد بقيت في بيت حكيمة مدة من الزمان حتى لقد عرفت بين الناس بأنها جارية حكيمة، وعلى يد بنت الجواد عليه السلام، أخذت من علوم أهل البيت عليهم السلام الكثير، ولولا أن الدور الذي كان ينتظر السيدة نرجس، كان يتطلب الكتمان والتخفي، لظهر من آثار تلك العلوم والمعارف شيء ليس بالقليل. ولقد برعت التلميذة فيما أخذت، وبلغت من الفضل ما بلغت، إلى الحد الذي نرى فيه السيدة حكيمة عليها السلام فيما بعد تسوي حذاءها، وعندما تعترض نرجس على ذلك تواضعا، تقول لها حكيمة: أنا فداك وجميع العالمين!!.. بلى؛ لا يعرف الفضل إلا أهله».

حكيمة الحاضرة في ولادة المنقذ:

مع أن الكثير كان يحب التشرف بخدمة الأئمة، إلا أن هناك أمورا لا يمكن أن يطلع عليها إلا من ملئ إيمانا ويقينا، وبلغ مرحلة من الكمال بحيث لا يخضع لضغط الظهور، وحب الشهرة.. لقد أفسد هذا الأمر كثيرا من خطط العاملين، وأضاع فرصا كبيرة على المؤمنين، ولكن في مثل هذه القضية التي يرتبط بها مصير العالم والرسالة الإسلامية لا مجال للتساهل..

ها أنت ترى الإمام العسكري يكتم الاسم (اسم الحجة) فضلا عن المكان بالنسبة إلى قسم من المؤمنين، ويتدخل الغيب لكي يسدل ستارا من الخفاء على الولادة المباركة، وهاهي مليكة (أو نرجس أو سوسن..) تمارس حياتها الطبيعية من دون آثار ظاهرة للحمل، تشي بها للناظر، يساعدها في ذلك التخفي عن أنظار الأغراب كثرة أسمائها، ولذا نقل أن إحدى الجواري ممن كانت في بيت الإمام العسكري عليه السلام اشتبه على جواسيس السلطة أمرها، ورأوا في بطنها انتفاخا فأخذوها وأودعوها في حجرة ووكل بها نحرير الخادم، وبعض النسوة لحراستها.. إلى أن حدثت تغيرات سياسية على مستوى تغيير الخليفة، فلهوا عن أمرها، وكانت تلك المرأة بمثابة الفداء لأم المهدي في تلك الفترة.

وهنا كانت حكيمة الحاضرة في ولادة نور الله في ظلمات الأرض، ولنستمع إليها تذكر لنا قصة الولادة المباركة:

حدثنا محمد بن الحسن بن الوليد رضي الله عنه قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار قال: حدثنا أبو عبد الله الحسين بن رزق الله (عبيد الله) قال: حدثني موسى بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: حدثتني حكيمة بنت محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب عليهم السلام قالت: بعث إلي أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام فقال: يا عمة اجعلي إفطارك [هذه] الليلة عندنا فإنها ليلة النصف من شعبان فإن الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة والحجة وهو حجته في أرضه قالت: فقلت له: ومن أمه قال لي: نرجس قلت له: جعلني الله فداك ما بها أثر فقال: هو ما أقول لك قالت: فجئت فلما سلمت وجلست جاءت تنزع خفي وقالت لي: يا سيدتي [وسيدة أهلي] كيف أمسيت فقلت: بل أنت سيدتي وسيدة أهلي قالت: فأنكرت قولي وقالت: ما هذا يا عمة؟ قالت: فقلت لها: يا بنية إن الله تعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاما سيدا في الدنيا والآخرة قالت: فخجلت واستحيت فلما أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة

أفطرت وأخذت مضجعي فرقدت فلما كان في جوف الليل قمت إلى الصلاة ففرغت من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادث ثم جلست معقبة ثم اضطجعت ثم انتبهت فزعة وهي راقدة ثم قامت فصلت ونامت قالت حكيمة: وخرجت أتفقد الفجر فإذا أنا بالفجر الأول كذنب السرحان وهي نائمة فدخلني الشكوك فصاح بي أبو محمد عليه السلام من المجلس فقال: لا تعجلي يا عمة فهاك الأمر قد قرب قالت: فجلست وقرأت (الم السجدة) و (يس) فبينما أنا كذلك إذا انتبهت فزعة فوثبت إليها فقلت: اسم الله عليك ثم قلت لها: أتحسين شيئا قالت: نعم يا عمة فقلت لها: اجمعي نفسك واجمعي قلبك فهو ما قلت لك قالت: فأخذتني فترة وأخذتها فترة فانتبهت بحس سيدي فكشفت الثوب عنه فإذا أنا به عليه السلام ساجدا يتلقى الأرض بمساجده فضممته إليّ[1].

وكانت حكيمة فيما بعد الاختفاء والغيبة، تحدث بذلك من تثق به، وتبين له ولادة الإمام الحجة، وما رافقها من الكرامات الإلهية[2].

حكيمة السفيرة والواسطة:

كانت الظروف التي أحاطت بشهادة الإمام العسكري عليه السلام، بالغة التعقيد خصوصا مع تربص الحكومة العباسية بالإمام بعده، فكانت تنتظر خروجه على الناس سواء في تشييع أبيه أو الصلاة عليه، أو فيما بعد حين يتصدى لمباشرة أمور الإمامة، وكان الإمام العسكري عليه السلام قد اعد الأتباع

(١) كمال الدين ٤٢٤.

(٢) ذكر ولادته الشافعي محمد بن طلحة في مطالب السؤول وقال أما مولده فهو بسرمن رأى سنة ٢٥٨، ومحمد بن يوسف الكنجي الشافعي في كتابه كفاية الطالب في باب ذكر الأدلة على كون المهدي حيا باقيا منذ غيبته إلى الآن. وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة في ذكر طرف من أخباره وغيبته، ومدة قيام دولته، أما أبوه فالحسن وأما أمه فنرجس. وسبط ابن الجوزي في تذكرة خواص الأئمة وابن خلكان وغيرهم من علماء العامة وللتفصيل يراجع كتاب الإمام المهدي للعلامة الشيخ باقر القرشي، وأما من الشيعة فكل من كتب حول الإمامة أثبت ذلك.

مبدئيا للتعامل مع إمام غير ظاهر، عن طريق تأكيد دور الوكلاء والنواب[1]، وإرجاع المؤمنين إليهم. وربما أنتجت تلك الفترة حيرة لبعض الناس الذين لم يشأ لهم وضعهم الديني ووعيهم أن يكونوا في جو ما يحدث، وفي تفاصيله، كما نجد في عصرنا الحاضر أيضا أن قسما من الناس مع أنهم يعيشون في المجتمع إلا أنهم لا يعيشون في تفاصيل ما يحدث فيه من قضايا، وليس من الصالح إطلاعهم على تلك التفاصيل.. فإذا حدث الأمر الذي كانوا غائبين عن مقدماته حصل لهم نوع من التشويش والاضطراب.. وهذا ما حصل لقسم من الناس بعد شهادة العسكري، خصوصا مع تصدي أخيه جعفر لمقام الإمامة من غير حق، بدعم من السلطة العباسية واختفاء الإمام المهدي عجل الله فرجه.

وأما حكيمة فقد «كانت مخصوصة بالأئمة عليهم السلام، ومودعة أسرارهم، وكانت أم القائم عندها وكانت حاضرة عند ولادته وكانت تراه حينا بعد حين في حياة أبي محمد العسكري عليه السلام، وكانت من السفراء والأبواب بعد وفاته». كما يقول شيخنا المجلسي رضوان الله عليه. ولذلك ربما رجع إليها بعض المؤمنين لسؤالها عما يرتبط بأمور الإمامة، فقد حدث محمد بن عبد الله الطهوي قال: قصدت حكيمة بنت محمد عليه السلام بعد مضي أبو محمد عليه السلام أسألها عن الحجة وما قد اختلف فيه الناس من الحيرة التي هم فيها فقالت لي: اجلس فجلست ثم قالت: يا محمد إن الله تبارك وتعالى لا يخلي الأرض من حجة ناطقة أو صامتة ولم يجعلها في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام تفضيلا للحسن والحسين وتنزيها لهما أن يكون في الأرض عديلهما إلا أن الله تبارك وتعالى خص ولد الحسين بالفضل على ولد الحسن عليهما السلام كما خص ولد هارون على ولد موسى عليه السلام وإن كان موسى حجة على هارون والفضل لولده إلى يوم القيامة ولابد للأمة من حيرة يرتاب فيها

---

(١) يراجع كتاب نظام الإدارة الدينية عند الشيعة الإمامية، للمؤلف.

المبطلون ويخلص فيها المحقون كيلا يكون للخلق على الله حجة وإن الحيرة لابد واقعة بعد مضي أبي محمد الحسن عليه السلام فقلت: يا مولاتي هل كان للحسن عليه السلام ولد فتبسمت ثم قالت: إذا لم يكن للحسن عليه السلام عقب فمن الحجة من بعده وقد أخبرتك أنه لا إمامة لأخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام فقلت: يا سيدتي حدثيني بولادة مولاي وغيبته عليه السلام... ثم ذكرت حديث الولادة بما سبق أن ذكرناه..

كذلك أحمد بن إبراهيم قال دخلت على حكيمة بنت محمد بن علي الرضا أخت أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام في سنة اثنتين وستين ومائتين فكلمتها من وراء حجاب وسألتها عن دينها فسمت لي من تأتم بهم ثم قالت: والحجة ابن الحسن بن علي فسمته فقلت لها: جعلني الله فداك معاينة أو خبراً، فقالت: خبراً عن أبي محمد عليه السلام كتب به إلي فقلت لها فأين الولد فقالت: مستور! فقلت: إلى من تفزع الشيعة فقالت لي: إلى الجدة أم أبي محمد عليه السلام فقلت لها: أقتدي بمن وصيته إلى امرأة فقالت: اقتداء بالحسين بن علي عليهما السلام فإن الحسين بن علي عليهما السلام أوصى إلى أخته زينب بنت على في الظاهر فكان ما يخرج عن على بن الحسين عليهما السلام من علم ينسب إلى زينب سترا على علي بن الحسين عليهما السلام ثم قالت: أنكم قوم أصحاب أخبار أما رويتم أن التاسع من ولد الحسين بن علي عليهما السلام يقسم ميراثه وهو في الحياة.

توفيت السيدة الجليلة حكيمة بعد مدة من غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه، وقد نقل عنها بعضهم أنه دخل عليها في المدينة في سنة ٢٦٢ للهجرة، وقد سألها مسائل.. وهذا آخر ما ذكر عنها في ثنايا كتب الروايات، وأما كتب التاريخ فلم تترك رواية الغنائيات، وأحوال العابثات والعابثين مجالا للمؤرخين لكي يتحدثوا عن هذه الأنوار الساطعة، والصفحات المضيئة.

٣- أم كلثوم بنت
أبي جعفر عثمان بن سعيد العمري

توفيت بعد سنة ٣٢٦هـ.

❁ ❁ ❁ ❁

بين حدي الجحود والغلو ابتلي أهل البيت عليهم السلام بأتباع، لم يَعرفوا أو جحدتها أنفسهم بعد المعرفة..

ولا نزال نرى آثار ذلك الجحود التاريخي في (عدم انحياز) أكثرية الأمة لأهل البيت، ووقوفها على الحياد (السلبي) تجاه منهجهم وطريقتهم، فقههم وفكرهم، بالرغم من أمر الرسول ﷺ للأمة أن تتمسك بهم، وأن تسير خلفهم.

فأنت تطالع كتب الفقه فلا ترى فيها ذكرا لهم، وكتب الصحاح (تتورع!!) عن النقل عنهم، وفي السياسة العامة لا ترى أثرا لهم.. وهكذا. فكأن هذا الإبعاد التاريخي الذي حصل، والانتهاك التام لحقوق أهل البيت من قبل أهل السياسة والدنيا لم يكن كافيا، حتى يكمله (ولا كمال فيه) هؤلاء. فكان بلاء أهل البيت عليهم السلام مع هؤلاء الجاحدين لهم ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَآ آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾؟

وكان البلاء الآخر لهم عليهم السلام فئات الغلاة، بينما بقيت شيعتهم

«النمرقة الوسطى». فئات الغلاة الذين اختلطت فيهم الدوافع في مزيج غريب، يختلف بحسب اختلاف الأفراد والأدوار، والأزمان أحيانا. لكن يجمعهم أنهم يرون في المعصومين أنهم «فوق البشر». بينما الحق أنهم كانوا «خير البشر».

ومع أن ظاهر هؤلاء هو أنهم يدافعون عن ذوات الأئمة ويدعون لهم، ويردون إليهم حقهم أمام منكريه، إلا أن هؤلاء أكثر ضررا من أولئك على (منهج) أهل البيت.

* نقص معرفة عوام الغلاة بالمعصومين يجعل هؤلاء غير قادرين على الجمع بين المنازل التي أحلهم الله إياها، والنعم التي أولاهموها، وجريان الكرامات على أيديهم، و... وبين كونهم بشرا يتعاملون مع الواقع الخارجي بكل ظروفه من محن، وآلام ومتاعب. وفي ذلك أجرهم العظيم. هذا النقص في المعرفة يأتي قسم آخر ممن يعرفون ولكن «حليت الدنيا في أعينهم»، ويستغلونه فيجندون البسطاء حولهم باعتبارهم هم المدافعون وهم العارفون، والأبواب للأئمة، بل يصعدون إلى ما هو أعلى من ذلك أن روح الأئمة قد حلّت فيهم، وأصبحت جزءا منهم! وبالتالي فإن على الأتباع أن يقدسوا من حلّت فيه روح الإمام!! وأن يطيعوا أوامره وأن لا يعصوا له أمرا[1]!

فأنت تنظر عزيزي القارئ أن هؤلاء قد بدؤوا مما ظاهره الدفاع عن حق الأئمة، وانتهوا إلى مصالح أنفسهم الشخصية وتقديس ذواتهم هم دون الأئمة.

* وهم في ذلك يسلكون طرقا خاصة، فهم يؤكدون على أن هذا الأمر لا يفهمه سائر الناس وإنما ـ أنت وحدك الذي تسمعهم ـ هو الفاهم

---

(١) للتفصيل يراجع كتاب الحياة الشخصية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، للمؤلف.

والعارف، وأما الباقي فهم لا يفقهون شيئا.. العلماء الكبار هؤلاء رجال فقه!! ولا يفهمون في المنازل الروحية، والعرفان، والخلوات.. الخ. والذي تسمعه أنت أو تعرفه منهم هذا أمر عظيم لا يصح أن يطّلع عليه الآخرون!! وإنما جاء الاختصاص بك، لمنزلتك العالية وتوفيقك الإلهي! وبهذا يكسبون الشخص لأنهم يشبعون فيه تقدير ذاته، و(ينبهونه) إلى عظم نفسه!!

* قد يرتقي الحال إلى مرتبة يعرّف فيها أشخاص الغلو بأن هذه المنزلة التي وصلها لعظم معرفته، ما لم يصله سواه من عامة الناس، يفترض فيه أن تكون عبادته مختلفة عن عبادة غيره، وهنا يأتي دور التأويل، فيكفي من الإيمان معرفة الإمام مثلا، ويكفي من الصلاة تحقيق أهدافها، ويكفي من الصوم كذا.. الخ. فتسقط التكاليف الشرعية والأحكام من قاموس حياته بالتدريج، يكتفى مثلا بالدعاء والأوراد والأحراز.. وينتهي هذا الإنسان إلى (فاسق) بحسب التصنيف الشرعي لمن ترك العبادات والواجبات عامدا.. وهو يظن نفسه في أعلى الدرجات!! سالكا إلى الله.

ولو حصل أن تمت مواجهتهم من قبل العلماء، بل حتى من قبل الأئمة كما حدث تاريخيا، فإنهم يؤولون الأمور على غير ظاهرها، ويحملون الكلمات ما لا تحتمل، كما صنع الشلمغاني عندما خرج لعنه من قبل الإمام الحجة عجل الله فرجه، فقد أول لعنه ـ وهي كلمة لا يوجد أوضح منها ـ بما ينفعه عند أتباعه.

ثم إنهم يختارون ضحاياهم، فهم يبحثون عن غير أهل العلم، من ذوي المستوى البسيط الذي يمكن التمويه عليه وعن غير المتصلين بالمنابع العلمية الصافية، وعن النساء اللاتي هن ـ إجمالا وبحسب الطبع العاطفي ـ أميل إلى التصديق والقبول لاسيما إذا كان شيئا عليه هالة من القدسية.

لكنهم لو واجهوا من يعرفهم، ويكشفهم فإنهم لا يستطيعون، وهذا ما حصل مع أم كلثوم. تُرى من هي هذه المرأة؟

أم كلثوم بنت أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري.. عاشت في جو علمي موالٍ لأهل البيت عليهم السلام، بل في جو العلماء والسفراء والوكلاء ولم تكن بعيدة عن ما يجري فيه من المعرفة والفهم الديني العميق ولذا نجد أن حفيدها هبة الله بن أحمد الكاتب قد روى عنها كثيرا، وهو بدوره كان مكثرا في الكتابة التصنيف وكان والدها وجدها[1] سفيرين للإمام الحجة عجل الله فرجه في فترة الغيبة الصغرى، وزوجها أحمد بن إبراهيم بن نوبخت[2] خصيصا بوالدها السفير الثاني ومقربا منه في أموره، ثم اختص بالسفير الثالث أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي حتى كانت رسائل الحسين بن روح إلى الشيعة والتي فيها توجيهات الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه تخرج بخط زوجها أحمد بن إبراهيم النوبختي.

وهي نفسها كانت محل ثقة السفير الثالث، وكان يعتمد عليها فيما يظهر من الرواية التي سنذكرها فيما بعد ـ في توجيه النساء وتعليمهن، وكان لها هي منزلة رفيعة لعلمها. لكنها عندما لاحظت تيار الغلو والانحراف أخبرت السفير الثالث باعتبار أنه **﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾**.

فقد روى شيخ الطائفة الطوسي رضوان الله عليه في كتابه الغَيبة، عند حديثه عن المذمومين من الوكلاء أن منهم أبا جعفر ابن أبي العزاقر المعروف بالشلمغاني:

– أخبرني الحسين بن إبراهيم عن أحمد بن نوح عن أبي نصر هبة الله بن

---

(١) في الرواية أن أبا محمد الحسن العسكري عليه السلام قال لأحد أصحابه: «العمري ـ أي عثمان بن سعيد جدها ـ وابنه ثقتان فما أديا إليك فعني يؤديان وما قالا لك فعني يقولان فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان». راجع: رجال حول أهل البيت ج ٢.

(٢) ذكر ابن النديم في ذيل ترجمة بعض المتكلمين من الإمامية أن بني نوبخت معروفون بولاية علي وولده. وذكر في أعيان الشيعة أسماء اثنين وعشرين متكلما من متكلميهم على مذهب الإمامية، ومن بينهم عبد الله بن إبراهيم أخ زوج المترجمة، وذكر أيضا أحد أحفادها

محمد بن أحمد الكاتب ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري ﵁ قال: حدثتني الكبيرة أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري ﵁ قالت: كان أبو جعفر بن أبي العزاقر وجيها عند بني بسطام. وذاك أن الشيخ أبا القاسم رضي الله تعالى عنه وأرضاه كان قد جعل له عند الناس منزلة وجاها.

فكان عند ارتداده يحكي كل كذب وبلاء وكفر لبني بسطام ويسنده عن الشيخ أبي القاسم فيقبلونه منه ويأخذونه عنه حتى انكشف ذلك لابي القاسم رضي الله عنه فأنكره وأعظمه ونهى بني بسطام عن كلامه وأمرهم بلعنه والبراءة منه فلم ينتهوا وأقاموا على توليه. وذاك أنه كان يقول لهم: إنني أذعت السر وقد أخذ علي الكتمان فعوقبت بالإبعاد بعد الاختصاص لان الأمر عظيم لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن ممتحن فيؤكد في نفوسهم عظم الأمر وجلالته.

فبلغ ذلك أبا القاسم ﵁ فكتب إلى بني بسطام بلعنه والبراءة منه وممن تابعه على قوله وأقام على توليه فلما وصل إليهم أظهروه عليه فبكى بكاء عظيما ثم قال: إن لهذا لقول باطنا عظيما وهو أن اللعنة الإبعاد فمعنى قوله: لعنه الله أي باعده الله عن العذاب والنار والآن قد عرفت منزلتي ومرغ خديه على التراب وقال: عليكم بالكتمان لهذا الأمر.

قالت الكبيرة رضي الله عنها: وقد كنت أخبرت الشيخ أبا القاسم أن أم أبي جعفر بن بسطام قالت لي يوما وقد دخلنا إليها فاستقبلتني وأعظمتني وزادت في إعظامي حتى انكبت علي رجلي تقبلها. فأنكرت ذلك وقلت لها: مهلا يا ستي فإن هذا أمر عظيم وانكببت على يدها فبكت ثم قالت: كيف لا أفعل بك هذا وأنت مولاتي فاطمة فقلت لها وكيف ذاك يا ستي. فقالت لي: إن الشيخ أبا جعفر محمد بن علي خرج إلينا بالسر.

قالت: فقلت لها: وما السر قالت: قد أخذ علينا كتمانه وأفزع إن أنا أذعته عوقبت قالت: وأعطيتها موثقا أني لا أكشفه لأحد واعتقدت في نفسي

الاستثناء بالشيخ رضي الله عنه يعني أبا القاسم الحسين بن روح.

قالت: إن الشيخ أبا جعفر قال لنا: إن روح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انتقلت إلى أبيك يعني أبا جعفر محمد بن عثمان رضي الله عنه وروح أمير المؤمنين عليه السلام انتقلت إلى بدن الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح وأن روح مولاتنا فاطمة عليها السلام انتقلت إليك فكيف لا أعظمك يا ستنا.

فقلت لها: مهلا لا تفعلي فإن هذا كذب يا ستنا فقالت لي: هو سر عظيم وقد أخذ علينا أننا لا نكشف هذا لأحد فالله الله في لا يحل بي العذاب ويا ستي فلولا أنك حملتيني على كشفه ما كشفته لك ولا لأحد غيرك.

قالت الكبيرة أم كلثوم رضي الله عنها: فلما انصرفت من عندها دخلت إلى الشيخ أبي القاسم بن روح رضي الله عنه فأخبرته بالقصة وكان يثق بي ويركن إلى قولي فقال لي: يا بنية إياك أن تمضي إلى هذه المرأة بعدما جرى منها ولا تقبلي لها رقعة إن كاتبتك ولا رسولا إن أنفذته إليك ولا تلقيها بعد قولها فهذا كفر بالله تعالى وإلحاد قد أحكمه هذا الرجل الملعون في قلوب هؤلاء القوم ليجعله طريقا إلى أن يقول لهم: بأن الله تعالى اتحد به وحل فيه كما يقول النصارى في المسيح عليه السلام ويعدو إلى قول الحلاج لعنه الله.

قالت: فهجرت بني بسطام وتركت المضي إليهم ولم أقبل لهم عذرا ولا لقيت أمهم بعدها وشاع في بني نوبخت الحديث فلم يبق أحد إلا وتقدم إليه الشيخ أبو القاسم وكاتبه بلعن أبي جعفر الشلمغاني والبراءة منه وممن يتولاه ورضي بقوله أو كلمه فضلا عن موالاته.

ثم ظهر التوقيع من صاحب الزمان عليه السلام بلعن أبي جعفر محمد بن علي والبراءة منه وممن تابعه وشايعه ورضي بقوله وأقام على توليه بعد المعرفة بهذا التوقيع.

❀ ❀ ❀ ❀

ولم يكن ينقص الشلمغاني علمٌ ولا معرفة، وإنما كانت المشكلة في التهذيب النفسي وفي مقاومة مغريات الدنيا من جاه ومال، ولذا كانت حاجة من هم في معرَض الابتلاء الدنيوي أكثر من غيرهم، كانت الحاجة إلى التهذيب النفسي والتذكر الأخروي أكثر من غيرهم، ولعل هذا ما كان يصنعه الحسين بن روح النوبختي رضوان الله عليه كما تنقل ذلك لنا أم كلثوم بنت العمري ـ كما نقل ذلك عنها حفيدها هبة الله الكاتب:

حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد الدلال القمي قال: دخلت على أبي جعفر محمد بن عثمان رضي الله عنه يوما لأسلم عليه فوجدته وبين يديه ساجة ونقاش ينقش عليها ويكتب آيا من القرآن وأسماء الأئمة عليهم السلام على حواشيها.

فقلت له: يا سيدي ما هذه الساجة فقال لي: هذه لقبري تكون فيه أوضع عليها أو قال: أسند إليها وقد عرفت منه وأنا في كل يوم أنزل فيه فأقرأ جزءا من القرآن (فيه) فاصعد وأظنه قال: فأخذ بيدي وأرانيه فإذا كان يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا صرت إلى الله عز وجل ودفنت فيه وهذه الساجة معي.

فلما خرجت من عنده أثبت ما ذكره ولم أزل مترقبا به ذلك فما تأخر الأمر حتى اعتل أبو جعفر فمات في اليوم الذي ذكره من الشهر الذي قاله من السنة التي ذكرها ودفن فيه.

مضى الشلمغاني..
وتوفي الحسين بن روح
وماتت أم كلثوم..
بقي العذاب والذكر السيئ للأول..

وصار الثاني إلى أئمة الهدى، وحشرت بنت العمري مع أبيها وجدها، يشيعهم ذكر جميل ولسان صدق في الآخرين. وفي ذلك عبرة للمعتبر.



٤- أم علي بن زيد بن علي العلوي، بنت القاسم بن عقيل العقيلية

عرف الزيدية في تاريخهم، بأمور منها: أنهم كانوا من حملة السلاح الثائر، ومن المؤمنين بأن «السيف أصدق أنباء من الكتب»، وأنه لا يفل (حديد) الأصفاد إلا (حديد) السيف. ولهذا فقد احتلوا صدارة كتب التاريخ بمواجهتهم للحكومات المتسلطة، وشجاعتهم المتميزة.

كما عرفوا أيضا بأنهم لم يكونوا ـ في الغالب ـ على وفاق تام مع خط أئمة أهل البيت عليهم السلام لو استثنينا بعض الفترات القليلة كفترة الشهيد زيد بن علي[1] عليه السلام الذي كان محلا لتقدير أهل البيت وثنائهم، وكانت ثورته موضع تأييد من قبل الأئمة ولا سيما الصادق عليه السلام[2].

---

(١) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فقيه من فقهاء أهل البيت، وثائر ضد الحكم الأموي، نهض في الكوفة آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر، فواجهه الأمويون وأنصارهم، في معركة شرسة انتهت بشهادته، وكان مقتله يوم الاثنين الثاني من صفر سنة ١٢٠هـ وكان سنه يومئذ اثنتين وأربعين سنة..

(٢) كما في صحيحة عيص بن القاسم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عليكم بتقوى الله وحده لا شريك له.. فانظروا على أي شيء تخرجون ولا تقولوا خرج زيد، إن زيدا كان عالما وكان صدوقا ولم يدعكم إلى نفسه، إنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام، ولو ظهر لوفى بما دعاكم إليه، إنما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه..

وعبد الرحمن بن سيابة، قال: دفع إلي أبو عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام =

غير أننا في الفترات المتأخرة نلتقي بنموذج قد جمع بين الأمرين، وهو علي بن زيد بن الحسين بن عيسى بن زيد.. فهو من جهة يعد من الثائرين على الحكم العباسي ومن أخرى هو من الملتزمين بنهج أهل البيت والمعتقدين بإمامتهم عليهم السلام.

ونحن لا نتوقع أن يكون مثل هذا التوجه بعيدا عن تربية الوالدين، للشخص حتى ينشأ هذه النشأة.. ولا شك أنه كان لوالدته وهي أيضا هاشمية من أحفاد عقيل بن أبي طالب فهي بنت القاسم بن عقيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب، قد كان لها دور كبير في تربية الولد لكي ينشأ هذه النشأة.

وهذه من النقاط التي ينبغي أن تلاحظ في دراسة الشخصيات، فإن الغالب هو أن يُنظر إلى هذه الشخصيات بما هي، ومجردة عن العوامل المؤثرة في هذه الشخصية، من أثر الوالدين، والتربية التي تلقاها الشخص، والبيئة التي عاش فيها، مع أن هذه كلها عوامل مباشرة في التأثير على حياته.

ومع هذا نجد أن دور هؤلاء لا سيما الأمهات غالبا ما يكون مغفولا عنه وغير مذكور، وإذا ذكر التاريخ شيئا منه فإنما يذكره بنحو عابر..

على أي حال: فإن هذا الثائر العلوي، كان قد صحب الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام واستفاد من علومه، ورأى من الدلالات على إمامته ما

= ألف دينار وأمرني أن أقسمها في عيال من أصيب مع زيد بن علي عليه السلام، فقسمتها فأصاب عبد الله بن الزبير أخا الفضيل الرسان أربعة دنانير.. يعني عياله.

وما عن إسماعيل بن محمد (السيد الحميري) قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام بعد ما قتل زيد بن علي، قال عليه السلام: رحمه الله أما إنه كان مؤمنا وكان عارفا وكان عالما وكان صدوقا، أما إنه لو ظفر لوفى، أما انه لو ملك لعرف كيف يضعها..

وقد قال السيد الخوئي في المعجم / ٨: وإن استفاضة الروايات أغنتنا عن النظر في إسنادها..

جعله يزداد اعتقادا به. فقد حدث يقول: صحبت أبا محمد عليه السلام من دار العامة إلى منزله، فلما صار إلى الدار، وأردت الانصراف، قال: «أمهل» فدخل ثم أذن لي فدخلت، فأعطاني مائة دينار، وقال: «صيرها في ثمن جارية، فإن جاريتك فلانة قد ماتت». وكنت خرجت من المنزل وعهدي بها أنشط ما كانت، فمضيت فإذا الغلام قال: ماتت جاريتك فلانة الساعة. قلت: ما حالها؟ قال: شربت ماء فشرقت، فماتت[1].

وكان يقول: قال: كان لي فرس، وكنت به معجبا أكثر ذكره في المجالس، فدخلت على أبى محمد عليه السلام يوما فقال: «ما فعل فرسك؟ إلى أن ذكر أنه مات، قال: ثم دخلت على أبي محمد عليه السلام، وأقول في نفسي ليته أخلف عليّ دابة، فقال قبل أن أتحدث بشيء: «نعم، نخلف عليك، يا غلام أعطه برذوني الكميت - ثم قال - هذا خير من فرسك، وأطول عمرا وأوطأ»[2].

وفي أيام الإمام العسكري عليه السلام أعلن علي بن زيد ثورته على الحاكم العباسي المهتدي، وكان في الكوفة، فخرج معه عدد من أهلها ممن ناصره..

قال أبو الفرج الأصفهاني في كتابه مقاتل الطالبيين: حدثني علي بن سليمان الكوفي، قال: قال لي أبي: كنا مع علي ابن زيد ونحن زهاء مائتي فارس نازلين ناحية من سواد الكوفة، وقد بلغنا خبر الشاه بن الميكال ونحن معه، فقال لنا علي بن زيد: إن القوم لا يريدون غيري، فاذهبوا أنتم في حل من بيعتي، فقلنا: لا والله لا نفعل هذا أبدا، فأقمنا معه.

ووافانا الشاه في جيش عظيم لا يطاق، فدخلنا من رعبه أمر عظيم، فلما رأى ما لحقنا من الجزع قال لنا: اثبتوا وانظروا ما أصنع، فثبتنا وانتضى

---

(١) الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي، ص ٢١٦

(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ٨ ص ٢٥٦.

سيفه، ثم قنع فرسه وحمل في وسطهم يضربهم يمينا وشمالا، فأفرجوا له حتى صار خلفهم وعلا على تلعة فلوّح إلينا، ثم حمل من خلفهم، فأفرجوا له حتى عاد إلى موقعه. ثم قال لنا: ما تجزعون من مثل هؤلاء، ثم حمل ثانية ففعل مثل ذلك وعاد إلينا، وحمل الثالثة وحملنا معه فهزمناهم أقبح هزيمة، فكانت هذه قصته، إلا أن أهل الكوفة لم يخفوا معه لما لحقهم في أيام يحيى بن عمر من القتل والأسر.

وفي تأريخ ابن الأثير في حوادث سنة ٢٥٦هـ: في هذه السنة ظهر علي بن زيد العلوي بالكوفة، واستولى عليها، وأزال عنها نائب الخليفة، واستقر بها، فسير إليه الشاه بن ميكال في جيش كثيف، فالتقوا واقتتلوا فانهزم الشاه، وقتل جماعة كثيرة من أصحابه ونجا الشاه. ثم وجه المعتمد إلى محاربته كيجور التركي، وأمره أن يدعوه إلى الطاعة ويبذل له الأمان، فسار كيجور فنزل بشاهي، وأرسل إلى علي بن زيد يدعوه إلى الطاعة وبذل له الأمان، فطلب علي أمورا لم يجبه إليها كيجور، فتنحى علي بن زيد عن الكوفة إلى القادسية، فعسكر بها، ودخل كيجور إلى الكوفة ثالث شوال من السنة. ومضى علي بن زيد إلى خفان، ودخل بلاد بني أسد، وكان قد صاهرهم، وأقام هناك ثم سار إلى جنبلاء، وبلغ كيجور خبره، فأسرى إليه من الكوفة سلخ ذي الحجة من السنة، فواقعه فانهزم علي بن زيد وطلبه كيجور ففاته، وقتل نفرا من أصحابه وأسر آخرين[1].

رحم الله عليا، ورحم الله أمّاً ووالدة علمته كيف يأبى الضيم، وينتصر للحق..

---

(١) الإمام الحسن العسكري، للشاكري، ص٤٤١.

٥- أم أحمد النيسابورية،
زوجة سليمان بن الحسن الزراري

كنا قد تحدثنا عن أم الأسود الشيبانية[(١)]، التي كانت مفتاح البركة على أسرتها، فاستبصرت وأبصرت بعدها عائلة كاملة، كان منها رواد الفقه والتفسير والمناظرون في العقائد.. وهم الذين عرفوا فيما بعد بآل زرارة وحمران وفيهم قال ابن عقدة: كل واحد منهم يصلح أن يكون مفتي بلد.

وما بين تلك البداية وهذا الختام في عصر الإمام العسكري عليه السلام وابنه الحجة عجل الله فرجه الشريف، حيث أنجبت (أم أحمد) لزوجها سليمان بن الحسن، هذا العدد من الرواة والفقهاء، والذين كانت ترد توقيعات الأئمة عليهم، تتوسط مسيرة عظيمة[(٢)] من الولاء والتفقه على مبادئ أهل البيت عليهم السلام.

(١) راجع النساء حول الإمام الباقر عليه السلام

(٢) في الفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ج ١ ص ٢٥٥: تحدث عنهم، وذكر بكير وبين أنه فطحي لكنه ثقة، ثم قال: والممدوح بالتوثيق الصريح معه من آل أعين: زرارة وأبناؤه وعبيد، وعبد الله، ورومي، وضريس بن عبد الملك، والحسن بن الجهم ومحمد بن سليمان ابن الحسن، وأخوه أبو الحسن علي بن سليمان، وابن ابنه أبو غالب أحمد بن محمد، فهؤلاء عشرة من آل أعين، منصوص على توثيقهم. ولهم - عدا ضريس - ولحمزة بن حمران وأخيه محمد وعبد الرحمن بن أعين ومحمد بن عبيد الله بن أحمد - كتب مصنفة ذكرها الأصحاب. وقد جاء في مدح حمران بن أعين وجلالته وعظم محله، أخبار كادت تبلغ التواتر وفيما تقدم من كلام أبي غالب رحمه الله ما يقرب توثيقه، بل يقضي به، وفيه مدح (آل =

وهنا يستطيع المرء أن يتساءل بحق: هل أن الأمهات لسن سوى أوعية؟ وهل أنه لا تأثير لهن؟ إن الوعاء ليأخذ من السائل الذي يوضع فيه، بينما قانون الوراثة يقضي بأن المرأة تعطي لولدها من خَلقها وأخلاقها نصف المؤثرات! فكيف تكون (مجرد وعاء)؟

بل يمكن أن يتساءل القارئ: هل يعطي الله سبحانه لهذه المرأة هذا العدد من الأولاد الطيبين والعلماء المتفقهين، ومن ترد عليهم توقيعات الأئمة.. اعتباطا من دون مبرر؟ إن السؤال ليترقى إلى أكثر من هذا ليصل إلى حياة الرسل والأوصياء.. هل هي مصادفة أن يعطي الله نبيه محمدا الولد من خديجة؟ مع وجود غيرها؟ وهل يكون أمرا غير محسوب عندما يرزق الله الإمام وصيا من زوجة (أو أم ولد) دون باقي النساء؟

لا أعتقد ذلك، وإنما النتاج الطيب دليل الأصل الحسن على القاعدة، **﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلا نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾**[1].

على أي حال:

سليمان بن الحسن بن الجهم بن بكير بن أعين، وهو من أصحاب الإمام الهادي والإمام الحسن العسكري الذي لقبه بـ(الزراري) نسبة إلى زرارة أخ بكير بن أعين، سترا عليه وتورية، وكانت تصله مكاتبات وأجوبة

= أعين) عموما وخصوصا. وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام: أنه قال في بكير - بعد موته: «والله لقد أنزله الله بين رسوله صلى الله عليه وآله وبين أمير المؤمنين عليه السلام» وهذه منزلة عظيمة لا شيء فوقها. ومن الممدوحين - بالخصوص -: عبد الملك، وعبد الرحمن - ابنا أعين - والحسن والحسين - ابنا زرارة - ومحمد بن عبد الله بن زرارة. وتوثيقه قريب. وفي المعتبر - عن ثعلبة بن ميمون عن بعض رجاله - قال: قال ربيعة الرأي لأبي عبد الله عليه السلام: ما هؤلاء الأخوة الذين يأتونك من العراق ولم أر في أصحابك خيرا منهم ولا أبهى ولا أهيأ؟ قال «أولئك أصحاب أبي». - يعني: ولد أعين.

(١) الأعراف:٥٨.

أسئلة من الإمام بهذا الاسم.. هذا الرجل كان في الكوفة أول أمره ثم انتقل إلى خراسان، وتزوج من منطقة نيشابور بامرأة صالحة من وجوه أهلها وأرباب النعم فيها.

كان نتيجة ذلك الزواج عشرة: ستة من الذكور، وأربع إناث، وليس العدد هنا مهما إذ ما أكثر من يكون لديهم العدد الكبير من الأولاد، ولكن الكلام هو في أي شيء هم أولئك الأولاد.

توفي سليمان بن الحسن بعد سنة (٢٥٠هـ)، لكي يستلم أبناؤه الباقون أمور والدهم ومنها كونه دائم الاتصال بالإمام العسكري عليه السلام، أما أحمد الابن الأكبر فقد توفي في حياة أبيه. وأما محمد (المعروف بأبي طاهر) فقد كان يكاتب صاحب العصر والزمان إلى أن وقعت الغيبة، وهو ثقة عين وقد نقلت قصة عن وصية الإمام صاحب العصر لبعض المؤمنين أن يذهب إليه ويطلب منه مالا معينا كمساعدة له، فلباها أبو طاهر محمد بن سليمان، مما يشير إلى نمط العلاقة بينه وبين إمامه عليه السلام. وقد توفي سنة ٣٠٠هـ. وله كتاب المواعظ والآداب، وكتاب الدعاء.

وعلي بن سليمان الذي ذكره النجاشي فقال: أبو الحسن كان له اتصال بصاحب الأمر وخرجت إليه التوقيعات، وكان ورعا ثقة فقيها، لا يُطعن عليه بشيء. له كتاب النوادر.

إن مما يؤسف له أن لا يذكر التاريخ ولا الروايات، شيئا كثيرا عن تلك الأم المربية والمنجبة، وذلك لأن التاريخ إنما يريد كتابة النتائج والحوادث، وليس له ـ عادة ـ تعلقٌ بالمقدمات والإعدادات، لكننا نستطيع بكل ثقة أن نستدل على حسن المقدمات وجودتها من خلال النتاج الطيب والثمر الحسن.. وهو ما وجدناه في أبناء هذه المرأة الصالحة.



في رحاب الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

١	عاتكة بنت الديراني
٢	أم أبي العباس الزراري
٣	نسيم الخادمة
٤	طالبة البرهان البغدادية
٥	من هي الخامسة؟



موجز عن حياة الإمام
محمد بن الحسن المهدي عجل الله فرجه

أبو القاسم المنتظر ٢٥٥ هـ - حيّ باق:

ولد الإمام الحجة (عجل الله فرجه) سنة: ٢٥٥هـ.

تتفق جميع الديانات السماوية على فكرة المنقذ المنتظر، الذي يبعثه الله سبحانه في آخر الزمان لكي يزيل الفساد والجاهلية، ويرد الخلق إلى طريق الله عز وجل. ويتفق المسلمون على وجه الخصوص على أن الأرض لا تخلو من حجة ودليل وأن الله لم يكن ليهمل خلقه، بل للطفه بهم لا بد أن يجعل لهم طريقا يقربهم إلى الطاعة ويبعدهم عن المعصية.

تواترت الأخبار عن النبي عن المهدي، وأنه من ذرية الرسول، من ابنته فاطمة وأحفاد الحسين عليه السلام، وأنه الثاني عشر من الأوصياء.. وقد ورد من طرق السنة قرابة الأربعمائة- حديث على اختلاف تعابيرها ومن طرق الشيعة أكثر من ذلك بكثير. منها قوله: «لن تنقضي الأيام والليالي حتى يبعث الله رجلا من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي يملؤها عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا».

لما كان قد شاع الخبر واستفاض أن الإمام الحجة صاحب الثورة العالمية هو من أبناء الإمام العسكري فقد سعى العباسيون- آنئذ- للقبض

عليه حين يولد والقضاء عليه، لذلك قام والده الإمام العسكري بإخفائه، وتغييبه منذ ولادته، بينما قام الحكم العباسي بعدة مداهمات واقتحامات لبيت الإمام، وفرض رقابة حتى على النساء لمعرفة من تلد منهن، (والله غالب على أمره) فلم يستطع أولئك الحاكمون أن يطفئوا نور الله.

تولى مقاليد الإمامة بعد شهادة والده الإمام العسكري، وظل يقود أتباعه من خلال سفرائه الأربعة: عثمان بن سعيد العمري، ثم ابنه محمد، وبعده الحسين بن روح النوبختي وأخيرا علي بن محمد السمري، في فترة الغيبة الصغرى التي امتدت ٧٤ سنة، كما كان له أيضا عدد آخر من الوكلاء - دون منزلة السفراء- كإبراهيم بن مهزيار- وابنه محمد، وأحمد بن إسحاق الأشعري القمي، والقاسم بن علاء وغيرهم.

قبيل وفاة السفير الرابع علي بن محمد السمري، خرج من الإمام توقيع يخبر فيه أنه قد بدأت الغيبة الكبرى، وأنه لن يوجد بعد هذا سفير مباشر، وإنما يقوم العلماء والفقهاء بمسؤولية قيادة الناس على خط الإمام المنتظر عجل الله فرجه.

يمر على غيبته منذ أن غاب حتى الآن ألف ومائة عام من الزمان، والبشرية تنتظر خروجه، لإصلاح العالم. وليس هذا العمر الطويل بمستغرب بعدما ثبت وجوده بالأدلة العقلية والنقلية، وبعدما تم تأسيس أصل عقلي دلت عليه الأخبار من أن الأرض لا تخلو من حجة، وبعدما لم يمكن تطبيق أحاديث: «من مات وليس في عنقه بيعة لإمام مات ميتة جاهلية» إلا على البيعة معه وعلى نهجه، في هذا الزمان، وبعدما قامت الأدلة على وجود نظائر وأشباه لهذا العمر الطويل كنبي الله نوح (١٣٠٠ عام) وآدم (٩٣٠ عاما) وأهل الكهف والخضر حيث لا يزال حيا بإجماع المسلمين.

وجوده وهو غائب لا يعني انقطاع بركاته وخيره عن الأمة، بل إنه يبقى أمل المؤمنين كلما اشتدت عليهم المحن وسدت عليهم البلايا الطريق،

كما أن المؤمنين حين يشعرون أنهم تحت مراقبة إمام يشهد أفعالهم، فإنهم يقومون بما يعتقدون أنه يرضي الإمام من عمل.. ولعل تشبيه الأئمة لذلك بأن الإمام الغائب هو «كالشمس إذا جللتها السحب» تشبيه دقيق فهي وإن اختفت عن فئة من الناس في الأرض إلا أنها ظاهرة على آخرين، وهكذا الإمام فإنه وإن اختفى عن فئة من الناس، فإنه يظهر لفئة أخرى من الأولياء.

بعدما يأذن الله له بالفرج، فيخرج، فإنه يقود ثورة عالمية يقضي فيها على مصادر الظلم والنفاق والفساد وآنئذ بشرى لهذه الأرض حيث تكون قد «أشرقت الأرض بنور ربها»، فتعم فيها الخيرات فالوعي والمعرفة تزداد «حتى أن المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله وسنة رسوله» و«يقسم المال صحاحا بالسوية ويملأ قلوب أمة محمد غنى ويسعهم عدله»، وتحتفل الأرض والسماء بمهرجان العدل العظيم فـ«ترسل السماء عليهم مدرارا، ولا تدع الأرض شيئا من نباتها إلا أخرجته» و«تزيد المياه في دولته، وتمد الأنهار، وتضاعف الأرض أكلها». وإذا كانت مشكلة الأمن في العالم اليوم هي الأولى، فإن في عصر الإمام المهدي (عج) «تخرج العجوزة الضعيفة من المشرق تريد المغرب، لا يؤذيها أحد».

إن واجب المؤمنين في عصر الغيبة، الدعاء للإمام بالحفظ وتعجيل الفرج، والعمل على منهجه ومنهج آبائه، والاستعداد لظهوره، والتمهيد لدولته.



١- عاتكة بنت الديراني
عارفة من دينور.

❁ ❁ ❁ ❁

حاضر وهو غائب، وشاهد وهو مستور.. ومتابع وهو متبوع.. ذاك هو صاحب العصر والزمان الحجة المهدي عجل الله فرجه.

وليس ذلك بدعا، فالغيب والانستار لم يكن مانعا عن الحضور والعلم، والإحاطة.. فالله (ولله الأمثال العليا) هو غيب الغيوب، وهو في نفس الوقت **﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾**[1]، وملائكة الله الذين **﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾**[2] مثال آخر للغائبين عن الأنظار، والحاضرين في مواقع الفعل من **﴿الصَّافَّاتِ صَفّاً فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً﴾**[3]، وهكذا من (المرسلات) و(الفارقات) و(الملقيات)، و(الناشطات).. كل هؤلاء من الغائبين عن النظر، الحاضرين في مواقع الفعل والمسؤولية.

بل حتى القوى الطبيعية من الجاذبية، والأشعة ـ بمختلف درجاتها ـ غيب من الغيوب تعرف بآثارها، ولا تراها العيون.

---

(١) الطلاق:١٢

(٢) النحل:٥٠.

(٣) الصافات: ١ـ ٣.

نعم.. لم يكن الله سبحانه، ليجعل على الخلق حجة، ثم لا يعينه على ما يحتاجون إليه، من علم بما يسألون عنه، وإعانة على الاتصال بهم، وإذا كان سير الأحداث ومرور الأزمان قد وضح لنا كيف يمكن للإنسان أن يقود قومه وشعبه من داخل السجن، وهو معزول عنه، مع أنه لا يستعمل سوى المعادلات العادية الدنيوية، فكيف بمن يملك (العقل الأكبر) ويملك إضافة إلى ذلك (معونة الله) والأسباب غير الطبيعية؟

لكن المشكلة هنا، في كيفية تمييز الناس الإمام الحق، من المتقافزين على منصب الإمامة من غير استحقاق!

إننا نرى أن الكثير من الطامعين يتهارشون على منصب حقير تهارش الضباع على جيفة نتنة، فكيف بمنصب إلهي رباني، يكون بمثابة الواسطة بين الخالق وخلقه؟ هذا المنصب الذي فيه من التشريف ما لا يفوقه غير تشريف النبوة الخاتمة. وفيه من احترام المؤمنين ما يفدى معه بالروح والنفس، وفيه من المال.. و.

لذلك كان أتباع الأئمة بحاجة إلى وعي متقدم، بصفات الإمام وميزاته، حتى يقيسوا عليها من يتصدى للإمامة، ويعرفوا من خلالها صدقه، وزيفه. وكان الإمام بدوره يحتاج إلى قدرات خاصة ـ لا يتمتع بها غيره، ولا تحصل لسواه.

وصحيح أنهم سوف لا يستطيعون أن يحيطوا بكل صفاته[1]،

---

(١) في حديث طويل للإمام الرضا عليه السلام يعترض فيه على من زعم أن الإمامة هي بانتخاب الناس، بيّن أن القائل بذلك لا يعرف منصب الإمامة حقا، ولا يعرف من يكون الإمام، في ذلك الحديث: كما في الكافي: «الإمامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء، إن الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام إن الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين، إن الإمامة أس الإسلام النامي، وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف. الإمام يحل حلال الله، ويحرم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله، ويدعو إلى سبيل =

وشخصيته إلا أن المقدار الذي يكون عليهم حجة من المعرفة، هو تحت اختيارهم ويمكن لهم الحصول، بل يجب التعرف عليه.

ويلحظ المتأمل أن ذلك المقدار من الوعي والمعرفة، بالإمام وما له من الصفات والإمكانات كان موجودا لدى الفئة الغالبة من شيعة أهل البيت عليهم السلام مما جعل محاولات البعض في الاستحواذ على منصب الإمامة تبوء بالفشل، ويذهب سعيهم في ذلك سدى.

وبين أيدينا نموذج امرأة فائقة الوعي، والإحساس الديني، سوف ننقل قصتها كما نقلها أرباب المجامع الحديثية، ونتوقف عند بعض فقراتها لكي نستجلي منها دروسا وعبرا.

عاتكة بنت الديراني: امرأة من دينور[1]..

عن أحمد بن أبي روح قال: وجهت إلي امرأة من أهل دينور فأتيتها فقالت: يا بن أبي روح أنت أوثق من في ناحيتنا دينا وورعا وإني أريد أن

= ربه بالحكمة، والموعظة الحسنة، والحجة البالغة، الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار. الإمام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجى وأجواز البلدان والقفار، ولجج البحار، الإمام الماء العذب على الظماء والدال على الهدى، والمنجي من الردى، الإمام النار على اليفاع، الحار لمن اصطلى به والدليل في المهالك، من فارقه فهالك، الإمام السحاب الماطر، والغيث الهاطل والشمس المضيئة، والسماء الظليلة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير والروضة. الإمام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشقيق، والأم البرة بالولد الصغير، ومفزع العباد في الداهية النآد الإمام أمين الله في خلقه، وحجته على عباده وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله، والذاب عن حرم الله. الإمام المطهر من الذنوب والمبرأ عن العيوب، المخصوص بالعلم، المرسوم بالحلم، نظام الدين، وعز المسلمين وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير..

(١) بلدة في إيران قرب همدان.

أودعك أمانة أجعلها في رقبتك تؤديها وتقوم بها!

فقلت: أفعل إن شاء الله تعالى.

فقالت: هذه دراهم في هذا الكيس المختوم لا تحله ولا تنظر فيه حتى تؤديه إلى من يخبرك بما فيه، وهذا قرطي يساوي عشرة دنانير وفيه ثلاث حبات يساوي عشرة دنانير، ولي إلى صاحب الزمان حاجة أريد أن يخبرني بها قبل أن أسأله عنها!

فقلت وما الحاجة؟

قالت: عشرة دنانير استقرضتها أمي في عرسي لا أدري ممن استقرضتها ولا أدري إلى من أدفعها فان أخبرك بها فادفعها إلى من يأمرك بها.

قال (فقلت في نفسي): وكيف أقول لجعفر بن علي، فقلت: هذه المحنة (الامتحان) بيني وبين جعفر بن علي فحملت المال وخرجت حتى دخلت بغداد فأتيت حاجز بن يزيد الوشاء فسلمت عليه وجلست قال: ألك حاجة؟

قلت: هذا مال دفع إلي لا أدفعه إليك حتى تخبرني كم هو ومن دفعه إلي؟ فان أخبرتني دفعته إليك!

قال: يا أحمد بن أبي روح توجه به إلى سر من رأى.

فقلت: لا إله إلا الله لهَذا أجل شيء أردته فخرجت ووافيت سر من رأى فقلت: أبدأ بجعفر ثم تفكرت فقلت: أبدأ بهم فان كانت المحنة من عندهم وإلا مضيت إلى جعفر، فدنوت من دار أبي محمد فخرج إلي خادم فقال: أنت أحمد بن أبي روح؟

قلت: نعم!

قال: هذه الرقعة اقرأها! فإذا فيها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم

يا بن أبي روح أودعتك عاتكة بنت الديراني كيسا فيه ألف درهم بزعمك، وهو خلاف ما تظن وقد أديت فيه الأمانة، ولم تفتح الكيس ولم تدر ما فيه، وفيه ألف درهم وخمسون دينارا، ومعك قرط زعمت المرأة أنه يساوي عشرة دنانير، صدقت مع الفصين اللذين فيه، وفيه ثلاث حبات لؤلؤ شراؤها عشرة دنانير وتساوي أكثر فادفع ذلك إلى خادمتنا إلى فلانة فإنا قد وهبناه لها، وصر إلى بغداد وادفع المال إلى الحاجز (حاجز الوشاء) وخذ منه ما يعطيك لنفقتك إلى منزلك.

وأما عشرة الدنانير التي زعمت أن أمها استقرضتها في عرسها وهي لا تدري من صاحبها.. بل هي تعلم لمن، هي لكلثوم بنت أحمد وهي ناصبية[1] فتحرجت أن تعطيها وأحبت أن تقسمها في أخواتها فاستأذنتنا في ذلك فلتفرقها في ضعفاء أخواتها.

ولا تعودن يا بن أبي روح إلى القول بجعفر والمحبة له، وارجع إلى منزلك فان عمك قد مات، وقد رزقك الله أهله وماله فرجعت إلى بغداد، وناولت الكيس حاجزا فوزنه فإذا فيه ألف درهم وخمسون دينارا فناولني ثلاثين دينارا وقال: أمرت بدفعها إليك لنفقتك فأخذتها وانصرفت إلى الموضع الذي نزلت فيه وقد جاءني من يخبرني أن عمي قد مات وأهلي يأمروني بالانصراف إليهم فرجعت فإذا هو قد مات وورثت منه ثلاثة آلاف دينار ومائة ألف درهم[2].

ونقف عند هذه الحادثة على جملة من العبر والدروس:

١- أن القضية الدينية هي أهم قضية تحتاج إلى استيثاق، ولا تتحمل التساهل فيها بحيث يسمع الإنسان من أي شخص أو يقبل أي كلام، ولا

---

(١) الناصبي هو الذي يظهر البغض والحقد على أمير المؤمنين أو السيدة الزهراء، أو أحد المعصومين عليهم السلام.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٩٥، نقلا عن الخرايج.

سيما في الأمور المالية. فإن ذمة الإنسان تبقى مشغولة، ما دام لم يأتمن عليها الأمين، وعليه ضمان ضياعها وتلفها. لذلك وجدناها تبحث عن أحمد بن أبي روح والذي هو «أوثق من في ناحيتنا ورعا ودينا».

ونحن إذا نظرنا إلى هذا المعنى عرفنا كم هو الفاصل بين ما يحصل في مجتمعنا حيث يتم استغفال النساء على وجه الخصوص، ببعض المظاهر الدينية الكاذبة، ويساء استغلال بساطة الكثيرات منهن.. سواء في الأمر المالي أو غيره بل أحيانا في الأمر الجنسي! هنا تبدو الحاجة ملحة إلى البحث ليس عن الثقة فحسب بل الأوثق دينا وورعا كما فعلت هذه المرأة الواعية.

٢- إن من معرفة هذه المرأة ووعيها، معرفتها بصفات الإمام التي لا تكون عند غيره، ووجودها عند شخص يعني ارتباطه بعالم الغيب، ويعني إمامته، فإنها تطلب من أحمد أن يوصل المبلغ المالي الذي أعطته إياه إلى من (يخبرك بما فيه) مع أن الكيس مغلق، ولم يطلع عليه حتى أحمد نفسه. وأن من يعرف باطن ما يجول في خاطرها، وما هي حاجتها من دون إطلاع سابق!!

ومع هذه العلامات لا مجال أبدا للاحتمال أو الصدفة لكي تتحكم في هذا الأمر فقد رأينا كيف أن عددا من الناس قد آمنوا برسول الله ﷺ عندما أخبرهم بدواخل أمورهم وبواطن تفكيرهم، فعلموا أنه لولا اتصاله بالوحي لما علم بذلك ولما أخبر عنه.

٣- إن أثر النقطة السابقة مهم جدا في ردع المتطفلين، وتسلل الطامعين إلى موقع الإمامة الإلهية، ولولا مثل تلك العلامات التي ليست في متناول كل أحد لكان يسيرا على الكثير التطفلُ والتسلل، فقد يحفظ شخص شيئا من العلوم ويقدم نفسه إماما، وهذا أمر ممكن، ولكن علمه ببواطن الأمور ليس ممكنا. ولقد حدثت حادثة مع جعفر بن علي الهادي الذي ادعى الإمامة بعد أخيه الحسن العسكري عليه السلام، محاولا الاستفادة من الظروف الصعبة التي أحاطت بالإمام الحجة بن الحسن العسكري، حيث كانت

السلطة العباسية تريد القضاء عليه مما أدى إلى تستره عن العيون. فقدم نفسه كإمام، لكن الصفات التي كان يعرفها شيعة أهل البيت عليهم السلام لم تكن تنطبق عليه، فباء بالفشل، مثل «أن الإمامة لا تجتمع في أخوين بعد الحسن والحسين». ومنها عدم قدرته على الإخبار على ما خفي عن عينه[1].

(١) نقل ذلك الشيخ الصدوق رحمه الله في كمال الدين وتمام النعمة، بسنده عن أبي الحسن علي بن سنان الموصلي قال: حدثني أبي قال: لما قبض سيدنا أبو محمد الحسن بن علي العسكري صلوات الله عليهما وفد من قم والجبال وفود بالأموال التي كانت تحمل على الرسم والعادة، ولم يكن عندهم خبر وفاة الحسن عليه السلام، فلما أن وصلوا إلى سر من رأى سألوا عن سيدنا الحسن بن علي عليهما السلام، فقيل لهم: إنه قد فقد، فقالوا: ومن وارثه؟ قالوا: أخوه جعفر بن علي فسألوا عنه فقيل لهم: إنه قد خرج متنزها وركب زورقا في الدجلة يشرب ومعه المغنون، قال: فتشاور القوم، فقالوا: هذه ليست من صفة الإمام، وقال بعضهم لبعض: امضوا بنا حتى نرد هذه الأموال على أصحابها.

فقال أبو العباس محمد بن جعفر الحميري القمي: قفوا بنا حتى ينصرف هذا الرجل ونختبر أمره بالصحة. قال: فلما انصرف دخلوا عليه فسلموا عليه وقالوا: يا سيدنا نحن من أهل قم ومعنا جماعة من الشيعة وغيرها وكنا نحمل إلى سيدنا أبي محمد الحسن بن علي الأموال فقال: وأين هي؟ قالوا: معنا، قال: احملوها إلي، قالوا: لا، إن لهذه الأموال خبرا طريفا، فقال: وما هو؟ قالوا: إن هذه الأموال تجمع ويكون فيها من عامة الشيعة الدينار والديناران، ثم يجعلونها في كيس ويختمون عليه وكنا إذا وردنا بالمال على سيدنا أبي محمد عليه السلام يقول: جملة المال كذا وكذا دينارا، من عند فلان كذا ومن عند فلان كذا حتى يأتي على أسماء الناس كلهم ويقول ما على الخواتيم من نقش!

فقال جعفر: كذبتم تقولون على أخي ما لا يفعله، هذا علم الغيب ولا يعلمه إلا الله. قال: فلما سمع القوم كلام جعفر جعل بعضهم ينظر إلى بعض فقال لهم: احملوا هذا المال إلي، قالوا: إنا قوم مستأجرون وكلاء لأرباب المال ولا نسلم المال إلا بالعلامات التي كنا نعرفها من سيدنا الحسن بن علي عليهما السلام فإن كنت الإمام فبرهن لنا وإلا رددناها إلى أصحابها، يرون فيها رأيهم.

قال: فدخل جعفر على الخليفة - وكان بسر من رأى - فاستعدى عليهم، فلما احضروا قال الخليفة: احملوا هذا المال إلى جعفر، قالوا: أصلح الله أمير المؤمنين إنا قوم مستأجرون وكلاء لأرباب هذه الأموال وهي وداعة لجماعة وأمرونا بأن لا نسلمها إلا بعلامة ودلالة، وقد جرت بهذه العادة مع أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام. =

٤/ دور الوكلاء المخلصين في نظام الادارة الدينية دور أساسي، فهم يقومون بتنظيم طرق الاتصال بالامام المعصوم عليه السلام، وفي نفس الوقت فإنهم لا يتجاوزون ما رُسم لهم وما هو في ضمن صلاحياتهم..

نحن نرى أن حاجزا بن يزيد الوشاء[1]، مع أنه وكيل عنهم إلا أنه عندما طلب منه أحمد بن أبي روح، تلك العلامة التي أرادتها عاتكة العارفة،

= فقال الخليفة: فما كانت العلامة التي كانت مع أبي محمد. قال القوم: كان يصف لنا الدنانير وأصحابها والأموال وكم هي؟ فإذا فعل ذلك سلمناها إليه، وقد وفدنا إليه مرارا فكانت هذه علامتنا معه ودلالتنا، وقد مات، فإن يكن هذا الرجل صاحب هذا الأمر فليقم لنا ما كان يقيمه لنا أخوه، وإلا رددناها إلى أصحابها. فقال جعفر: يا أمير المؤمنين إن هؤلاء قوم كذابون يكذبون على أخي وهذا علم الغيب فقال الخليفة: القوم رسل وما على الرسول إلا البلاغ المبين قال: فبهت جعفر ولم يرد جوابا، فقال القوم: يتطول أمير المؤمنين بإخراج أمره إلى من يبدرقنا (يشايعنا) حتى نخرج من هذه البلدة، قال: فأمر لهم بنقيب فأخرجهم منها، فلما أن خرجوا من البلد خرج إليهم غلام أحسن الناس وجها، كأنه خادم، فنادى يا فلان بن فلان ويا فلان ابن فلان أجيبوا مولاكم، قال: فقالوا: أنت مولانا، قال: معاذ الله: أنا عبد مولاكم فسيروا إليه، قالوا: فسرنا (إليه) معه حتى دخلنا دار مولانا الحسن بن علي عليهما السلام، فإذا ولده القائم سيدنا عليه السلام قاعد على سرير كأنه فلقة قمر، عليه ثياب خضر، فسلمنا عليه، فرد علينا السلام، ثم قال: جملة المال كذا وكذا دينارا، حمل فلان كذا، (وحمل) فلان كذا، ولم يزل يصف حتى وصف الجميع.

ثم وصف ثيابنا ورحالنا وما كان معنا من الدواب، فخررنا سجدا لله عز وجل شكرا لما عرفنا، وقبلنا الأرض بين يديه، وسألناه عما أردنا فأجاب، فحملنا إليه الأموال، وأمرنا القائم عليه السلام أن لا نحمل إلى سر من رأى بعدها شيئا من المال، فإنه ينصب لنا ببغداد رجلا يحمل إليه الأموال ويخرج من عنده التوقيعات، قالوا: فانصرفنا من عنده ودفع إلى أبي العباس محمد بن جعفر القمي الحميري شيئا من الحنوط والكفن فقال له: أعظم الله أجرك في نفسك، قال: فما بلغ أبو العباس عقبة همدان حتى توفي رحمه الله.

(١) حاجز بن يزيد الوشاء من وكلاء الإمامين العسكري وابنه صاحب الزمان، وقد صدر مدح فيه وثناء من الإمام، قال الحسن بن عبد الحميد شككت في أمر حاجز فجمعت شيئا ثم صرت إلى العسكري عليه السلام، فخرج (كتابة): ليس فينا شك ولا في من يقوم مقامنا بأمرنا، رد وما معك إلى حاجز بن يزيد. وفي آخر الخبر المذكور في المتن ما ينفع في بيان منزلته.

وهي أن يخبر بما في الكيس من غير فتحه، وجد أن هذا ليس من شأنه، ولا يستطيعه، فوجهه إلى سامراء، حيث سيلتقي من يصله بالامام عليه السلام.

٥/ في هذه القضية تبين أن وعي تلك المرأة كان أكثر من الرجل، مع أنه من الأصحاب الكبار، إلا أن القضية لا ترتبط بذكورية هذا وأنوثية تلك، وإنما بالوعي والمعرفة، فقد وجدناها هنا تعرف الامام بالعلامات، بينما اشتبه الأمر على أحمد فقد كان يقول بجعفر، ولكن بواسطة هذه الامتحانات التي فرضتها عاتكة، وصل الرجل إلى الامام الحقيقي، بعدما كان ولو على مستوى الاستقراب الأولي، يذهب إلى القول بإمامة جعفر بن علي (عم الامام الحجة) وهذا يلقي بضوء على المقصود من (ناقصات العقول) كما تعرضنا له في المقدمة.



٢- أم أبي العباس الزراري

« وأما الزوج والزوجة فأصلح الله بينهما »

الإمام الحجة

❁ ❁ ❁ ❁

تتعرض الحياة الزوجية بين الزوجين إلى مشاكل وآفات.. وكأن هذا الأمر من الأمور الطبيعية التي قل أن يخلو منها بيت من البيوت[١]، صغرت تلك المشاكل أو كبرت! وربما لهذا السبب فإن التوجيهات الدينية لا تكتفي بدور الوقاية، والتوجيه إلى جذور المشاكل، وإنما نجد طرقا في معالجتها لو حدثت، وما عسى الطرفان أن يصنعا في حالة وجودها. ذلك أن التنكر لهذا الواقع لا ينفيه، ووجود نظرة مثالية عما يُترقب من المؤمن والمؤمنة من خير، لا يمنع من أن يلاحظ الدين ما هو قائم وحاصل بينهما!!

إن التوجيهات الدينية تلاحظ أولا مسببات الخلافات والمشاكل..

---

(١) بالرغم من أن البيوت محمية بالستر، ولذلك فإن أصحاب المشكلة عادة ما ينظّرون حالهم بحال غيرهم أنه: انظر كيف أن فلانا يسعد زوجته بينما لا يصنع زوجي هكذا، أو أن فلانة كيف تحترم زوجها بينما لا تفعل ذلك زوجتي!! مع أن هذين لو اطلعا على بواطن حياة غيرهم لوجدوا فيها أمورا سيئة ليست موجودة عند هذين الناظرين!!
وقد ذكر المفسرون أن نبي الله إبراهيم عليه السلام قد شكا إلى ربه سوء خلق زوجته سارة، فأمره بالصبر عليها!

فقد يعود الأمر إلى جهل الزوجين بحق كل منهما فيطالب بأكثر مما هو حقه، ولذا وجدنا النصوص الدينية تحدد تلك الحقوق وتبين ما على كل منهما تجاه الآخر، وقد يكون عائدا إلى طبيعة سيئة لدى أحد الطرفين، فيظلم صاحبه، ويسيء إليه، وهنا نجد التعنيف الشديد تجاه المرأة التي يبات زوجها عليها ساخطا من سوء أخلاقها وعشرتها، والتوبيخ الأشد على الزوج الذي يمد يده لضرب زوجته وهو أولى بالضرب منها!! وتبين أن « خيركم خيركم لأهله ».

مع اشتداد أوار المشاكل والمشاكسات، وعدم القدرة على الانسجام بين الطرفين ينصح الدين بإدخال طرف ثالث يصلح ما أفسده التشنج والتوتر، ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً**﴾[1].. ولا يخفى ما في هذا التشريع من المنافع العظيمة، فإن البعض من الناس مستعد للتنازل قبل أن تخرج القضية والمشكلة من بيته، فتنتهي عند هذا الحد.. والبعض الآخر ممن هو ذاهب في النزاع إلى حده الأخير سوف يجد القريبين منه لا يشاركونه في تصوراته، لأنهم لا يعيشون الشحن النفسي الذي يعيشه هو، فهذا يؤدي إلى تخفيف تصوراته تلك. ثم إنه لن يُعترف له بأن يكون كامل الحق في جانبه، فيهيئونه للتنازل!! ونحن لا نريد أن نستطرد في هذا الجانب وإلا ففي الحديث مجال واسع.

كما يتم توجيه الإنسان هنا إلى اللجوء لربه، والاستعانة بخالقه في حل مشكلته، فإن صلاح زوجته وصلاح زوجها هو من أهم الأمور التي ينبغي طلبها من الله. وهو القادر على ذلك كما هو قادر على سائر الأمور، وقد ذكر القرآن أن الله سبحانه قد أصلح أحوال زوجات أنبياء ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ**﴾[2].

---

(١) النساء:٣٥.

(٢) الأنبياء:٩٠ وقد ذكر أكثر المفسرين أن المقصود من إصلاحها هنا: إرجاعها شابة قادرة على الإنجاب، ولكن قسما منهم ذكروا الجانب الأخلاقي، أيضا وأنها كانت عنيفة التعامل فأصلح الله أخلاقها.

وهنا نقطة هامة ينبغي الإشارة إليها وهي ضرورة اجتناب (قطاع الطرق) من أدعياء الارتباط بالله سبحانه.. فكم أساؤوا إلى الدين وكم ارتكبوا جرائم باسمه، إذ يوجد بعض الأشخاص ممن يلبسون مسوح المتدينين ويتزيون بزي علماء الدين، فيزيدون الطين بلّة، ويصورون المشكلة البسيطة بين الزوجين على أنها مخططة من عوالم الجن والسحر، فهذه الزوجة مسكونة (!) وذلك الزوج (معمول له عمل) والأمر عويص يحتاج إلى الكثير من (الأموال) لفك السحر، وإخراج الجن!!

ومع الأسف فإن الكثير من الناس ذوي المشاكل، لما كانوا يبحثون عن حل، أي حل لمشكلتهم فإنه يقعون ضحية هذا النصب وهذا الاحتيال، فلا يجدون إلا السراب بعدما ضاعت نقودهم، إضافة إلى صفاء نفوسهم!

إن من الضروري أن يتوجه الإنسان إلى خالقه، ويستعين به، ويقصد أبواب الله الحقيقيين، تماما مثلما فعل الزراري عندما أعيته الطرق في أن يجد الحل مع زوجته ويطفئ لهب الشقاق، والتشنج، فقد ذهب إلى سفير الإمام صاحب العصر والزمان، وسأله أن يطلب من الإمام عجل الله فرجه الدعاء له، والاستشفاع عند الله لكي يفرج أمره ويصلح شأنه..

هلم ـ عزيزي القارئ والقارئة ـ لنسمع كيف كانت القضية، وماذا كانت النتيجة: كنت تزوجت بأم ولدي، وهي أول امرأة تزوجتها وأنا حينئذ حدث السن وسني إذ ذلك دون العشرين سنة، فدخلت بها في منزل أبيها، فأقامت في منزل أبيها سنين وأنا اجتهد بهم في أن يحولوها إلى منزلي، وهم لا يجيبون إلى ذلك فحملت مني في هذه المدة وولدت بنتا فعاشت مدة، ثم ماتت (أي تلك البنت)، ولم احضر في ولادتها ولا في موتها ولم أرها منذ ولدت إلى أن توفيت للشرور التي كانت بيني وبينهم، ثم اصطلحنا على أنهم يحملونها إلى منزلي، فدخلت إليهم في منزلهم ودافعوني في نقل المرأة إلي، وقُدر أن حملت المرأة مع هذه الحال، ثم طالبتهم بنقلها إلى منزلي على ما اتفقنا عليه،

فامتنعوا من ذلك فعاد الشر والمضارمة سنين لا آخذها.

ثم دخلت بغداد، وكان الصاحب[1] بالكوفة في ذلك الوقت أبو جعفر محمد بن احمد الزجوزجي رحمه الله وكان لي كالعم أو الوالد فنزلت عنده ببغداد وشكوت إليه ما أنا فيه من الشرور الواقعة بيني وبين الزوجة وبين الأحماء.

فقال لي: تكتب رقعة وتسأل الدعاء فيها، فكتبت رقعة وذكرت فيها حالي وما أنا فيه من خصومة القوم لي وامتناعهم من حمل المرأة إلى منزلي[2].

(١) الوكيل بالكوفة عن السفير الثالث.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي وهناك رواية أخرى ينقلها الشيخ في موضع آخر، يتبين فيها أنه لم يذكر حاجته تفصيلا، وإنما أضمرها، والرواية كما رواها عن أبي غالب الزراري:... فقال لي صاحبي (وهو هنا الزوج): هل لك أن تلقى أبا جعفر وتحدث به عهدا؟ فانه المنصوب اليوم لهذه الطائفة، فإني أريد أن أسأله شيئا من الدعاء يكتب به إلى الناحية قال: فقلت: نعم، فدخلنا إليه، فرأينا عنده جماعة من أصحابنا فسلمنا عليه وجلسنا، فأقبل على صاحبي، فقال: من هذا الفتى معك؟ فقال له الرجل: من آل زرارة بن أعين، فاقبل علي فقال: من أي زرارة أنت؟ فقلت: يا سيدي أنا من ولد بكير بن أعين أخي زرارة، فقال: أهل بيت عظيم القدر في هذا الأمر، فأقبل عليه صاحبي، فقال له: يا سيدنا أريد المكاتبة في شيء من الدعاء، فقال: نعم، قال: فلما سمعت هذا اعتقدت أنا أسال أيضا مثل ذلك وكنت اعتقدت في نفسي ما لم أبده لأحد من خلق الله، حال والدة أبى العباس ابني، وكانت كثيرة الخلاف والغضب على وكانت مني بمنزلة، فقلت في نفسي اسأل الدعاء لي في أمر قد أهمني ولا أسميه، فقلت: أطال الله بقاء سيدنا وأنا أسال حاجة قال: وما هي؟ قلت الدعاء لي بالفرج من أمر قد أهمني، قال: فأخذ درجا بين يديه كان أثبت فيه حاجة الرجل، فكتب: والزراري يسأل الدعاء له في أمر قد أهمه، قال: ثم طواه، فقمنا، وانصرفنا. فلما كان بعد أيام قال لي صاحبي: الا نعود إلى أبي جعفر فنسأله عن حوائجنا التي كنا سألناه، فمضيت معه ودخلنا عليه، فحين جلسنا عنده أخرج الدرج، وفيه مسائل كثيرة قد أجيب في تضاعيفها، فأقبل على صاحبي فقرأ عليه جواب ما سأل ثم أقبل علي، وهو يقرأ: «وأما الزراري وحال الزوج والزوجة فأصلح الله ذات بينهما».

ومضيت بها أنا وأبو جعفر رحمه الله إلى محمد بن علي، وكان في ذلك الواسطة بيننا وبين الحسين بن روح رضي الله عنه، وان تأخر كان من جهة الصاحب عليه السلام فانصرفت، فلما كان بعد ذلك ولا أحفظ المدة إلا أنها كانت قريبة، فوجه إلي أبو جعفر الزجوزجي رحمه الله يوما من الأيام، فصرت إليه، فاخرج لي فصلا من رقعة وقال لي: هذا جواب رقعتك، فان شئت أن تنسخه فانسخه ورده، فقرأته فإذا فيه: «والزوج والزوجة فأصلح الله ذات بينهما»..

كانت تلك الدعوات بمثابة الترياق الذي وضع على تلك العلاقة الزوجية المجروحة فإذا بها تعود ملتحمة، منسجمة، وبمثابة ماء السماء الذي سقى تلك الأرض القاحلة من العواطف والمشاعر فـ﴿**اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾[1]. هل كان ذلك أمرا استثنائيا؟ هل هو خارج المقاييس والقواعد؟ كلاًّ! فـ﴿**إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[2].

ماذا كانت النتيجة؟ يقول أبو العباس الزراري ما حاصل معناه:

ودخلنا الكوفة، فسهل الله لي نقل المرأة بأيسر كلفة، فقد جاءت لي ـ بعدما كانت في بيت أهلها ـ واسترضتني واعتذرت إلي وأقامت معي سنين كثيرة ورزقت مني أولادا، ولم تزل على حال الاستقامة ولم يجر بيننا بعد ذلك شيء مما كان يجري، وقد كنت أتعمدها بما يسخطها، فلا يجرى منها شيء، وأسأت إليها إساءات واستعملت معها كل ما لا تصبر النساء عليه.. فما كنت ألقى منها غير الجميل. إلى أن فرق الزمان بيننا.

---

(١) الحج:٥.

(٢) فصلت: من الآية ٣٩.



٣- نسيم الخادمة

كيف يُعرف شخص أنه موجود أو غير موجود؟ وأنه قد وُلد أو لم يُولد؟

إن لذلك طرقا متعددة؛ فمنها معاينة الشخص بنفسه والتعامل معه، حيث يحصل للناظر علم وجداني بوجود الشخص المعايَن، و« لا أثر بعد عين ». ولكن هذا الطريق منحصر بمعاصري الشخص نفسه فلا يمكن أن يتم اعتماده في القضايا التاريخية السابقة، التي لم يعاصرها المؤرخ، ولم يعايشها الشخص.

ومن تلك الطرق إخبار عائلته وأهله عنه واعترافهم بذلك، ولاسيما الأبوان حيث يترتب على ذلك الاعتراف والإخبار عدد من الحقوق والواجبات، في الميراث والمحرمية والنسب.. ولا يصغى إلى تكذيب الغير مع اعتراف الوالدين بولادة الشخص، مع إمكانه وعدم المانع عنه، وانتفاء التهمة، وخصوصا لو كان الاعتراف عليهما.

ومنها ذكر علماء الأنساب والخبراء في هذا الجانب، فإنه كما أن لكل علم مختصين يُرجع إليهم في معرفة أطراف ذلك العلم وقضاياه، فإن النسب والقرابة وولادة أحد لأحد هو من قضايا النسّابة وخبراء هذا العلم.

ومنها النقل عمن عايش الشخص وعاصره إذا وصل ذلك إلينا

بطريق يُوثق به..

وإذا انتفى في حقنا الطريق الأول حيث لم يسعدنا التوفيق بأن نكون في زمان المعصومين عليهم السلام، فإن باقي الطرق هي في متناول اليد.. وما يرتبط بمعرفة الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه، وولادته ووجوده يمكن الاستفادة من باقي الطرق في هذا المجال.

فلقد نقل أرباب المجاميع الحديثية الكثير من الروايات عن المعصومين آباء وأجداد الإمام الحجة، وعن ولادته في ذلك الزمان، البعض من تلك الروايات تحدثت عن الميلاد المبارك قبل مجيء وقته بعشرات السنين وبعضها الآخر بعد ولادته.

ففي خبر عن الإمام العسكري عليه السلام رواه الشيخ الصدوق بسنده عن[1] عن معلى بن محمد البصري قال: خرج عن أبي محمد عليه السلام حين قتل الزبيري[2]: «هذا جزاء من افترى على الله تبارك وتعالى في أوليائه، زعم أنه يقتلني وليس لي عقب، فكيف رأى قدرة الله عز وجل وولد له ولد وسماه «م ح م د» سنة ست وخمسين ومائتين».

كما أن علماء النسب قد ذكروا هذا الأمر وأصروا عليه، وتحدث عنه المؤرخون في كتبهم، مع أنه قد لا يتوافق بالضرورة مع التزاماتهم العقدية، وهذا أدعى للتصديق والقبول منهم:

فممن ذكر ذلك محمد بن طلحة الشافعي في كتابه مطالب السؤول في مناقب آل الرسول وضع فيه بابا في أب القاسم محمد بن الحسن الخالص بن

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة- الشيخ الصدوق ص ٤٣٠

(٢) هو الزبير بن جعفر المعروف بالمعتز العباسي، وكان قد بويع سنة ٢٥٢ هـ وقتل سنة ٢٥٥.. قال فيه المسعودي في التنبيه والإشراف:.. وكان يؤثر اللذات ويعدم الرأي وتدبره أمه قبيحة وغيرها.. ص٣١٦.

علي بن محمد بن علي بن موسى.. وقال: أما مولده فبسر من رأى في سنة ٢٥٨هـ. ثم رد الشبهات القائلة بأنه ليس المقصود من أحاديث الرسول.

وممن تحدث في ذلك محمد بن يوسف الكنجي الشافعي في كتابه: البيان في أخبار صاحب الزمان وكفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.. ففي الأول ذكر بابا في الأدلة على كون المهدي حيا باقيا منذ غيبته إلى الآن، وفي كفاية الطالب ذكر في أولاد الإمام الحسن العسكري: ابنه محمد وهو الإمام المنتظر.

الفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ المالكي: الفصل الثاني عشر في ذكر أبي القاسم الحجة الخلف الصالح ابن الحسن الخالص وهو الإمام الثاني عشر: دلائل إمامته وذكر طرف من أخباره وغيبته ومدة قيام دولته. أما أبوه فالحسن وأما أمه فنرجس.

تذكرة خواص الأمة في معرفة الأئمة لسبط ابن الجوزي: قال في ذكر أولاد الحسن العسكري محمد الإمام وهو الخلف الحجة وصاحب الزمان والمنتظر وآخر الأئمة.

شواهد النبوة لعبد الرحمن الجامي روى خبر ولادة الإمام المهدي كما ترويها المصادر الشيعية عن حكيمة عمة الإمام عليه السلام.

وقد ذكره النسابون عند حديثهم عن أبناء الإمام العسكري عليه السلام فقد قال علي بن محمد العلوي في كتابه المجدي في أنساب الطالبين[1]:

ومات أبو محمد عليه السلام وولده من نرجس عليها السلام معلوم عند خاصة أصحابه وثقات أهله، وسنذكر حال ولادته والأخبار التي سمعناها في ذلك، وامتحن المؤمنون بل كافة الناس بغيبته.

---

(١) ص ١٣٠.

كما ذكره ابن عنبة (جمال الدين أحمد بن علي الحسيني) في كتابه عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب[1] قال:

أما علي الهادي فيلقب العسكري لمقامه بسر من رأى وكانت تسمى العسكر، وأمه أم ولد وكان في غاية الفضل ونهاية النبل أشخصه المتوكل إلى سر من رأى فأقام بها إلى أن توفي، وأعقب من رجلين هما الإمام أبو محمد الحسن العسكري، كان من الزهد والعلم على أمر عظيم وهو والد الإمام محمد المهدي صلوات الله عليه ثاني عشر الأئمة عند الإمامية، وهو القائم المنتظر عندهم، من أم ولد اسمها نرجس.

وغيرهما في سوى ذلك من الكتب المعدة لهذا الشأن..

والذين رأوا الإمام في زمان ولادته وما بعدها تحدثوا عنه بمقدار ما كانت تتيحه لهم الأجواء والظروف بما لا يوجه خطرا على وجوده الشريف.

فمنهم نسيم الخادمة، والتي كانت في بيت الإمام العسكري عليه السلام، حيث تحدثت عن رؤيتها للإمام وعن بعض كراماته، كما نقل ذلك الشيخ الصدوق رحمه الله في كتابه كمال الدين وتمام النعمة، قال: حدثنا محمد بن علي ماجيلويه، وأحمد بن محمد بن يحيى العطار رضي الله عنهما قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، قال: حدثنا الحسين بن علي النيسابوري، عن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن موسى بن جعفر عليهما السلام، عن السياري قال: حدثتني نسيم ومارية قالتا: إنه لما سقط صاحب الزمان عليه السلام من بطن أمه جاثيا على ركبتيه، رافعا سبابتيه إلى السماء، ثم عطس فقال: الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله، زعمت الظلمة أن حجة الله داحضة لو أذن لنا في الكلام لزال الشك.

قال إبراهيم بن محمد بن عبد الله: وحدثتني نسيم خادم أبي محمد عليه السلام

---

(١) ص ١٩٩.

قالت: قال لي صاحب الزمان عليه السلام وقد دخلت عليه بعد مولده بليلة، فعطست عنده فقال لي: يرحمك الله، قالت: نسيم ففرحت بذلك فقال لي عليه السلام: ألا أبشرك في العطاس فقلت: بلى [يا مولاي] فقال: هو أمان من الموت ثلاثة أيام.

يشار هنا إلى أن بعض الرجاليين قد ذكر نسيم بعنوان الخادم، وبنى على أنه صاحب الاسم رجل، وهو اشتباه محض. فإن كلمة الخادم تطلق على المرأة كما ذكر ذلك الخليل الفراهيدي في العين[1] فقال: الخدم: الخدام، الواحد خادم غلاما كان أو جارية.. وذكره ابن منظور في لسان العرب[2] فقال:

والأنثى خادم وخادمة، عربيتان فصيحتان.

هذا إضافة إلى نص الشيخ الطوسي وغيره على كونها امرأة خادمة في بيت الإمام العسكري عليه السلام كما يرشد إليه أيضا النص المنقول آنفا.

(١) كتاب العين ج ٤ ص ٢٣٥.

(٢) ج ٢١ ص ١٦٧.



٤- طالبة البرهان البغدادية

من مفارقات الأمور أن البعض يطلب برهانا في الأمور الصغيرة، فلا يقبلها إلا بعد التأكد منها واليقين بها، بينما يتساهل في الأمور العظيمة فيكتفي فيها بالتقليد والاسترسال، فلا يسأل نفسه ولا غيره عن جهة الاعتقاد بها، ولا عن سبب التسليم بحقيقتها..

وهذا في مثال العقائد واضح، فإن الكثير من أصحاب العقائد لو راجعوا أنفسهم لوجدوا أنهم قد آمنوا بالشيء الفلاني باعتبار أن آباءهم كانوا على هذه الملة وهم يعتبرون أن مجرد ذلك هو كاف للقبول، وكأن سيرة الآباء هي بالضرورة تنتهي إلى الحق ﴿**قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ**﴾[1] بينما القرآن الكريم يرفض هذا الاعتبار، داعيا إلى التحقيق في الأمر ﴿**أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ**﴾؟[2] وهذه الحالة أعني عدم التفكير والاهتمام في أمور العقائد، وترك المطالبة بالبرهان فيها تسهل الأمر على الطامحين، وأصحاب النزوات الذي يستغفلون الناس فيأخذونهم بعيدا عن الحق، بلطائف الحيل، ومعسول الكلام، وغيرها.

لذلك رأينا كيف اعتمد فرعون على السحرة، الذي كانوا يمثلون هذا

---

(١) الزخرف:٢٢.

(٢) البقرة:١٧٠.

الجانب مع أنه لا ارتباط حقيقي بين قدرة الساحر ـ لو كانت على بعض الأشياء ـ وبين ربوبية فرعون كما كان يريد!! لكن مع ذلك استعان بهم، وقام هؤلاء بأعمال من الشطارة والشعوذة، و﴿**سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ**﴾[1].

وينقل لنا التاريخ في وقت متأخر أن قسما من هؤلاء كانوا يحاولون السيطرة على عقول الناس ويجتذبونهم إليهم كما نقل عن الحلاج[2]، ولكنهم عندما يواجَهون بالواعين، تنكشف حقائق أولئك فيعودون خائبين كما نقل عن محاولة الحسين الحلاج إغواء النوبختي.. فقد نقل شيخ الطائفة بسنده عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب: لما أراد الله تعالى أن يكشف أمر

---

(١) الأعراف:١١٦.

(٢) الحسين بن منصور الحلاج ذكره الزركلي في الأعلام ج ٢ ص ٢٦٠: الحلاج (٠٠٠ – ٣٠٩هـ= ٠٠٠ – ٩٢٢م) الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث: فيلسوف، يعد تارة في كبار المتعبدين والزهاد، وتارة في زمرة الملحدين. أصله من بيضاء فارس، ونشأ بواسط العراق (أو بتستر) وانتقل إلى البصرة، وحج، ودخل بغداد وعاد إلى تستر. وظهر أمره سنة ٢٩٩هـ فاتبع بعض الناس طريقته في التوحيد والإيمان. ثم كان يتنقل في البلدان وينشر طريقته سرا، وقالوا: أنه كان يأكل يسيرا ويصلي كثيرا ويصوم الدهر، وإنه كان يظهر مذهب الشيعة للملوك (العباسيين) ومذهب الصوفية للعامة، وهو في تضاعيف ذلك يدعي حلول الإلهية فيه. وكثرت الوشايات به إلى المقتدر العباسي فأمر بالقبض عليه، فسجن وعذب وضرب وهو صابر لا يتأوه ولا يستغيث. قال ابن خلكان: وقطعت أطرافه الأربعة ثم حز رأسه وأحرقت جثته ولما صارت رمادا ألقيت في دجلة ونصب الرأس على جسر بغداد. وادعى أصحابه أنه لم يقتل وإنما ألقي شبهه على عدو له. وقال ابن النديم في وصفه: كان محتالا يتعاطى مذاهب الصوفية ويدعي كل علم، جسورا على السلاطين، مرتكبا للعظائم، يروم إقلاب الدول ويقول بالحلول...

وذكره بعض المؤلفين الشيعة، فقال: له دعاوى باطلة ومقالات مشهورة، كان يعد نفسه أحد الأبواب للناحية المقدسة في الغيبة الصغرى، وصدر توقيع من الناحية المقدسة (الإمام الحجة) في تكذيبه ولعنه.

الحلاج ويظهر فضيحته ويخزيه، وقع له أن أبا سهل إسماعيل بن علي النوبختي ممن تجوز عليه مخرقته وتتم عليه حيلته، فوجّه إليه يستدعيه وظن أن أبا سهل كغيره من الضعفاء في هذا الأمر بفرط جهله، وقدر أن يستجرّه إليه فيتمخرق به (يحتال) ويتسوف بانقياده على غيره، فيستتب له ما قصد إليه من الحيلة والبهرجة على الضعفة، لقدر أبي سهل في أنفس الناس ومحله من العلم والأدب أيضا عندهم، ويقول له في مراسلته إياه: إني وكيل صاحب الزمان عليه السلام ـ وبهذا أولاً كان يستجر الجهال ثم يعلو منه إلى غيره ـ وقد أمرت بمراسلتك وإظهار ما تريده من النصرة لك لتقوي نفسك، ولا ترتاب بهذا الأمر!.

فأرسل إليه أبو سهل رضي الله عنه يقول له: إني أسألك أمرا يسيرا يخف مثله عليك في جنب ما ظهر على يديك من الدلائل والبراهين!! وهو أني رجل أحب الجواري وأصبو إليهن، ولي منهن عدة أتحظاهن والشيب يبعدني عنهن ويبغضني إليهن وأحتاج أن أخضبه في كل جمعة!! وأتحمل منه مشقة شديدة لأستر عنهن ذلك، وإلا انكشف أمري عندهن، فصار القرب بعدا والوصال هجرا، وأريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنته، وتجعل لحيتي سوداء، فإني طوع يديك، وصائر إليك، وقائل بقولك، وداع إلى مذهبك، مع ما لي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة!!.

فلما سمع ذلك الحلاج من قوله وجوابه علم أنه قد أخطأ في مراسلته وجهل في الخروج إليه بمذهبه، وأمسك عنه ولم يرد إليه جوابا، ولم يرسل إليه رسولا، وصيره أبو سهل رضي الله عنه أحدوثة وضحكة ويطنز به عند كل أحد، وشهر أمره عند الصغير والكبير، وكان هذا الفعل سببا لكشف أمره وتنفير الجماعة عنه[1].

نعم عندما يكون الشخص واعيا وعارفا لا يستطيع أصحاب الدعوات

---

(١) الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٤٠١

المنحرفة تضليله.. وإنما يُعرف صاحب الدعوة الصحيحة ببرهانه، أو يبرز شيئا يتبين منه أنه من أهل ولاية الله سبحانه.

وشخصيتنا هذه التي لم يحفظ لنا التاريخ ـ مع كل الأسف ـ حتى اسمها، من تلك النماذج التي تؤمن بقيادتها على بصيرة.. وهنا نقطة مهمة للنساء على وجه الخصوص، حيث أن الكثيرات منهن يرين أنفسهن غير مسئولات عن البحث والتحقيق في هذه الجهة، وربما ساعد المجتمع المتخلف على تكريس هذه الحالة، فالوالد يفكر عنها في الصغر، والزوج يفكر عنها بعد الزواج، وبين ذلك يكون الأخ وغيره من الذكور هم الذين يقومون بعملية التفكير والاختيار نيابة عنها أو بالرغم منها!!

هذه المرأة لم تقبل لنفسها ذلك، وإنما حاولت أن تعرف قائدها ومن يمثله من خلال دليل واضح بالنسبة لها. فهي تسأل عن وكيل الإمام عليه السلام وتذهب إليه للقائه، حتى تتعرف عليه.

يقول الحسين بن علي بن محمد المعروف بأبي علي البغدادي وهو من مشايخ الصدوق رحمه الله: ورأيت تلك السنة بمدينة السلام امرأة فسألتني عن وكيل مولانا عليه السلام من هو؟ فأخبرها بعض القميين أنه أبو القاسم الحسين بن روح[1] وأشار إليها فدخلت عليه وأنا عنده، فقالت له أيها الشيخ أي شيء معي؟ فقال: ما معك فألقيه في دجلة ثم ائتيني حتى أخبرك!

قال: فذهبت المرأة وحملت ما كان معها فألقته في دجلة، ثم رجعت ودخلت إلى أبي القاسم الروحي -قدس الله روحه- فقال أبو القاسم

(١) أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي السفير الثالث للإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه، في فترة الغيبة الصغرى، امتدت فترة سفارته (٢١) سنة، فقد ابتدأت بوفاة أبي جعفر العمري عام (٣٠٥هـ) وانتهت بوفاته في سنة ٣٢٦هـ. وكان يفوق غيره علما وعملا وحكمة وحسن إدارة، للتفصيل في حياته راجع كتاب، رجال حول أهل البيت ج ٢، للمؤلف.

لمملوكة له: أخرجي إليَّ الحُق، فأخرجت إليه حُقة فقال للمرأة: هذه الحقة التي كانت معك ورميت بها في دجلة أخبرك بما فيها أو تخبريني؟

فقالت له: بل أخبرني أنت، فقال: في هذه الحقة زوج سوار ذهب، وحلقة كبيرة فيها جوهرة، وحلقتان صغيرتان فيهما جوهر، وخاتمان أحدهما فيروزج والآخر عقيق. فكان الأمر كما ذكر، لم يغادر منه شيئا. ثم فتح الحقة فعرض علي ما فيها فنظرت المرأة إليه، فقالت: هذا الذي حملته بعينه ورميت به في دجلة، فغشي علي وعلى المرأة فرحا بما شاهدناه من صدق الدلالة.



٥- من هي الخامسة؟

تتساءل الكثيرات من الفتيات المؤمنات، والنساء الفاضلات: هل لنا في نصرة الإمام الحجة من نصيب؟ أم أن هذه المرتبة العالية والمنزلة الرفيعة احتكار لا يجوز لغير بعض الرجال الوصول إليه؟

هل تستطيع امرأة أن تكون من أنصار الحجة؟ هل لها أن تطمح إلى ذلك؟ كما هو الحال بالنسبة لأخيها أو أن ذلك الأمر ممنوع عليها مباح له؟

ماذا لو حصلت على وعي كبير، وإيمان عميق، وتضحية متميزة.. هل يغير ذلك في الأمر أو تبقى غير مؤهلة لنصرة الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف؟

دعاء الندبة الذي يقرؤه المؤمنون الواهون إلى إمامهم في الجُمعات، هل للمرأة المؤمنة حظ فيه؟

«بنفسي أنت من مغيب لم يخل منا! بنفسي أنت من نازح ما نزح عنا! بنفسي أنت أمنية شائق يتمنى! من مؤمن ومؤمنة ذكرا فحنا، بنفسي أنت من عقيد عز لا يُسامى! بنفسي أنت من أثيل مجد لا يُجارى! بنفسي أنت من تلاد نعم لا تضاهى! بنفسي أنت من نصيف شرف لا يساوى!.

إلى متى أحار فيك يا مولاي وإلى متى؟ وأي خطاب أصف فيك وأي نجوى، عزيزٌ عليّ أن أُجاب دونك وأُناغى، عزيز علي أن أبكيك ويخذلك الورى، عزيز علي أن يجري عليك دونهم ما جرى!!.

هل من معين فأطيل معه العويل والبكاء هل من جزوع فأساعد جزعه إذا خلا؟ هل قذيت عين فساعدتها عيني على القذى؟ هل إليك يا ابن أحمد سبيل فتُلقى هل يتصل يومنا بغده فنحظى، متى نرد مناهلك الروية فنروى، متى ننتفع (ننتقع) من عذب مائك فقد طال الصدى، متى نغاديك ونراوحك فنقر منها عينا، متى ترانا ونراك وقد نشرت لواء النصر تُرى، أترانا نحف بك وأنت تؤم الملأ وقد ملأت الأرض عدلا، وأذقت أعداءك هوانا وعقابا، وأبرت العتاة وجحدة الحق، وقطعت دابر المتكبرين، واجتثثت أصول الظالمين، ونحن نقول الحمد لله رب العالمين!.. »[1].

الحقيقة: أن ما يوجد في روايات الظهور وما بعده ـ مع أن الكثير منها نفسه لا يتمتع بميزة الاعتبار من حيث السند، ولذلك ينبغي التأمل فيه ـ لا يشير بصراحة إلى كثير من الفئات وكيف سيكون دورها، وهو بالكامل بالنسبة لنا يكون في حكم الغيب غير المعلوم.. ومن تلك الفئات التي لا وضوح لدورها هو النساء، مع أننا نعتقد أن طبيعة الأمور تقتضي بوجود دور لهن، سواء في الجانب الإيجابي أو السلبي.. ففي المجتمع المؤمن يوجد دور للمرأة كما في المجتمعات المنحرفة.

نعم قد لا يكون لها دور واضح ومباشر في الحركة العسكرية التي يفترض أن الإمام عجل الله فرجه سوف يقوم بها لمواجهة قوى الانحراف، التي ملأت الأرض جورا وفسادا..

ولعلي أستطيع القول: إن النظر إلى حركة الإمام عجل الله فرجه يمكن أن يكون بأحد نحوين: ما هو شائع في بعض الأذهان، وهو أقرب إلى أفلام الخيال العلمي!! بفارق انه كل شيء هنا يتحرك ضمن إطار الغيب والمعجز، بينما هو في تلك الأفلام ضمن إطار التقدم التكنولوجي المفترض (الخيالي).

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٩٩ ص ١٠٨.

هنا أيضا يطيب للبعض أن يروا مسرح الحركة المهدوية، ضمن أطر غيبية، تتحرك فيه كل العوامل من دون أن يكون للعوامل والأسباب الطبيعية كبير أثر يذكر!

والنحو الثاني من النظر: هو الاعتقاد أن ما هو غيبي وإلهي في هذه الحركة هو الظهور في توقيته، وفي انتصار قائد تلك الحركة على كل القوى العالمية، وتأسيس مجتمع العدل والقسط.. ولكن يفترض أن يحدث ما يحدث اعتمادا على العوامل والأسباب الطبيعية ـ إلا في موارد استثنائية يتم فيها الاستفادة من الصلاحيات والقوى الغيبية التي منحها الله سبحانه لقائد الظهور ـ فلا بد من استخدام هذه الحركة للتكنولوجيا المتقدمة، بل نفس هذه الحركة سوف تصنع تقدما (علميا) ورقيا (عقليا) للبشر!

إننا لا نعتقد أن هذه الحركة بعيدة في هذا الجانب عما كانت عليه حركة رسول الله ﷺ، من حيث اعتمادها بشكل أساس على العوامل والمعادلات الطبيعية، وإن كانت أيضا متصلة بالغيب، وللرسول قدرة على الأمر المعجز، وربما استفاد منه في بعض المواقع التي لا يمكن الاستفادة فيها من الأمور الطبيعية.

وبناء على ذلك نستطيع القول أن الصفات التي تسابقت فيها النساء في زمان الرسالة، فقربت بعضهن، وأبعدت بعضا آخر هي نفس الصفات التي ستتنافس فيها النساء المعاصرات لحركة الظهور، والتغيير العالمي الشامل.

كيف تميزت المرأة في عصر الرسالة، وكيف ارتقت بعض النساء إلى أن كن من فضليات الصحابة، بل تقدم بعضهن على قسم من متقدمي الرجال[1]، وكيف كانت تلكم النساء بين مجاهدة بأموالها، ومربية لأبنائها

---

(١) يراجع الجزء الأول من نساء حول أهل البيت عليهم السلام، النساء حول رسول الله ﷺ وما تحدث به في فضل بعضهن.. حتى ورد قوله أن مقام نسيبة ـ في المعركة ـ كان خيرا من مقام فلان وفلان.

خير تربية، ومشجعة لزوجها.. بين صاحبة الموقف في وجه طواغيت الزمان، وصاحبة اليد الحانية على أسرتها.. ومن خلال هذه النساء وأمثالهن وأشباههن تشكل ذلك المجتمع المؤمن الرسالي.

نحن نعتقد أن ما سيكون عليه دور المرأة في أيام الحركة المهدوية التغييرية لن يختلف في هذه الجهة كثيرا عن ما كان عليه دورها أيام رسول الله ﷺ، وقد بين القرآن الكريم ما الذي ينتظر من المرأة في آياته المباركات، وضع النبي الأكرم مقاييس لدور المرأة، وحركتها ونشاطها في المجتمع، تنفع في كل الأوقات والظروف.. وإن اختلفت أساليب تطبيقها..

إن القرآن الكريم يتحدث عن المرأة المؤمنة التي تبايع النبي ضمن ميثاق ديني له تجليات اجتماعية، تبايعه على عقيدة التوحيد بحيث لا تشرك بالله شيئا، وتجتنب المحظورات الشرعية ملتزمة بالحدود والأحكام فهي أمينة في الأموال لا تسرق وهي عفيفة في العرض فلا تزني، وهي حريصة على الأرواح فلا تقوم بوأد ولا إجهاض للجنين، ولا تنسب للعائلة غير من كان فيها.. وفي الطرف المقابل تلتزم بالقيم الدينية و(المعروف).

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]..

وإذا كانت العلاقات السائدة في بعض المجتمعات بين الرجال والنساء هي علاقات الجسد والمتعة والجنس والشهوة حيث لا يرى كل طرف في الآخر غير هذا الجانب، فإن العلاقات في المجتمع الإسلامي حسب ما يقرر القرآن هي علاقة الولاية والانتماء بغرض هدف رسالي هو

(١) الممتحنة:١٢.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كصبغة خارجية، وإقامة الحالة العبادية كبناء داخلي، ويؤطر كلَّ ذلك طاعةُ الله ورسوله فـ﴿**الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[١]. وإن كان ذلك لا يمنع وجود علاقة زوجية شرعية تحقق الاستقرار النفسي، والسكن الروحي، إلى جانب اللذة الحسية المشروعة فإن من آيات الله ـ وهي حقا من الآيات العظام ـ ﴿**أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[٢]. فعلاقة البدن، وشهوة الجسم أمر ممكن، واللذة العابرة أمر ممكن ويسير، ولكن أن يكون بين اثنين لا علاقة سابقة بينهما بل لا معرفة، تلك المودة والرحمة، والسكن.. هذا من الأمور التي تحتاج إلى جعل إلهي..

وخلافا لما يتصوره البعض من أن مجرد كون الشخص رجلا يجعله في مرتبة متميزة من الأجر، وكونه امرأة يدعه في مرتبة دانية من الثواب يقرر القرآن خطأ هذه النظرية فـ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾[٣].

فهذه هي المرأة في المجتمع الإسلامي وهذا هو دورها كما يقرره القرآن الكريم، الدور الذي مارسته أيام المصلح الأول رسول الله ﷺ فأصبحت من خيرة من اتبعه، وهو نفس الدور الذي ينتظر أن تمارسه في أيام المصلح

(١) التوبة:٧١.

(٢) الروم:٢١.

(٣) الأحزاب:٣٥.

الأخير المهدي المنتظر.

إن الشخصية الخامسة من النساء اللاتي حول الإمام صاحب الزمان هي الشابة الواعية المنفتحة على دينها، والملتزمة بنهج قادتها المعصومين عليهم السلام والتي تتحرك ضمن إطار المعروف، وتدعو إلى الخير..

الخامسة.. هي تلك الزهرة التي تتضوع عطر مودة في بيتها وأسرتها، فتصنع السعادة فيه، وفي وسطها الاجتماعي فتحدث فيه العفة، وفي بيت زوجها فتحيله إلى جنة أرضية.

ترى هل تكونين ـ عزيزتي القارئة ـ إياها؟[١]

(١) كان الفراغ من هذا الجزء في الثالث من شوال ١٤٢٥هـ، في منزلنا الكائن في جزيرة تاروت، في أرض البدرية التي أوقفها المرحوم الوالد الحاج محمد تقي بن علي آل سيف، على طلبة العلم الشرعي من أبنائه وللتبليغ الديني والثقافي، نسأل الله أن يتغمده برحمته وأن يسكنه الفسيح من جنته.

المصادر بعد القرآن الكريم

١ - **ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،** طباعة دار إحياء الكتب العربية.

٢- **ابن الأثير،** محمد بن محمد، **أسد الغابة في معرفة الصحابة،** انتشارات إسماعيليان - طهران.

٣- **ابن النديم،** محمد بن إسحاق، **الفهرست،** تحقيق رضا تجدد.

٤- **ابن حمزة الطوسي،** محمد بن علي، **الثاقب في المناقب،** تحقيق نبيل رضا علوان، الطبعة الأولى، مؤسسة أنصاريان - قم.

٥- **ابن سعد،** محمد، **الطبقات الكبرى،** دار صادر - بيروت.

٦- **ابن شهر آشوب،** محمد بن علي، **معالم العلماء.**

٧- **ابن عنبة،** أحمد بن علي، **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب،** تصحيح محمد حسن آل الطالقاني، المطبعة الحيدرية - النجف، الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ.

٨- **ابن كثير، البداية والنهاية،** دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٩- **ابن معصوم،** علي خان، **الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة،** مكتبة بصيرتي - قم، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.

١٠- **ابن هشام،** عبدالملك، سيرة ابن هشام، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده - مصر، ١٣٨٣هـ.

١١- **الأردبيلي،** أحمد بن محمد، **زبدة البيان في أحكام القرآن،** تحقيق محمد باقر البهبودي، المكتبة المرتضوية - طهران.

١٢- **الإمام زين العابدين** عليه السلام ، **الصحيفة السجادية.**

١٣- **آية الله الخوئي**، أبو القاسم، **معجم رجال الحديث**، الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ.
١٤- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل - بيروت.
١٥- **الجلالي**، السيد محمد رضا، **تدوين السنة الشريفة**، جماعة المدرسين - قم، الطبعة الأولى.
١٦- **الجندي**، عبد الحليم، **الإمام جعفر الصادق** عليه السلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة، ١٣٩٧هـ.
١٧- **الحر العاملي**، محمد الحسن، **وسائل الشيعة**، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
١٨- **الدمياطي**، أبو بكر بن محمد شطا، **إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين**، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
١٩- **الزركلي**، خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.
٢٠- **سبط ابن الجوزي**، يوسف بن فرغلي، **تذكرة الخواص**، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت - لبنان، ١٤٠٤هـ.
٢١- **السيد ابن طاووس**، **إقبال الأعمال**، طبعة الأعلمي
٢٢- **الشافعي**، محمد بن طلحة، **مطالب السؤول**.
٢٣- **الشاكري**، الحاج حسين، **الإمام الحسن العسكري**.
٢٤- **الشاكري**، الحاج حسين، **الإمام علي بن موسى الرضا**.
٢٥- **الشيرازي**، آية الله السيد محمد مهدي، **اللاعنف في الإسلام**.
٢٦- **الشيرازي**، آية الله الشيخ ناصر مكارم، **القواعد الفقهية**، نشر مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ.
٢٧- **الصدوق**، محمد بن علي، **علل الشرائع**، المكتبة الحيدرية - النجف، ١٣٨٦هـ
٢٨- **الصدوق**، محمد بن علي، **عيون أخبار الرضا** عليه السلام، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
٢٩- **الصدوق**، محمد بن علي، **من لا يحضره الفقيه**، تحقيق علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين - قم، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

٣٠- **الطبراني**، سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي عبدالحميد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة. الطبعة الثانية.
٣١- **الطبرسي**، الشيخ الفضل بن الحسن، **إعلام الورى بأعلام الهدى**، منشورات دار النعمان – النجف.
٣٢- **الطبري**، أحمد بن عبدالله، **ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى**، مكتبة القدسي – القاهرة، ١٣٥٦هـ.
٣٣- **الطبري**، محمد بن جرير، **تاريخ الأمم والملوك**، مؤسسة الأعلمي – بيروت.
٣٤- **الطوسي**، محمد بن الحسن، **اختيار معرفة الرجال**، تحقيق مهدي الرجائي، مؤسسة يل البيت، ١٤٠٤هـ.
٣٥- **الطوسي**، محمد بن الحسن، **الغيبة**، تحقيق الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية – قم، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٣٦- **الطوسي**، محمد بن الحسن، **تهذيب الأحكام**، تحقيق السيد حسن الخرسان، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة ١٣٦٥هـ. ش.
٣٧- **العسكري**، مرتضى، **معالم المدرستين**، مؤسسة النعمان – بيروت.
٣٨- **العلامة المامقاني**، **تنقيح المقال**، قم – إيران.
٣٩- **غفاري**، علي أكبر، **دراسات في علم الدراية**، جامعة الإمام الصادق عليه السلام، الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ.ش.
٤٠- **الفراهيدي**، الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة – إيران، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.
٤١- **فوزي**، محمد، **بناء القادة في منهج أهل البيت**، مؤسسة الوفاء – بيروت.
٤٢- **فوزي**، محمد، **رجال حول أهل البيت**، دار الصفوة – بيروت.
٤٣- **فوزي**، محمد، **من قضايا النهضة الحسينية**، دار محبي الحسين، قم – إيران.
٤٤- **القرشي**، العلامة الشيخ باقر شريف، **الإمام المهدي**
٤٥- **القرشي**، العلامة الشيخ باقر شريف، **حياة الإمام الحسن العسكري**، قم – إيران.

٤٦- **القرشي**، باقر شريف، **حياة الإمام موسى بن جعفر**.
٤٧- **القزويني**، السيد الحسيني، **موسوعة الإمام الجواد** عليه السلام، قم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٤٨- **الكنجي الشافعي**، محمد بن يوسف، **كفاية الطالب**.
٤٩- **المازندراني**، المولى محمد صالح، **شرح أصول الكافي**.
٥٠- **المبرد**، أبو العباس محمد بن يزيد، **الكامل**.
٥١- **المجلسي**، محمد باقر، **بحار الأنوار**، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
٥٢- **المفيد**، الشيخ محمد بن محمد، **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**، دار المفيد، بيروت - لبنان.
٥٣- **المنهاجي الأسيوطي**، محمد بن أحمد، **جواهر العقود**، تحقيق مسعد عبدالحميد السعدي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٥٤- **النقوي**، السيد حامد حسين، **خلاصة عبقات الأنوار**، مؤسسة البعثة - قم، ١٤٠٦هـ.
٥٥- **النوري**، ميرزا حسين، **مستدرك الوسائل**، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٥٦- **الهندي**، عبدالعزيز المليباري، **فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين**، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٥٧- **اليزدي**، السيد كاظم، **العروة الوثقى**.

فهرس المحتويات

كتب مطبوعة للمؤلف

١- حجر بن عدي: الثائر الشهيد.
٢- عن الجهاد والثورة في حياة أهل البيت عليهم السلام.
٣- طلب العلم فريضة.
٤- الهجرة مستقبل أفضل.
٥- بناء القادة في منهج أهل البيت عليهم السلام.
٦- الحياة الشخصية عند أهل البيت عليهم السلام.
٧- نظام الإدارة الدينية عند الشيعة الإمامية.
٨- مفهوم التقية في الإسلام.
٩- التشكيك: كيف واجهه أهل البيت عليهم السلام.
١٠- رجال حول أهل البيت عليهم السلام (١ - ٢).
١١- شيعة القطيف والأحساء: عراقة الماضي وتطلعات المستقبل.
١٢- من قضايا النهضة الحسينية (١ - ٣).